

مركز جيل البحث العلمي

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية



مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي

Lebanon - Tripoli: Branche Abou Samra P.O. Box 8 - jilrc-magazines.com - social@jilrc-magazines.com



العام السادس - العدد 53 - مايو 2019

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سرور طالبي / المشرفة العامة

المؤسس ورئيس التحرير: د. جمال بلبكاي

jilrc-magazines.com - social@jilrc-magazines.com

التعريف بالمجلة:

مجلة علمية دولية محكمة ومفهرسة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية، بإشراف هيئة تحرير مشكلة من أساتذة وباحثين وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين وهيئة تحكيم تشكل دوريا في كل عدد.

اهتمامات المجلة وأبعادها:

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية عبارة عن مجلة متعددة التخصصات، تستهدف نشر المقالات ذات القيمة العلمية العالية في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

تعرض المجلة جميع مقالاتها للعموم عبر مواقع مركز جيل البحث العلمي، بهدف المساهمة في إثراء موضوعات البحث العلمي.

مجالات النشر بالمجلة:

تنشر المجلة الأبحاث في المجالات التالية: علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، علم الاجتماع، الفلسفة التاريخ، علم المكتبات والتوثيق، علوم الإعلام والاتصال، علم الآثار.

تنشر مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية البحوث العلمية الأصيلة للباحثين في هذه التخصصات كافة مكتوبة باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية.

هيئة التحرير:

- أ.د. عاصم شحادة علي (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)
- د. بغداد باي عبد القادر (المركز الجامعي غليزان، الجزائر)
- د. تيقان بوبكر (رئاسة جامعة التكوين المتواصل، الجزائر)
- د. سامية ابريغم (جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر)
- د. طراد طارق (جامعة خنشلة، الجزائر)
- د. طوال عبد العزيز (جامعة الجلفة، الجزائر)

رئيس اللجنة العلمية: أ.د. علي صباغ (جامعة قسنطينة 2، الجزائر)

اللجنة العلمية:

- أ.د. ودان بوغفالة (جامعة مصطفى اسطمبولي، مُعسكر، الجزائر)
- د. أحمد جلول (جامعة حمّة لخضر، الوادي، الجزائر)
- د. بوجليدة حسان (جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر)
- د. بحري صابر (جامعة سطيف 2، الجزائر)
- د. خويلد محمد الأمين (جامعة الجلفة، الجزائر)
- د. سامية شينار (جامعة باتنة 1، الجزائر)
- د. شلّالي لخضر (المركز الجامعي آفلو، الأغواط، الجزائر)
- د. علّة المختار (جامعة الجلفة، الجزائر)
- د. فكرونّي زاوي (جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعبّاس، الجزائر)
- د. نجوى نايف عبد النّبي شكوكاني (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)
- د. هاني إسماعيل رمضان (جامعة غريسون، تركيا)

أعضاء لجنة التحكيم الاستشارية لهذا العدد:

- أ.م.د. إخلاص محمد عيدان (جامعة بغداد، العراق)
- د. إخلاص محمد عبد الرحمن (جامعة الجزيرة السودان)
- د. أسماء سالم علي عربي (الجامعة الأسمرية، ليبيا)
- د. بشري سعدي (جامعة مولاي اسماعيل، المغرب)
- د. بن سولة نور الدين (جامعة مستغانم، الجزائر)
- د. بوعروة بكير (جامعة غرداية، الجزائر)
- د. سعيد علي (جامعة نفونديري، الكاميرون)
- د. سلامي خديجة (جامعة الجلفة، الجزائر)
- د. مسعودي طاهر (جامعة الجلفة، الجزائر)
- د. نوري محمد أحمد شقلابو (جامعة الزاوية، ليبيا)

التدقيق اللغوي:

- أ.م.د. ميعاد جاسم السراي (الجامعة المستنصرية، العراق).
- د. فائق عدّي (جامعة قسنطينة 1، الجزائر).
- د. فطيمة ديلبي (المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الإنسان والتاريخ).

شروط النشر



تقبل المجلة الأبحاث والمقالات التي تلتزم الموضوعية والمنهجية، وتتوافر فيها الأصالة العلمية والدقة والجدية وتحترم قواعد النشر التالية :

- أن يكون البحث المقدم ضمن الموضوعات التي تعنى المجلة بنشرها.
- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر لأي مجلة ، أو مؤتمر في الوقت نفسه ، ويتحمل الباحث كامل المسؤولية في حال اكتشاف بأن مساهمته منشورة أو معروضة للنشر.
- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:
 - عنوان البحث باللغة العربية والإنجليزية.
 - اسم الباحث ودرجته العلمية، والجامعة التي ينتمي إليها، باللغة العربية والإنجليزية.
 - البريد الإلكتروني للباحث.
 - ملخص للدراسة في حدود 150 كلمة وبحجم خط 12، باللغة العربية والإنجليزية.
 - الكلمات المفتاحية بعد الملخص.
- أن تكون البحوث المقدمة بإحدى اللغات التالية: العربية، الفرنسية والإنجليزية
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث على (20) صفحة بما في ذلك الأشكال والرسومات والمراجع والجداول والملاحق.
- أن يكون البحث خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية.
- أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامها على النحو الآتي:
 - اللغة العربية: نوع الخط (Traditional Arabic) وحجم الخط (16) في المتن ، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (12).
 - اللغة الأجنبية: نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط (14) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (10).
 - تكتب العناوين الرئيسية والفرعية للفقرات بحجم 16 نقطة مثلها مثل النص الرئيسي لكن مع تضخيم الخط.
- أن تكتب الحواشي بشكل نظامي حسب شروط برنامج Microsoft Word في نهاية كل صفحة.
- أن يرفق صاحب البحث تعريفًا مختصرًا بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.
- عند إرسال الباحث لمشاركته عبر البريد الإلكتروني، سيستقبل مباشرة رسالة إشعار بذلك .
- تخضع كل الأبحاث المقدمة للمجلة للقراءة والتحكيم من قبل لجنة مختصة ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون.
- لا تلتزم المجلة بنشر كل ما يرسل إليها .

ترسل المساهمات بصيغة الكترونية حصراً على عنوان المجلة:

social@jilrc-magazines.com

الفهرس

الصفحة

7

• الافتتاحية

6

9

• البناء الحضاري في الفكر الخلدوني ، عائشة خالدي / جامعة تلمسان، الجزائر

21

• تحليل الإمكانيات المادية والبشرية المتوفرة في القطاع الصحي الجزائري ، بن عمار نوال/ جامعة باتنة1، الجزائر

43

• ثقافة يتأير في المجتمعات المحليّة بين الامتدادات الميثولوجية والممارسات الطقوسية مقارنة أنثروبولوجية "المجتمع التبسي أنموذجا" صحرة شعويّة، براك خضرة، جامعة تبسة، الجزائر

63

• خصائص مواد العمارة الترابية بجنوب الجزائر- دراسة مادة الطوب من قصر موغل بالجنوب الغربي - قادة لبتو/ جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر.

81

• إدارة التغيير الثقافي داخل المنظمات المعاصرة ، هادف رانية / جامعة سكيكدة - غزال حياة/ جامعة قسنطينة 2.

97

• "المفارقة" المصطلح والمفاهيم ، شريف عبيدي / جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر.

115

• دور مفتش التربية في تنمية الأداء الوظيفي للمعلم ، قرساس حسين/ جامعة المسيلة، الجزائر.

135

• واقع ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية بكلية التربية جامعة الزاوية-دراسة ميدانية على عينة من أعضاء هيئة التدريس الجامعي- سمير المختار السيد كريمة / جامعة الزاوية، ليبيا.

157

• الفساد الرياضي وتأثيره على الجانب الاقتصادي للدول وسبل محاربتة، غيدي عبد القادر/ جامعة المسيلة - مسعودي الطاهر/ جامعة الجلفة.

مقالات باللغات الأجنبية

167

• Mesures de sécurité de l'éducation et harcèlement scolaire, Massika Lanane/Université de Béjaïa, Algerie.

الافتتاحية

اللهم إنا نحمدك حمد الشاكرين، ونستعينك ونستهديك سواء السبل، ونستلهمك التوفيق في الأعمال، ونعوذ بك من الفشل والكسل والزلل، ونرجو منك التثبيت في المبدأ الحسن، ونسألك أن تصلي على من بعثته هدى ورحمة للعالمين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد:

يسرّ هيئة تحرير مجلة "جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية"، أن تقدم للقارئ الكريم العدد الثالث والخمسين (53) لشهر مايو 2019، متضمناً عدداً من البحوث والدراستات العلمية والمطالعات الفكرية الناضجة التي صاغها أهل الاختصاص في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية لمعالجة بعض المواضيع والمشكلات النفسية، التربوية، الاجتماعية... وغيرها.

هذا ونؤكد دوماً على قاعدة مهمة، أنّ المجلة ترتقي بملاحظاتكم وتنجح بمشاركاتكم ومقترحاتكم، لذلك فالمبدأ الأساسي لها خدمة العلم بأبواب مفتوحة في كل الأوقات إن شاء الله .

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ آل عمران: 8.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل،،،

رئيس التحرير / د. جمال بلبكاي

تخلي أسرة تحرير المجلة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية

لا تعبر الآراء الواردة في هذا العدد بالضرورة عن رأي إدارة المركز

جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي © 2019

البناء الحضاري في الفكر الخلدوني

Civilizational Construction In Khaldounian School Of Thought

الباحثة عائشة خالدي / جامعة تلمسان، الجزائر

ملخص:

يلخص ابن خلدون صاحب المقدمة حركة التاريخ عنده على إنها حركة انتقال، وعملية الانتقال هذه يترجمها صراع بين البدو والحضر، وهكذا فإن الصراع هذا يعد شيئاً حتمياً مادامت السمات المتناقضة قائمة في طبع الفئتين فتصبح الحضارة غاية للبدواة، أي إن التناقض بين الحضارة والبدواة في إطار الصراع ليس أمراً إرادياً وطوعياً بل يأخذ شكل عملية حتمية تسحب الحضارة فيها البدواة لتدفن خصال هذه الأخيرة وصفاتها.

لقد استطاع ابن خلدون أن يقيم نظرية قائمة على أساس من الوحدة والترابط، قوامها العصبية الواحدة سواء عصبية الجنس أو عصبية القبيلة أو عصبية الدين.

الكلمات المفتاحية: ابن خلدون؛ الحضارة؛ الدورة الحضارية؛ العصبية؛ الفكر الحضاري

Abstract:

Ibnkhaldon, who is the writer of el moukadima, summarizes the movement of history as a permanent one from nomadism to the state of civilization, and this transition is translated by a conflict between the rural and the urban. Thus, the mentioned conflict is something inevitable as long as the contradictory features exist in the temper of both categories so that civilization will become nomadism. i.e. the contradiction between civilization and nomadism in the context is not voluntary but takes the form of an inevitable process where civilization draws the nomadism to bury its values and characteristic.

IbnKhaldun was able to establish a theory based on unity and interdependence, consisting of a single nerve, whether the sex, the tribe or the religion extremist.

Keywords: Ibnkhaldon; Civilization; Civilization cycle; Extremist; Intellect civilizational.

مقدمة:

إن سنة التداول الحضاري تمثل نقطة مهمة في فهم مسار الحضارة، حيث أكد عليها كثير من مفكري وفلاسفة التاريخ والحضارات وأفردوا لها فصولاً لها، فهي قانون كوني سارية على كل موجداته، جارية على أفعال وحياة الإنسان سواء في حالته الفردية أو الجماعية، وقلما تنجو منه أمة من الأمم من جريانه.

وابن خلدون رجل عملي امتاز بالواقعية والبساطة والوضوح بأرائه وبأدواته الفكرية المعتمدة في تحليل ظواهر المجتمع ودراسة التاريخ، وأشار في مقدمته إلى أهمية العمران البشري، حيث بين ما يلحق به من عوامل التغيير والحوادث، مستعرضاً دقائق وتفصيل تتعلق بنشأة المجتمعات، وما يصاحب ذلك من ظواهر يرتبط بعضها ببعض بحيث تكون كل ظاهرة سبباً لأخرى تالية لها بشكل لا يمكن معه فصل تلك الظواهر، أو دراستها كل على حدا، كما أسس ابن خلدون نظريته في عوامل قيام الدول وفنائها بفرض أن للأمم دورة حياتية تشبه حياة الإنسان في دورته، وتتعدد مراحلها من الميلاد والاستواء والقوة إلى الضعف والهرم والموت، فما مفهوم الدولة وما أطوارها في الفكر الخلدوني؟ وما علاقتها بهذا المفهوم الذي أورده ابن خلدون في مقدمته وأشار إليه بالعصبية؟

1-العصبية في المفهوم الخلدوني: بين الدلالة والإشارة

يرى ابن خلدون في تفسيره للتاريخ أن التطور سنة من سنن الله في الحياة الاجتماعية ويقول: «إن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة، وانتقال من حال إلى حال، وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار، فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول»¹ وأهم ما يوجه التطور الاجتماعي والعمري عند ابن خلدون هو نظريته في العصبية فهي بمثابة المحور الذي تدور حوله معظم المباحث الاجتماعية والتاريخية عنده، وهو يتخذ من هذه الرابطة موضوعاً لدراسة شاملة وعميقة فيتكلم عن مصدر العصبية، ويردّها إلى الطبيعة البشرية «لأن صلة الرحم طبيعة في البشر إلا في الأقل، ومن صفتها النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام إن ينالهم ضيم أو تصبيهم هلكة»² ولقد تعددت الأقوال في تحديد رؤية ابن خلدون للعصبية وتعريفه لها عند الباحثين العرب والمسلمين من جهة والغربيين من جهة أخرى، الأمر الذي لا يتسع بحثه في هذا المقال. واستخدم صاحب «المقدمة» العصبية في سياقات مختلفة فهي «عصب وعصبة وعصابة، فهي تأتي بمعنى الإحاطة وبمعنى القرابة للذكور من طريق الأب. فالأب طرف والابن طرف، بينما العم جانب والأخ جانب، والعصبة هي الجمع ما بين العشرة إلى الأربعين والعصابة هي جماعة من الناس أو الخيل أو الطير، واليوم العصب هو اليوم الشديد، وعصب الرجل بالقوم أي أحاطوا به لقتال أو حماية، وعصب الرجل بالنسب أي أحاطوا به»³ وقد تناول مفهوم العصبية عند ابن خلدون كثير من العلماء والمؤرخين الذين اهتموا بفكره فهي حسب توينبي تعني «الجبلة النفسية التي تبني عليها كل الأجهزة السياسية والاجتماعية، وعند لابيكا تعني "الحزب السياسي" وذكرها محمد الجابري أنها "الجماعة المعنوية" أما علي الوردي فقال أنها الرابطة الاجتماعية التي تربط أبناء القبيلة أو أية جماعة أخرى بعضهم ببعض وتجعلهم يتعاونون في السراء والضراء»⁴ والعصبية عند ابن خلدون ليست مصطلحاً سكونياً ثابتاً، بل متغيرة ومتحولة متطورة أيضاً فتنقل من وضوح النسب إلى اختلاطه وأخيراً تلاشيته «أن النسب إنما فائدته هذا الالتحام الذي يوجب

¹ ابن خلدون: المقدمة، دار إحياء التراث العربي، ط 4، بيروت، ص 28

² عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، مراجعة وتقديم: عبد البارئ محمد الطاهر تحقيق: أحمد جاد، مؤسسة قطر البخاري، الجزائر، 2012، ص 128

³ الفيروز آبادي: مادة (ع ص ب)، الهيئة العامة للكتاب، 1978، ج 1، ص 104

⁴ مهيلة زين العابدين: نظرية الدولة عند ابن خلدون، مجلة المنار، الأعداد 75، 76، 77، 1424 هـ

صلة الأرحام حتى تقع المناصرة والنعرة وما فوق ذلك مستغنى عنه»¹ والمسؤولية الإنسانية المنبثقة من الخلافة هي التي تعطي للعصبية طابعها المعين في زمان معين ومكان معين، فإذا تحققت تلك المسؤولية عند المجموعة البشرية ساهمت العصبية في إقامة العمران، أما إذا غابت فإن دورها لا يصبح محايداً فقط، بل إنها يمكن أن تتحول إلى عامل تدمير وتخريب العمران «يتنافسون في الرئاسة، وقلَّ أن يسلم أحدٌ منهم الأمر لغيره، ولو كان أباه أو أخاه أو كبير عشيرته إلا في الأقل، وعلى كُرٍّ من أجل الحياء، فيتعدد الحكام منهم والأمراء، وتختلف الأيدي على الرعية في الجباية والأحكام، فيفسد العمران وينتقض»² والعصبية أو العصبية التي يقصدها ابن خلدون لا تعني مطلق الجماعة وإنما الأفراد الذين تجمع بينهم رابطة الدم أو رابطة الحلف أو الولاء بالإضافة إلى شرط الملازمة بينهم من أجل أن يتم التفاعل الاجتماعي «إنَّ العصبية عند ابن خلدون لا تشمل أبناء الأسرة الواحدة الذين تربطهم بعضهم ببعض الآخر صلة الرحم فحسب، بل هي تتسع لتشمل أهل الولاء والحلف، وفي مواقع أخرى نجد ابن خلدون يضم الرق والمترزقة، وهم من يُطلق عليهم اسم «المصطنعين إلى العصبية»، أمَّا النسب فيعتبره أمر وهي فائدته هو الترابط الذي يوحد، وبهذا يكون معنى العصبية عند ابن خلدون مرادف لمفهوم العصبية، وبهذا لم يخرج عن المفهوم الإسلامي الذي نبذ العصبية القبلية»³، وتبقى مستمرة ومتفرعة بوجود هؤلاء الأفراد واستمرار تناسلهم، فينشأ بين أفرادها شعور يؤدي إلى المحاماة والمدافعة وهم يتعصبون لبعضهم حينما يكون هناك داعٍ للتعصب، ويشعر الفرد بأنه جزء لا يتجزأ من أهل عصبته وفي هذه الحالة يفقد شخصيته الفردية بحيث تدوب في شخصية الجماعة، وهو شعور جماعي مشترك لدى أفراد العصبية فهو ذو صبغة جمعية أساسية بين الفرد والمجموعة، وليس بين فرد وآخر فقط، وفي حال تعرض العصبية إلى عدوان فيظهر في هذه الحالة "الوعي" بالعصبية، وهذا "الوعي العصبى" هو الذي يشد أفراد العصبية إلى بعضهم وهو ما يسميه ابن خلدون "بالعصبية" التي تكون بها الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يجتمع عليه «ليس من الضروري أن تكون العصبية مبنية على علاقة الدم وإن كانت الأساس، فكما تكون العصبية داخل القبيلة بين أفرادها مبنية على علاقة الدم للدفاع عن القبيلة ضد أي اعتداء خارجي، يمكن أن تكون العصبية نتيجة التفاعل الاجتماعي بين أفراد لا تربطهم علاقة الدم، وأمَّا علاقات ومصالح مشتركة مثل العمل في مهنة معينة أو السكن في منطقة معينة أو الميول نحو شيء معين»⁴ والملاحظ عند ابن خلدون أن العصبية البالغة القوة عند القبائل المتوغلة في الصحراء كانت قاتلة لكل انفتاح اجتماعي ممكن، بحيث أصبح أصحابها أبعد الناس عن العمران والحضارة، فالقضية هنا ليست قضية غياب العصبية، وإنما في عدم قدرتها على الإبصار. بمعنى أن الاجتماع البشري يصبح خاضعاً لها مُستلباً أمامها، فاقداً للقدرة على وضعها في موضعها. وفي مثل هذه الحالة بالضبط تبرز بكل وضوح رؤية ابن خلدون لدور الدين من ناحية قدرته على توظيف "العصبية" وإعطائها قوة "الإبصار" بحيث تعود الحركة لتتوجه نحو تكامل العمران «أن الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في أهل العصبية وتفرّد الوجهة إلى الحق، فإذا حصل لهم الاستبصار في أمرهم لم يقف لهم شيء لأن الوجهة واحدة والمطلوب متساوٍ عندهم، وهم مستميتون عليه، وأهل الدولة التي هم طالبوها (أي الدولة التي يواهبونها) وإن كانوا أضعافهم فأغراضهم متباينة بالباطل، وتخاذلهم لتقية الموت حاصل، فلا يقاومونهم وإن كانوا أكثر منهم بل يغلبون عليهم ويعالجهم الفناء بما فهم من الترف والذل»⁵ والأمر الذي ينبغي الانتباه إليه أن الدين بهذه الرؤية إنما هو عامل مؤثر في العصبية وموجه لها، وليس أصلاً لها كما يُفهم في بعض الأحوال.

¹ مقدمة ابن خلدون، عبد البارئ محمد الطاهر، مصدر سابق، ص 129

² بلال الشويطير: مفهوم العصبية في فكر ابن خلدون، نشر في الجمهورية يوم 02-05-2014

³ سهيلة زين العابدين: نظرية الدولة عند ابن خلدون، مجلة المنار، الأعداد 75، 76، 1424، 77هـ

⁴ الدقس محمد: "العصبية الخلدونية ووظيفتها الاجتماعية والسياسية"، مجلة جامعة الملك سعود، م 2، الآداب، 2، 1990، ص 721/722

⁵ ابن خلدون: المقدمة، مصدر سابق، ص 166

كما يلاحظ نوعاً من المشابهة بين تأثير الدين وبين تأثير العصبية في الحياة الاجتماعية، وهي نظرية موفقة إلى حدٍ كبير في إظهار أوثق أنواع الروابط الاجتماعية، وتعيين أهم أشكال التكتاف الاجتماعي في مثل تلك البيئات الجغرافية وتلك الجهود التاريخية وهي تدل على تفكير فاحص ونافذ ومحيط ومتعمق في درس الحوادث الاجتماعية وتعليل الوقائع التاريخية، كذلك تكشف نظرية ابن خلدون في الدول وأعمارها عن نظرية في التطور الاجتماعي، ذات أبعاد بيولوجية، فالدولة عنده كائن حي يتطور على الدوام وفق نظام ثابت كما تتطور جميع الكائنات الحية.

2- أقسام العصبية:

إن العصبية عند ابن خلدون نوعان: خاصة وعامة، وفي مجتمع البادية تبرز عصبية المستوى الأول (الخاص)، وفي مجتمعات العمران أو الحضارة يبرز المستوى العام، فعصبية البادية قابلة للتطور مع الانفتاح على العمران «وأما أحياء البدو فيزدود بعضهم عن بعض مشايخهم وكبرائهم بما وقر في نفوس الكافة لهم من الوقار، وأما مللهم فإنما يزدود عنها من خارج حامية الحي من أنجادهم وفتيانهم المعروفين بالشجاعة ولا يصدق دفاعهم وذيادتهم إلا إذا كانوا عصبية وأهل نسب واحد، لأنهم بذلك تشتد شوكتهم ويخشى جانبهم، إذ نكرة كل أحد على نسبه وعصبيته أهم¹» والمجتمع المتحضر تظهر فيه آفاق جديدة للتعاون والتكافل «فأما المدن والأمصار فعدوان بعضهم على بعض تدفعه الحكام والدولة بما قبضوا على أيدي من تحتم من الكافة أن يمتد بعضهم على بعض، أو يعدو عليه فإنهم مكبوحون بحكمة القهر والسلطان عن التظالم، إلا إذا كان من الحاكم بنفسه. وأما العدوان من الذي خارج المدينة فيدفعه سياج الأسوار عند الغفلة أو الغرة ليلاً أو العجز عن المقاومة نهراً، أو يدفعه زياد الحامية من أعوان الدولة عند الاستعداد والمقاومة² بل يسرع ابن خلدون في عبور هذه المرحلة البدوية إلى مرحلة العصبية الدينية الجامعة، فيرى أن وحدة الدين تزيد العصبية بالنسب قوة، وتصبح قادرة على إحداث انقلاب في الأوضاع، يتجلى في تحوُّل هؤلاء الرعاة الحفاة الموغلين في الفياقي والقفار إلى بُناة حضارة، ومشيدي عُمران، ومؤسسي ممالك ودُول³.

3- علاقة العصبية بالدولة:

لقد خصص ابن خلدون فصلاً كاملاً من (المقدمة) للحديث عن العصبية القبلية و دورها في نشأة الدول والملك والخلافة، مؤكداً أن الدعامة الأساسية للحكم تكمن في العصبية.

وقد أصبحت العصبية عنده مقولة اجتماعية بارزة في مقدمته حتى اعتبرها العديد من المؤرخين مقولة خلدونية بحتة، وقد أطلق ابن خلدون على العصبية معنى الدولة، فالعصبية لها دائماً غايتها التي تسعى إليها، وهي الملك «الغاية التي تجري إليها العصبية هي الملك»⁴ وينتهي إلى القول إن «الملك غاية طبيعية للعصبية، ليس وقوعه عنها باختيار، إنما هو بضرورة الوجود وترتيبه»، فالمسألة هنا مسألة "ضرورة وجودية"، فالعصبية تؤدي إلى الملك ضرورةً لأن الله قد أجرى العادة على ذلك، وهذه العادة قد استقرت وأصبحت طبعاً ملازماً للعمران⁵ وطريق العصبية إلى الدولة سالكٌ عند ابن خلدون ما لم تعترض العصبية في طريقها إلى الملك عوائق مثل: حصول الترف وانغماس القبيل في النعيم، أو المذلة للقبيل والانقياد إلى سواهم.

¹ ابن خلدون: المقدمة، مصدر سابق، ص 422

² المصدر نفسه، ص 423

³ زينظر، محمد عابد الجابري، العصبية والدولة" معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي"، ط3، 1982م، دار الطليعة، بيروت، ص 287

⁴ ابن خلدون: المقدمة، مصدر سابق، ص 439

⁵ عصام عبد الشافي: "الثورة والبناء الحضاري عند ابن خلدون"، المعهد المصري للدراسات السياسية والإستراتيجية، 28 أغسطس 2016، ص 8/7

وكما ينتقل العمران من العمران البدوي إلى العمران الحضري فإن الدولة هي الأخرى تنتقل من البداوة إلى الحضارة» فطور الدولة من أولها بداوة ثم إذا حصل الملْك تبعه الرَفَّةُ واتساع الأحوال، والحضارة إنما هي تَفَنُّنٌ في الترف وأحكام الصنائع المستعملة¹ وفي هذه المرحلة يلوح خطر طغيان عالم الأشياء، لأن قوة الدولة تزداد وحصول الاستيلاء يتمُّ وعِظْم واستفحال الملْك يتفاقم» فيدعو إلى الترف ويكثر الإنفاق بسببه، فتعظم نفقات السلطان وأهل الدولة على العموم بل يتعدى ذلك إلى أهل المصر، ويدعو ذلك إلى الزيادة في أعطيات الجند وأرزاق أهل الدولة، ثم يُعظَّم الترف فيكثر الإسراف في النفقات وينتشر ذلك في الرعية² ويبدأ الاجتماع البشري في التوجه إلى لحظات أزمة خانقة، لا يحلها على الإطلاق زيادة الإنتاج، بل إن تلك الزيادة تساهم في تعفين الأجواء وتعميق الأزمة.

إن هذه اللحظة هي لحظة الاكتمال للعمران الناتج عن لحظة سيادة عالم الأشياء، وذلك عبر مثلث متناقض يتمثل في طغيان توفر الأشياء من جهة، وشدة البحث عنها من جهة أخرى، والضعف المتناهي للتحكم فيها والقدرة على وضعها موضعها من جهة ثالثة، وبدلاً من أن يمتلك الإنسان الأشياء في هذه اللحظة، يصبح هو مُلْكاً لها، لأن امتلاكها صار محور حياته وحركته، وصار هو "الوجهة" و"الغاية" وفي هذه اللحظة تستحيل "الوجهة" التي أنتجت الحضارة عبر تحرك العمران نحو تحقق عالم الأشياء، ثم تفقد "العصبية" القدرة على توحيد الأهواء باتجاه تلك الوجهة وتبدأ هي أيضاً في التلاشي، ليكون تلاشي العصبية أخيراً مُفضياً إلى تلاشي الدولة كلياً³ إلى أن تضمحل كالذبال في السراج إذا فني زيته وطفئ³.

4-الدولة وأطوارها:

يُعرِّف ابن خلدون الدولة بأنها «كائن حي له طبيعته الخاصة به، ويحكمها قانون السببية، وهي مؤسسة بشرية طبيعية وضرورية، وهي أيضاً وحدة سياسية واجتماعية لا يمكن أن تقوم الحضارة إلا بها»⁴ وقد نظر ابن خلدون للدولة على أنها كائن حي يولد وينمو، ثمَّ يهرم ليفنى، فللدولة عمر مثلها مثل الكائن الحي تماماً، وقد حدّد ابن خلدون عمر الدولة بمائة وعشرين عاماً⁵ وأما أعمار الدول فلا تتعدى ثلاثة أجيال والجيل هو عمر الشخص الواحد من العمر الوسط، فيكون أربعين الذي هو انتهاء النمو والنشوء إلى غايته⁵ لأنَّه يرى أنَّ العمر الطبيعي للأشخاص كما زعم الأطباء والمنجمون مائة وعشرين عاماً، ولا تعدو الدول في الغالب هذا العمر إلا إن عرض لها عارض آخر من فقدان المطالب، مستشهداً بقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾⁶ وذكر أنَّها تتكون من ثلاثة أجيال كل جيل عمره أربعون سنة، وذلك لأنَّه اعتبر متوسط عمر الشخص أربعين سنة، حيث يبلغ النضج إلى غايته مستشهداً بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾⁷ وقد ضرب ابن خلدون أمثلة لأعمار الدولة على بعض الدول مثل: (المرابطين، والموحدين، والمرينيين في المغرب، وملوك الطوائف في الأندلس، والحمدانيين في حلب).

¹ ابن خلدون: المقدمة، مصدر سابق، ص 190

² المصدر نفسه، ص 328

³ ابن خلدون: المقدمة، مصدر سابق، ص 329

⁴ سهيلة زين العابدين: نظرية الدولة عند ابن خلدون، الأعداد 75، 76، 77

⁵ مقدمة ابن خلدون: المقدمة، مصدر سابق، ص 164

⁶ الأعراف، آية 34

⁷ الأحقاف، آية 15

ويرى أرنولد توينبي أن ابن خلدون كان يفكر في الدول البدوية، كما قدر لها أعماراً طبيعية كما للأشخاص لا يجاوز مجموعها ثلاثة أجيال، ويضيف توينبي متفقاً مع ابن خلدون: «حقاً، فإنه ما إن يستكمل الغزو، حتى يتحلل الفاتح البدوي نتيجة لابتعاده عن عنصره الخاص (أي عصبته) وتحوله من الناحية الاقتصادية إلى عنصر زائد عن الحاجة»¹ أما مفهوم الدولة عند الغرب فيرتبط في الأصل بالفكر اليوناني القديم، الذي كان يدور حول فكرة المدينة والسياسة، والدور الذي كانت تلعبه هذه الأخيرة في السياسة كدور الدول الحديثة حالياً، وهو جل ما نجده متداول لدى فلاسفتهم آنذاك مثل المدينة الإلهية عند هوميروس، والمدينة الفاضلة عند أفلاطون، والمدينة العالمية التي مركزها أثينا عند أرسطو.

وفي الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة نجد أغلب تعريفات الدولة لا تختلف عما أبدعه اليونانيون، فالدولة عند "لاند" هي وحدة سياسية منظمة مستقلة تناظر الدول الأخرى التي لها معها علاقات، أما المدينة عند "بول فولكي" فتعني أولاً الشرط الذي يحدد المواطنة، وبالتالي فهي مجموع المواطنين الذين يشكلون وحدة سياسية داخل رقعة جغرافية². وتميل النظريات الغربية إلى اعتبار أن الدولة حاجة إنسانية أصيلة لا يمكن الاستغناء عنها³. ويعتمد ابن خلدون في تصنيفه لتاريخ الدول والمجتمعات على عنصرين مهمين:

أولاً: بناء على ما جاء في القرآن الكريم من الشواهد والأدلة التي تعزز ما ذهب إليه وقرره.

ثانياً: بناء على تجارب الحياة، وتواريخ الأمم التي قلما تحيد عن هذا المقياس.

المرحلة الأولى: (الجيل الأول) فيصفه بقوله: «لأن الجيل الأول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشترار في المجد، فلا تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم، فحسبهم مرهف، وجانبهم مرهوب، والناس لهم مغلوبون»⁴ فالجيل الأول هو الممثل لنشأة الدولة وتطورها، فهو يعيش في الريف والبوادي حياة بدوية خشنة بعيدة عن الترف، وتتميز بقوة العصبية والبسالة والعنف.

المرحلة الثانية: (الجيل الثاني) فيصفه بما يلي: «والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والترفة من البداوة إلى الحضارة، ومن الشظف إلى الترف والخصب، ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحدة، وكسل الباقين عن السعي فيه، ومن عز الاستطالة إلى ذل الاستكانة، فتتكسر سورة العصبية بعض الشيء، وتؤنس منهم المهانة والخضوع، ويبقى لهم الكثير من ذلك بما أدركوا الجيل الأول، وباشروا أحوالهم وشاهدوا اعتزازهم، وسعيمهم إلى المجد، ومرامهم في المدافعة والحماية فلا يسعهم ذلك بالكيفية، وإن ذهب منه ما ذهب، ويكونون على رجاء من مراجعة الأحوال التي كانت للجيل الأول أو على ظن من وجودها فيهم»⁵ فالجيل الثاني يتحول من حالة البداوة إلى الحضارة، ومن سكنى البوادي والريف إلى المدن، وهو الذي يتحقق على يديه الملك ويؤسس الدولة، إلا أن ذلك لا يعني انتكاسته بالكامل بسبب قربه من الجيل الأول وما ورثه عنه.

المرحلة الثالثة: (الجيل الثالث) الذي يعرف بجملة من الأوصاف لا تحمد عاقبة أصحابها، لكونهم ينسون تماماً خصال الشجاعة والبأس ويستكينون إلى رغد العيش، ويتخلون عن واجباتهم في الدفاع عن بيئتهم، وفيهم يقول: «وأما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة، كأن لم تكن ويتقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر، ويبلغ فيهم الترف

¹ أرنولد توينبي: مختصر دراسة التاريخ، مصدر سابق، ص 35

² ينظر عبد القادر بوعرفة: مقدمات في السياسة الدينية، رياض العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2005، ص 41

³ ينظر صدر الدين القباني: المذاهب السياسية في الإسلام، دار الأضواء، ط 2، 1985، ص 74

⁴ ابن خلدون: المقدمة، ص 165

⁵ المصدر نفسه، ص 165

غايته بما تبنيه من النعيم وغبضارة العيش، فيصبرون عيالا على الدولة، ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للمدافعة عنهم وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة، عنهم وتسقط العصبية بالجملة وينسون الحماية والمدافعة، ويلبسون على الناس في الشارة والزي، وركوب الخيل وحسن الثقافة، ويموهون بها. فإن جاءهم في الأكثر أجبن من النسوان على ظهورهم. فإن جاءهم المطالب لهم، لم يقاموا مدافعة، فيحتاج صاحب الدولة حينئذ إلى الاستظهار بسواهم من أهل النجدة، ويستكثر بالموالي، ويصطنع من يغني عن الدولة بعض الغناء حين يتأذن الله بانقراضها¹ ففي هذا الجيل ينسون عهد البداوة والخشونة كأنها لم تكن، ويفقدون حلاوة العز والعصبية، ويبلغ فيهم الترف غايته، وتسقط العصبية تماماً.

إن هذه اللمحات الرئيسة في الفكر الخلدوني تكشف لنا بشكل صريح عن موضوع نشوء الدولة يخضع لقوانين طبيعية استوجبت ذاتها نشوء الاجتماع الإنساني وحمايته، وهذه العملية هي جزء من حركة المجتمع التي يكون فيها نشوء الدولة بداية لدورة تاريخية - سياسية، فحركة التاريخ مستمرة وتسير على شكل دورة، وهذه الدورة هي حركة معادة كلما تم الانتقال من مرحلة البداوة إلى مرحلة الحضارة وذلك يتحقق عبر مؤسسة الدولة نفسها. فعملية نشوء الدولة إذن تتجدد في كل مرة تنتهي فيها تلك الدورة، لكن الدورة هي عملية صراع حتمية تسحب الحضارة فيها البداوة لتدفن خصال هذه الأخيرة وصفاتها. ولقد قسم ابن خلدون تلك المراحل التي تمر بها الدول في دورة حياتها إلى خمس مراحل أسماها أطوارا وهي:

الطور الأول: هو "طور التأسيس"، وفيه يكون السلطان جديد العهد بالملك، لذا فهو لا يستغني عن العصبية، وإنما يعتمد عليها لإرساء قواعد ملكه، فيكون الحكم في هذه المرحلة مشتركاً نوعاً ما بين الملك وبين قومه وعشيرته، وقد ضرب ابن خلدون مثلاً بالدولة الإسلامية في طور تأسيسها، وهو عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وعهد الخلفاء الراشدين «فالأنبيا يعملون على إخراج الناس من الظلمات إلى النور في مختلف مجالات الحياة، بتصحيح مسارهم الإنساني على ضوء النهج الإلهي السديد»² وقد قضى فيه الإسلام على العصبية القبلية القائمة على التفاخر بالأباء والأنساب، وحل محلها الأخوة في الدين، فأخى بين الأوس والخزرج وسماهم بالأنصار، وأخى بينهم وبين المهاجرين.

الطور الثاني: هو "الانفراد بالملك"، حيث يذهب ابن خلدون إلى أن الانفراد بالسلطة ميل طبيعي وفطري لدى البشر، ولذا فإن السلطان عندما يرى ملكه قد استقر يعمل على قمع العصبية، كما يعمل على الانفراد بالحكم، واستبعاد أهل عصبية من ممارسة الحكم، وعندئذ يتحول من رئيس عصبية إلى ملك، وقد يفعل ذلك أول من أسس الدولة، وقد لا يفعل، فلا تدخل الدولة في هذا الطور الثاني إلا مع ثاني زعيم أو ثالث، ويتوقف ذلك على قوة صمود العصبية «لأن الملك أمر زئدا من الرئاسة، والإنسان إذا بلغ رتبة طلب ما فوقها وإذا بلغ رتبة السؤدد والإتباع ووجد السبيل إلى التغلب والقهر لا يتركها»³ ويضطر السلطان إلى الاستعانة بالموالي للتغلب على أصحاب العصبية، أي أنه يبدأ في هذه المرحلة الاعتماد على جيش منظم من أجل المحافظة على الملك.

الطور الثالث: وهو طور "الفراغ والدعة": وفي هذا الطور يتم تحصيل ثمرات الملك وتخليد الآثار ويُعد الصيت، فالدولة في هذا الطور تبلغ قمة قوتها، ويتفرغ السلطان لشئون الجباية، وإحصاء النفقات والقصد فيها، ولتخليد ملكه، لا بد أن يبني المباني العظيمة الشاهدة على عظمته⁴، وفي هذه المرحلة يستمتع الجميع السلطان بمجده، وحاشيته بما يغدقه عليها السلطان.

¹ ابن خلدون: المقدمة، مصدر سابق، ص 165

² صالح بن طاهر مشوش: علم العمران الخلدوني، وأثر الرؤية الكونية التوحيدية في صياغته، مكتب التوزيع في العالم العربي، لبنان، ط 1، 2012، ص 321/320

³ ابن خلدون: المقدمة، ص 139

⁴ المصدر نفسه، ص 139

الطور الرابع: هو طور "القوم والمسلمة"¹ وفي هذا الطور يكون صاحب الدولة قانعاً بما بناه أسلافه مقلداً لهم قدر ما يستطيع، والدولة في هذه المرحلة تكون في حالة تجمد فلا شيء جديد يحدث، ولا تغير يطرأ، كأن الدولة تنتظر بداية النهاية.

الطور الخامس: هو طور "الإسراف والتبذير"، ويكون صاحب الدولة في هذا الدور متلقياً لما جمعه أسلافه في سبيل الشهوات والملاذ والكرم على بطانته، فيكون مخرباً لما كان سلفه يؤسس، وهادماً لما كانوا يبنون، وفي هذا الطور تحصل في الدولة طبيعة الهرم «أما إذا وقع الحجاب بين السلطان والرعايا فان ذلك يكون دليلاً على هرم الدولة ونفاذ قوته»² ويستولي عليها المرض المزمن الذي لا برء منه إلى أن تنقرض.

5-آراء العلماء في الدورة الحضارية:

يرى مالك بن نبي أن عوامل السقوط وأسباب الهلاك هو الفكرة الدينية فيقرر أن أفول حضارة من الحضارات إنما يرجع إلى تغلب جاذبية الأرض عليها، وتخليها عن فكرتها الدينية التي كانت سبب مبعثها «ومن هنا نستطيع أن نقرر أن المذنيات الإنسانية حلقات متصلة تتشابه أطوارها مع أطوار المدنية الإسلامية والمسيحية، ثم يبدأ أفولها بتغلب جاذبية الأرض عليها، بعد أن تفقد الروح ثم العقل»³ ويرى أن مراحل التطور قد اجتازها المسلمون بفكرتهم الدينية التي أنتجت الحضارة، ولكنهم للأسف ما لبثوا أن عادوا إلى الحياة البدائية بسبب انكماش تأثيرات الروح والعقل وانطلاق الغرائز الدنيا من عقالها، فيقول: «وكذلك كان المسلم، فقد بعث الدين فيه روحاً محرراً للحضارة فلم يلبث بعد مرحلة قضاها في الخلافات والحروب أن عاد إلى حيث هو الآن إنساناً بدائياً»⁴ وتقوم فلسفة التاريخ عند مالك بن نبي على الحتمية التاريخية والتعاقب الدوري للحضارات حيث عددها بثلاثة أطوار هي: طور الحضارة، وطور ما قبل الحضارات، وطور ما بعد الحضارة.

فإن الإنسان هو الذي يحرك التاريخ وذلك ضمن حتمية تاريخية يستوجب التحرر منها معرفة القوانين التي تنشئ الحضارات، يقول مالك بن نبي: «على أنني حينما أرى في حركة التاريخ حركة الإنسان وفي ركوده ركود الإنسان فإن ذلك يضعني أمام مشكلة تصنف تحت عنوان الفعالية، فعالية الإنسان في التاريخ»⁵ كما نقد مالك بن نبي الفكر الخلدوني قائلاً: «فقد كان يمكن أن يكون أول من أتى له أن يصوغ قانون الدورة التاريخية، إلا أن مصطلح عصره قد وقف به عند ناتج معين من منتوجات الحضارة ونعني به الدولة، وليس عند الحضارة نفسها»⁶ ويرى بن نبي أن نظرية ابن خلدون محصورة في الجانب السياسي والمنطق السائد في عصره، فقد تحدث عن الدولة ولم يتحدث عن الحضارة وفسر قيامها بالعصبية «وهكذا لم نجد فيما تركه ابن خلدون غير نظرية عن الدولة، في حين أنه كان من الأجدى لو أن نظريته رسمت لنا تطور الحضارة، التي كنا نستطيع أن نجد فيها ثروة من نوع آخر، غير ذلك الذي أثارنا به فعلاً، إذ لم تكن عبقرياً ابن خلدون بعاجزة عن أن ترسم لنا ذلك التطور في صورة منهج قائم بذاته»⁷ ولكن ابن خلدون تحدث عن الحضارة بهذا اللفظ في كتابه "المقدمة"، فيكفي أنه خصص لها الفصل الخامس عشر من الباب الثالث من الكتاب الأول بعنوان "انتقال الدولة من البداوة إلى الحضارة"، وعرف الحضارة

¹ ابن خلدون: المقدمة، مصدر سابق، ص 139

² المصدر نفسه، ص 292

³ شروط النهضة: مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، 2000، ص 79، 78

⁴ شروط النهضة: مالك بن نبي، ص 79، 78

⁵ مالك بن نبي: تأملات، دار الفكر، دمشق، 1986، ص 190

⁶ مالك بن نبي: مشكلة الأفكار، دار الفكر، دمشق، 1992، ص 51

⁷ مالك بن نبي: تأملات، مصدر سابق، ص 49

هذه العبارة: « الحضارة إنما هي تفنن في الترف وإحكام الصناعات المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش»¹

أما ابن باديس فشرح فكرة الدورة الحضارية، أو مراحل تطور الأمم، وبسطها انطلاقاً من تفسيره لآية قرآنية، هي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾² ولكنه لم يخرج عن المقدمات والنتائج التي خلص إليها ابن خلدون، وإنما تناول القضية بصفته عالماً مفسراً لكتاب الله، مما مكّنه من تأصيل الطروحات التي درسها ابن خلدون قبله، وعلى هذا المنوال، كان الإمام عبد الحميد بن باديس يمهّد بذكر الأطوار الثلاثة التي تمر بها الأمة من شباب وكهولة وهرم قبل أن يشرح الآية، فيقول: «الأمم كالأفراد تمر عليها ثلاثة أطوار: طور الشباب وطور الكهولة، وطور الهرم»³

إلا أن "تويني" لا يتفق مع رأي ابن خلدون بأن الحضارات مثل الكائنات الحية تخضع للتطور العضوي الذي ينتهي بالموت. فحسب رؤيته إن موت الحضارات ليس شرطاً أن تقترب بنهاية أكيدة لها، فالمجتمع الذي يمتلك "استجابة إبداعية" للتحديات التي تجابهه يستطيع الاحتفاظ والاستمرار بحضارته التي تخصه. وكذلك يعارض تويني فكرة انحلال الحضارة ثم سقوطها. فحسب تصوره إن السقوط يأتي أولاً، وذلك بعد فشل الحضارة في الاستجابة للتحديات المصيرية. ولكن بما أن الحضارة خلال نموها الزمني تكون قد أبدعت ثقافياً واجتماعياً وإدارياً، لذا فإن بنيتها لا تسقط هكذا دفعة واحدة، بل تضمحل تدريجياً من الفترة التي سقطت فيها الحضارة في الزمن الماضي.⁴

ويقول الأستاذ "رضوان إبراهيم" في مقدمة كتابه: "المختار من كتاب مقدمة ابن خلدون: «وحسنة أخرى لابن خلدون هي تجميعه للعرب والعروبة بمفهومها الواسع على الصعيد الفكري النقدي، ومزاولة القومية مزاولة عملية؛ فقد مثّل بنفسه دور "المواطن العربي" حينما جاب هذا الوطن من غربه إلى شرقه، وشغل نفسه بقضايا العرب أينما حل، وتكلم باسمهم في كل محفل، وسفّر عنهم، وفاوض في شؤونهم، وقضى بينهم، واستهدف إصلاح جماعاتهم بما أوتي من قوة الشخصية، وحصافة الفكر، وجاه المنصب»⁵

وهناك مؤرخ إسباني آخر هو "رافائيل ألتاميرا" يجري تعقيبات على آراء ابن خلدون في افتتاحية المقدمة ووصفه لعلم التاريخ، والشروط التي ينبغي توفرها في المؤرخ، ثم يقول: «إن المقدمة هي نظرية للحضارة حقيقية وكاملة ثم يجري بعض التحفظات على المغالاة في تقدير قيمة ما أسماه بابتكارات ابن خلدون، ولكنه يصف ابن خلدون بأنه قوة عقلية جبارة، ومخترع عبقرى يبني فوق سوابق ضئيلة عمل هو في معظمه جديد»⁶

يضع "استيفا نكلزيو" ابن خلدون في مقدمة فلاسفة التاريخ والاقتصاد والاجتماع على حد سواء، فيقول: «إذا كانت نظريات ابن خلدون عن حياة المجتمع المعقدة تضعه في مقدمة فلاسفة التاريخ، فإن فهمه الدور الذي يؤديه العمل والملكية والأجور يضعه في مقدمة علماء الاقتصاد المحدثين، كما استطاع في العصور الوسطى أن يكتشف مبادئ العدالة الاجتماعية

¹ أبو يعرب المرزوقي: فلسفة التاريخ الخلدونية، الدار المتوسطة، تونس، 2007، ص 89

² الإسراء، آية 58

³ عبد الحميد ابن باديس: تفسير ابن باديس، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط 1، 2003، ص 189-190

⁴ Study of History: The Breakdowns of Civilization, 1939, Vol. IV, p. 3

⁵ رضوان إبراهيم: المختار من كتاب مقدمة ابن خلدون، طبع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، بمصر، ط 1 / 1960م، ص 12

⁶ سهيلة زين العابدين: نظرية الدولة عند ابن خلدون، مجلة المنار، الأعداد 75، 76، 77، 1424هـ

والاقتصاد السياسي قبل كونسيديران الفرنسي الاشتراكي (1808-1893) وكارل ماركس الألماني (1818-1883) وباكونين الاقتصادي الاجتماعي الروسي (1814-1876)¹

خاتمة

لقد استطاع ابن خلدون أن يقيم نظرية قائمة على أساس من الوحدة والترابط، قوامها العصبية الواحدة سواء عصبية الجنس أو عصبية القبيلة أو عصبية الدين، إلا أنه قد أوضح بوضوح أن العرب لا تقيمهم أمة واحد إلا عصبية الدين، فكان بذلك متجليا روح حضارة الإسلام القائمة على التوحد ونبذ الفرقة.²

وقد وقفنا على بعض المآخذ التي لحقت نظرية الدولة لابن خلدون منها:

-نقص استقراره في شؤون السياسة وقيام الدول، حيث إنه لم يحلل هذه الظواهر إلا في عصور خاصة وأمم معينة، وهي في الغالب ممالك المغرب والأندلس، ومن الشروط المهمة في فلسفة التاريخ شرط: الكلية والشمول.

-انتهامه بالتحامل على العرب، وذلك حين ذكر بعض المثالب والنقائص واصفاً بها العرب، من مثل أن العرب لا يتغلبون إلا على الأمور البسيطة، وأن العرب أبعد الناس عن الصنائع، وأن العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب، أن المباني التي كانت تختطها العرب يسرع إليها الخراب إلا في الأقل.

-نظرية العصبية مذمومة لأن الإسلام ذم العصبية ونهى عنها وردّها من الجاهلية.

-حدد ابن خلدون أطوارا للدولة، فهو لم يذكر طور الطفولة، وتحديده لدورة حياة الدولة التي تشبه أطوار حياة الفرد لا فعل لها ولا أساس.

- يرى ابن خلدون أن توقف فائض الإنتاج الذي يضمن الاستمرار للدولة هو سبب الانهيار الحضاري وسقوط السلطة، ولكننا لا نستطيع أن نربط بين انهيار السلطة والانهيار الحضاري وذلك لأن الانهيار الحضاري يفضي إلى انهيار السلطة في حين أن انهيار السلطة لا يفضي دوماً إلى الانهيار الحضاري.

- تحديد ابن خلدون لعمر الدولة وتعميمه لها، فذلك لا ينطبق على دولة الروم أو الفرس التي دامت عدة قرون، كما أن أعمار الأفراد أكبر من عمر الأربعين، لأن غالبية الدول العربية والأجنبية تعد عمر الأربعين هو عمر الشباب والعمل والإنجاز، ويضاف إلى ذلك أن رأي ابن خلدون هذا يخالف عمره هو، فقد عاش أربعة وسبعين عاماً.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- القرآن الكريم
- 2- ابن خلدون: المقدمة، دار إحياء التراث العربي، ط 4، بيروت، د.س.
- 3- أبو يعرب المرزوقي: فلسفة التاريخ الخلدونية، الدار المتوسطة، تونس، 2007.
- 4- أرلوند توينبي: مختصر دراسة التاريخ، تر: فؤاد محمد شبل، تقديم: عبادة كحيل، المركز القومي للترجمة، ج 1.
- 5- الفيروز آبادي: مادة (ع ص ب)، الهيئة العامة للكتاب، 1978، ج 1.

¹ سهيلة زين العابدين: نظرية الدولة عند ابن خلدون، مجلة المنار، الأعداد 75، 76، 77، 1424هـ

² محمد الطاهر ابن عاشور، ومحمد إقبال: روح الحضارة والثقافة الإسلامية، مجلة الأزهر، شعبان 1433 ص 66/61

- 6- الدقس محمد: "العصبية الخلدونية ووظيفتها الاجتماعية والسياسية"، مجلة جامعة الملك سعود، م 2، الآداب، 2، 1990.
- 7- بلال الشويطر: مفهوم العصبية في فكر ابن خلدون، نشر في الجمهورية يوم 2014/05/02
- 8- عبد القادر بوعرفة: مقدمات في السياسة الدينية، رياض العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2005.
- 9- عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، مراجعة وتقديم: عبد البارئ محمد الطاهر تحقيق: أحمد جاد، مؤسسة قطر البخاري، الجزائر، 2012.
- 10- عبد الحميد بن باديس: تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، 2003.
- 11- عصام عبد الشافي: "الثورة والبناء الحضاري عند ابن خلدون"، المعهد المصري للدراسات السياسية والإستراتيجية، 28 أغسطس 2016.
- 12- صدر الدين القبانجي: المذاهب السياسية في الإسلام، دار الأضواء، ط2، 1985.
- 13- صالح بن طاهر مشوش: علم العمران الخلدوني، وأثر الرؤية الكونية التوحيدية في صياغته، مكتب التوزيع في العالم العربي، لبنان، ط1، 2012.
- 14- رضوان إبراهيم: المختار من كتاب مقدمة ابن خلدون، طبع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، بمصر، ط1 / 1960م.
- 15- سهيلة زين العابدين: نظرية الدولة عند ابن خلدون، مجلة المنار، الأعداد 75، 76، 77، 1424هـ.
- 16- مالك بن نبي: شروط النهضة، دار الفكر، دمشق، 2000.
- 17- مالك بن نبي: تأملات، دار الفكر، دمشق، 1986.
- 18- مالك بن نبي: مشكلة الأفكار، دار الفكر، دمشق، 1992.
- 19- محمد الطاهر ابن عاشور، ومحمد إقبال: روح الحضارة والثقافة الإسلامية، مجلة الأزهر، شعبان 1433
- 20- محمد عابد الجابري، العصبية والدولة" معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي"، دار الطليعة، بيروت. ط3، 1982م.
- 21- 'Study of History': The Breakdowns of Civilisation، 1939، Vol. IV.

تحليل الإمكانيات المادية والبشرية المتوفرة في القطاع الصحي الجزائري

د.بن عمار نوال/جامعة باتنة1، الجزائر

Analysis of the material and human resources available in the Algerian health sector

Dr. Benammar Naouel / University of Batna-1, Algeria

ملخص:

لا شك أن الجزائر ومنذ الاستقلال عملت على وضع مبادئ أساسية تقوم عليها السياسة الصحية وذلك سعياً منها لتجسيد حق المواطن في العلاج كما نصت عليه المواثيق والدساتير، والذي اعتبر مكسباً ثورياً وهو الآن حق من حقوق المواطن، هذه السياسات عرفت نجاحات وانتكاسات وذلك عبر المراحل المختلفة التي مرت بها الجزائر، وهذه الدراسة جاءت لإلقاء الضوء حول الإمكانيات المتوفرة في القطاع الصحي سواء المادية منها أو البشرية، لأن الاهتمام الحالي قائم على تقديم خدمات ذات نوعية جيدة في المؤسسات الصحية حيث كانت تبدو كأنها مسألة نقص توفير الموارد المادية والبشرية، لكن اتضح أن كيفية إدارة هذه الموارد بشكل فعال هو المشكل، فالعنصر البشري هو الأساس وكذا الإدارة الفاعلة هي أساس نجاح المؤسسات الصحية، ذلك سعياً للاستخدام الأفضل للموارد سواء كانت مادية أو بشرية.

الكلمات المفتاحية: الخريطة الصحية، الإمكانيات المادية والبشرية، مصادر وأنظمة تمويل القطاع الصحي في الجزائر.

Abstract :

There is no doubt that Algeria since independence has worked on laying down the basic principles of health policy in order to realize the citizen's right to treatment as stipulated in the charters and constitutions, which was considered a revolutionary gain and is now a citizen's right. These policies have known successes and setbacks through various stages This study came to shed light on the possibilities available in the health sector, both physical and human, because the current interest is based on providing quality services in health institutions where it appeared to be a matter of lack of material and human resources, but it turned out that Fibril manage these resources effectively is the problem, the human element is the foundation of effective management is as well as the basis of the success of the health institutions, in an effort to make better use of resources, whether physical or human.

Keywords: health map, physical and human resources, sources and systems of financing the health sector in Algeria.

مقدمة:

تعتبر الخدمات الصحية من أهم كمتطلبات الإنسان فهي تتعلق بحالته الصحية وكافية، ما يجعلها تحتل مكانة بارزة في اهتمامات الجميع، ليس فقط لأهميتها في الحفاظ على سلامة الفرد بل أيضا لزيادة قدرته على البناء والتنمية، وفي هذا المعنى تمثل الخدمات الصحية أهم ما يمكن أن يقدم للإنسان صانع الحياة والتطور، وهي إن كانت تعكس ضرورة إنسانية فإنها أيضا تمثل ضرورة اقتصادية لبناء مجتمع قادر على تقديم الأداء الأفضل في مختلف مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

22

إن الاهتمام بالخدمات الصحية، العمل على جعلها في المستويات المطلوبة التي تنال رضا المتلقين لها وتحقيق احتياجاتهم والتي تكون بتوفير العديد من الإمكانيات (المادية والبشرية)، وهذه الاحتياجات هي أولوية يجب أن يسهر على تحقيقها أي نظام مؤسستي سواء على المستوى الكلي أو الجزئي، غير أن إصدار الأحكام عن مستويات الأداء وجودة الخدمات لا يتم إلا بإتباع أساليب علمية ومنهجية تمكن من دراسة درجات الفعالية والإحاطة بمختلف حيثياتها لتكوين صورة واضحة ودقيقة تؤدي إلى تحديد جوانب القوة ومكامن الخلل ومحاولة تحسينها وتصحيحها.

وإن المسألة الصحية تعتبر من بين أهم المواضيع التي شددت اهتمام العلماء ورجال السياسة منذ القدم وبالأخص في الوقت الحالي، فالجزائر كغيرها من البلدان خاضت منذ الاستقلال تجربة طموحة في التنمية الصحية نظرا للدور الذي تلعبه هذه الأخيرة في مجال حل المشاكل الاجتماعية في المجتمع فبالرغم من الاحتلال الكبير الذي عرفه القطاع الصحي بالجزائر منذ الاستقلال، على كافة المستويات نتيجة لضعف البنيات التحتية والنقص الكبير على مستوى الموارد البشرية، إلا أن الدولة سعت ولا تزال تسعى إلى التقليل من حدتها، فقد شهد قطاع الصحة بالجزائر ديناميكية كبيرة جسدتها العديد من المخططات والقرارات الهامة التي تم اتخاذها، ومما لا شك فيه أن لخدمات الصحية هي من أكثر الخدمات التي يكون على عاتق الدولة توفيرها وبالمستويات المطلوبة والمستهدفة، ولذلك فهي تسعى دوما إلى تحسينها وتطوير مستويات جودتها بالبحث في مختلف الأساليب والآليات التي تمكن من تحقيق المنفعة للفرد بصورة خاصة والمجتمع والدولة بصورة عامة، ونظرا لما تكتسبه الخدمات الصحية من أهمية بالغة بالنسبة للدولة بصورة عامة والفرد بصورة خاصة، و باعتبار المستوى الصحي للمجتمع مقياسا لدرجة تقدمه، تبقى الخدمات الصحية دوما بحاجة إلى تقييم دوري ومستمر يكون الهدف منه اكتشاف الانحرافات السلبية عن المستوى المطلوب والمستهدف للخدمة وتحديد أمثلة الأساليب وأكثرها تلاءما مع المشاكل والتحديات التي يجب تصحيحها ومواجهتها، وفي هذا الإطار يكون التساؤل الرئيسي لهذه الورقة البحثية كالتالي: ما هي أهم الإمكانيات التي تملكها الدولة الجزائرية على مستوى القطاع الصحي؟

1. التنظيم الجديد للخريطة الصحية:

إن من بين الأهداف المتوخاة من إصلاح المنظومة الصحية في إطار التوجهات التي قدمها رئيس الجمهورية وذلك خلال البرنامج الخماسي 2005-2009 والذي يرمي إلى ما يلي:

- ✓ العمل على تخفيض معدل الوفيات.
- ✓ العمل على هيكلة الكثافة السكانية وفق العمر.

وهذا كله من أجل تحسين معدل الحياة للفرد كما هو معمول به في الدول المتقدمة الذي يقارب 76,1 والتخفيض في معدل الوفيات عند الأمهات من 230 لكل 100 ألف نسمة سنة 1989 ليصل هذا المعدل إلى 96,5 لكل 100 ألف نسمة سنة 2005. أما الوفيات عند الأطفال من 58,1 لكل 100 ألف طفل سنة 1989 لتصل إلى 29,7 لكل 100 ألف سنة 2005 وهي تعتبر مجهودات هامة والتي تعمل من أجل تحسين الحالة الصحية للأمومة والطفولة.

إن هذه المرحلة الانتقالية التي تعرف التزايد في الكثافة السكانية و نسبة العدوى، التي جعلت الالتزام والتكفل باحتياجات الصحة على مستويين الوقاية أفضل من العلاج، ومن ناحية مؤشرات التغطية الصحية وفق الخريطة الصحية التي توضح العمل الواجب فعله لتقليص الانحرافات أو الفجوات ما بين الولايات في الوطن التي لوحظت في السنوات الأخيرة.

1.1 المؤسسة العمومية الاستشفائية:

هي مؤسسة عمومية ذات طابع إداري تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي، وتتكون من هيكل للتشخيص والعلاج والاستشفاء، وإعادة التأهيل الطبي وتغطي سكان بلدية واحدة أو مجموعة بلديات والتي بلغ عددها في سنة 2007 إلى 193 مؤسسة على المستوى الوطني.

وتتمثل مهامها في التكفل بصفة متكاملة ومتسلسلة بالحاجات الصحية للسكان وتتولى على الخصوص:

➤ تطبيق البرامج الوطنية للصحة.

➤ ضمان حفظ الصحة والنقاوة ومكافحة الأضرار والآفات الاجتماعية.

➤ ضمان تحسين مستوى مستخدمي مصالح الصحة وتجديد معارفهم.

كما يمكن استخدام المؤسسة العمومية الاستشفائية ميدانا للتكوين الطبي وشبه الطبي، والتكوين في التسيير الاستشفائي.

1.2 المؤسسة العمومية للصحة الجوارية:

هي مؤسسة عمومية ذات طابع إداري تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي، وتتكون من مجموعة عيادات متعددة الخدمات وقاعات العلاج وتغطي مجموعة من السكان والتي بلغ عددها في سنة 2007 إلى 271 مؤسسة على المستوى الوطني وتتمثل مهامها في التكفل بصفة متكاملة ومتسلسلة فيما يلي:

➤ الوقاية والعلاج القاعدي.

➤ تشخيص المرض.

➤ العلاج الجوارية.

➤ الفحوص الخاصة بالطب العام والطب المتخصص القاعدي.

➤ الأنشطة المرتبطة بالصحة الإنجابية والتخطيط العائلي.

➤ تنفيذ البرامج الوطنية للصحة والسكان وتكلف على الخصوص بما يلي:

◆ المساهمة في ترقية وحماية البيئة في المجالات المرتبطة بحفظ الصحة والنقاوة، ومكافحة الأضرار والآفات الاجتماعية.

◆ المساهمة في تحسين مستوى مستخدمي مصالح الصحة وتجديد معارفهم، كما يمكن استخدام المؤسسة العمومية للصحة الجوارية ميدانا للتكوين الطبي وشبه الطبي، والتكوين في التسيير الاستشفائي.

إن البرنامج الخماسي 2005-2009 الذي تولي له الدولة اهتماما كبيرا، نظرا للغلاف المالي المخصص له من جهة والهيكل المنتظرة منه بعد إنجازها للوصول إلى أفضل تغطية صحية، والتي تعمل على تحسين الحالة الصحية للسكان.

II. تحليل الإمكانيات المتوفرة في قطاع الصحة:

1.2 الإمكانيات المادية:

يعتبر عرض العلاج في الجزائر مضمونا أساسا من طرف القطاع العام، عن طريق المراكز الاستشفائية الجامعية والمؤسسات الاستشفائية المتخصصة والقطاعات الصحية، من خلال المراكز الصحية والعيادات المتعددة الخدمات والمستوصفات وقاعات العلاج، بالإضافة إلى القطاع الخاص من خلال العيادات و المستشفيات المختلفة التخصصات ومخابر التحاليل الطبية و الأشعة ويمكن عرض تطور نسب التغطية الصحية في القطاع العام في الجدول التالي:

2.2 تطور نسبة الهياكل الصحية القاعدية في الجزائر

جدول رقم 01: تطور نسب التغطية الصحية بوحدة العلاج القاعدية في الجزائر من 1995-2007.

عدد السكان × 10 ³	نسبة مركز صحي+قاعة العلاج	مركز صحي+قاعة علاج	نسبة العيادات المتعددة الاختصاصات	عيادة متعددة الاختصاصات	الهياكل السنوات
27800	5714	4866	60435	460	1995
30365	5822	5216	61097	497	2000
30810	5740	5368	61131	504	2001
31357	5692	5509	61125	513	2002
32789	5756	5697	633546	516	2003
31227	5365	5820	60871	513	2004
32824	6278	5824	63489	517	2005
33500	5336	6278	63931	524	2006
34100	5282	6455	23087	1477	2007

المصدر: جيلالي أمير، محاولة دراسة تسويق الخدمات الصحية في المنظومة الاستشفائية الجزائرية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية و علوم التسيير فرع التخطيط، كلية العلوم الاقتصادية و علوم التسيير قسم العلوم الاقتصادية، جامعة الجزائر، 2009، ص 192.

يتضح لنا من الجدول أن في ظرف خمس سنوات، أي من سنة 1995 إلى غاية 2000، سجلت زيادة قدرت ب 8,04 % فقط بالنسبة للعيادات المتعددة الاختصاصات، لترتفع بعد ذلك تدريجيا وبوتيرة ضعيفة إلى غاية 2003، لتعاود الانخفاض بعد

هذه السنة، أما فيما يخص المراكز الصحية وقاعات العلاج، فعرفت ارتفاعا قدر ب 19,63 % سنة 2004 مقارنة بسنة 1995 وفيما يخص التطور في المراكز الصحية وقاعات العلاج ابتداء من 1995 إلى غاية 2007 والتي عرفت ارتفاعا محسوسا يقدر ب 32,65 % أما بالنسبة للعيادات المتعددة الاختصاصات التي عرفت ارتفاع ب 3 أضعاف سنة 2007 مقارنة بسنة 1995. وفيما يتعلق بهيكل العرض التابعة للقطاع الخاص فهي تتمثل في الجدول الآتي.¹

جدول رقم 02: البنية الأساسية لهيكل القطاع الخاص في الجزائر خلال الفترة 1999-2007.

الهيكل السنوات	عيادة توليد خاصة	صيدليات	مخابر تحاليل	أشعة	عيادات استشفاء	الإجمالي	عدد السكان×10 ³	نسبة السكان
1999	42	4305	194	188	57	4786	27800	5808
2000	38	4587	212	115	57	5027	30365	6040
2001	47	4778	206	118	69	5218	30810	5904
2002	31	5001	232	100	98	5462	31357	5740
2003	49	5502	-	-	103	5654	32789	5799
2004	47	5857	-	-	109	6013	31227	5193
2005	26	5849	267	-	151	6293	32824	5215
2006	65	6285	278	-	161	6789	33500	4934
2007	65	7459	286	-	165	7957	34100	4275

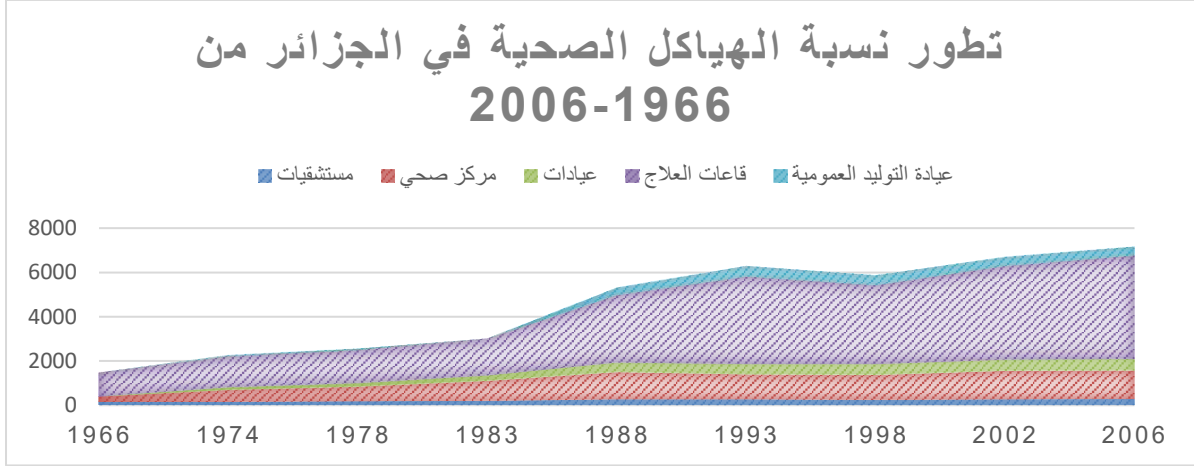
المصدر: جيلالي أمير، محاولة دراسة تسويق الخدمات الصحية في المنظومة الاستشفائية الجزائرية، مرجع سابق، ص 193.

يتضح لنا من خلال هذا الجدول، إذا أخذنا عدد الهياكل إجمالاً أن الهياكل الصحية الخاصة في تزايد مستمر فبالنسبة للعيادات الخاصة بالتوليد التي عرفت تراجع ملحوظ في 2002 ثم بعدها انطلقت من جديد لتعرف قفزة نوعية، أما فيما يخص الصيدليات هي الأخرى عرفت تزايد كبير مقارنة بسنوات التسعينات وهذا ما يدل على أن القطاع الخاص يريد دائماً الاستثمار في الأمور التي تجلب له الكثير من العوائد، دون مراعاة الجانب الاجتماعي وهذا ما يظهر من خلال مخابر التحاليل الطبية، التي عرفت انتشاراً واسعاً على المستوى الوطني وبالخصوص في المدن الكبرى، وفيما يخص نسبة التغطية الصحية

¹ جيلالي أمير، محاولة دراسة تسويق الخدمات الصحية في المنظومة الاستشفائية الجزائرية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية و علوم التسيير فرع التخطيط، كلية العلوم الاقتصادية و علوم التسيير قسم العلوم الاقتصادية، جامعة الجزائر، 2009، 192، 193.

بالنسبة للسكان نجدها في تطور ملحوظ مقارنة بسنة 2000 أين كانت العيادات الخاصة بالتوليد في تناقص وبعدها عرفت ارتفاع من جديد.¹

مخطط رقم 01: تطور نسبة الهياكل الصحية في الجزائر من 1966-2006.



المصدر: من إعداد الباحثة اعتمادا على المعطيات المتحصل عليها من:

Source: El Bachir Zohra, *Evolution de la mortalité en Algérie*, mémoire présenté en vue de l'obtention du diplôme de magistère en démographie, faculté des sciences sociales département de démographie, université d'Oran, 2013, p127.

لقد تطورت نسبة المرافق الصحية منذ فترة الاستقلال إلى يومنا هذا، فيما يتعلق بتطور عدد المستشفيات فقد بلغ معدل نمو حوالي 85,8% في غضون 40 سنة من (1966-2006) وقد ارتفع عدد المستشفيات من 148 إلى غاية 275 مستشفى على مستوى التراب الوطني.

أما بالنسبة لعيادات التوليد تم تسجيل 50 وحدة للأمومة سنة 1974 وأعلى ارتفاع للوحدات الأمومة سجل سنة 1993 ب 486 عيادة للتوليد، في عام 2006 عدد عيادات التوليد انخفض ليصل إلى 399 مركز أمومة مع 3534 سرير وهذا الانخفاض يرجع ربما لإغلاق بعض المراكز الخاصة بالتوليد وكذلك ربما يرجع إلى انخفاض معدلات الخصوبة من جهة أخرى وفتح مرافق كبيرة تابعة للمستشفى تشمل خدمات الأمومة، مراكز الأمومة عرفت بدورها زيادة بلغت 57% وتجاوزت 49 لتصل إلى 77 مركز أمومة ما بين 2003 و 2006.

3.2 الإمكانات البشرية: إن الإمكانات البشرية العاملة بقطاع الصحة ولا سيما في القطاع العمومي، التي بدورها تنقسم إلى ثلاثة أقسام تخص الأطباء بما فهم العامون والمتخصصون والصيدال وأطباء الأسنان، والطواقم الشبه الطبي المتمثل في المرضين والممرضات بالإضافة إلى الإداريين وعمال الخدمات المختلفة.

1.3.2 الممارسين الطبيين أو الطاقم الطبي:

بعد الاستقلال وجدت الجزائر نفسها في وضع اجتماعي واقتصادي صعب للغاية، وقد انعكس هذا النظام الصحي الذي ترك من الاستعمار إلى عجز كبير وخصوصا عدم كفاية التغطية الصحية، وكان هذا العجز أساسا في الإنسان وأنه في أعقاب

¹ جيلالي أمير، مرجع سابق، ص 193.

الهجرة الجماعية للأطباء والصيدلة والمديرين التنفيذيين للرعاية الصحية الفرنسية، وكان عدد الأطباء 285 طبيب جزائري في سنة 1963 أي طبيب واحد لكل 35000 نسمة، ولمواجهة هذا الوضع المأساوي اتخذت الدولة إجراءات عاجلة:

- تعزيز مهنة الطب من خلال الدعوة للتعاون الخارجي.

- مكافحة الأمراض المعدية من خلال تنفيذ البرامج الصحية والتي تشمل تدابير التطعيم لجميع الأطفال.

في سنة 1975 كان هناك 3212 طبيب (1820 طبيب جزائري و1392 أجنبي) وكانت نسبة التغطية طبيب لكل 4909 ساكن ويمكن اعتبار هذه الفترة فترة نجاح في الجانب الصحي، وذلك بفضل قرار سياسي خاصة مع بداية مجانية العلاج وكذلك في 1976 تم المصادقة على قانون الصحة العامة وفي 16 فيفري 1985 تم المصادقة على قانون حماية وتعزيز الصحة العامة، ولقد عززت الدولة الدراسات الطبية التي تستهدف كلا من التحسن النوعي والكمي وكذا تنفيذ إصلاح التعليم الجامعي في مجال الطب والصيدلة وطب الأسنان أي ما يقارب 1000 طبيب سنويا، وبعد هذه القرارات والتعديلات شهدت زيادة كبيرة في أعداد الموظفين الطبيين خلال 1980 ولكن في أواخر 1980 وبداية 1990 ظهرت بعض نقاط الضعف ويرجع ذلك للأزمة الاقتصادية والأمنية ففي سنة 1986 انخفضت عائدات النفط، وانخفض سعره إلى أدنى مستوياته 13,8\$ في 1986 انخفضت الإنتاجية وارتفعت نسبة الديون الخارجية وتزايدت نسبة البطالة وانخفضت قيمة الدينار، فكل هذه التبعات انقلبت سلبا على النظام الصحي الوطني وتعرض لمشاكل كبيرة منها:

- عودة الأمراض المعدية.

- ظهور الأمراض المزمنة أو ما يعرف بالأمراض الحديثة كمرض السكري وأمراض الجهاز الهضمي والأمراض القلبية الوعائية، والجهاز التنفسي والسرطان.

- انخفاض جودة الخدمات والرعاية لصحية للمرضى.

في عام 1990، كان عدد الأطباء 23550 (22716 جزائري و834 أجنبي) أما بالنسبة لتغطية الأطباء للسكان فكانت طبيب لكل 1063 نسمة، وبالنسبة لهذه السنة قدرت نسبة الإنفاق على الصحة من الناتج الداخلي الخام 2,8 % وما بين 2000-2010 قدر ب 5,5 % وتميزت هذه الفترة بتحسّن ملحوظ في الموارد الصحية وبزيادة قدرها 74 % في عدد الأطباء منذ سنة 2000، فمنذ 50 عاما تحسنت صحة الجزائريين وتم إحراز تقدم بشكل كبير وارتفع عدد الأطباء بشكل مطرد مع مرور الوقت.¹

ويمكن عرض تطور عدد الممارسين حسب الفئات كالآتي:

¹El Bachir Zohra, **Evolution de la mortalité en Algérie**, mémoire présenté en vue de l'obtention du diplôme de magistère en démographie, faculté des sciences sociales département de démographie, université d'Oran, 2013, pp 129 ,130.

جدول رقم 03: تطور عدد الأطباء العامون 1975-2007

ويخص في ذلك تطور الأطباء في القطاع العام والخاص، بالإضافة إلى تطور نسبة التغطية الصحية كما هو موضح في الجدول التالي.

الهيكل السنوات	القطاع العام	القطاع الخاص	المجموع	عدد السكان $\times 10^3$	نسبة التغطية للسكان
1975 •	/	/	1820	/	/
1980 •	/	/	6202	/	/
1985 •	/	/	11170	/	/
1990 •	/	/	22716	/	/
1995	10296	4950	15246	27800	1823
2000	11275	5803	17078	30365	1778
2001	11569	5915	17484	30810	1762
2002	11861	6185	18046	31357	1737
2003	12122	5596	18118	32789	1809
2004	12338	6376	18714	31227	1817
2005	12766	6076	18842	32924	1708
2006	14351	6831	21182	33500	1567
2007	16648	7924	24572	34100	1373

المصدر: جيلالي أمير، مرجع سابق، ص 194.

• op.cit, p132., El Bachir Zohra

شهدت نسبة الأطباء العامون انخفاضا ما بين سنة 2000 و سنة 2002، وذلك لأن نسبة الزيادة في السكان (3,26%) أقل من الزيادة في عدد الأطباء العامين (5,66%)، لتعود للارتفاع ابتداء من سنة 2003، وما يلاحظ من خلال الجدول أن الأطباء العامون يمثلون الأغلبية في القطاع العام مقارنة بعدد الأطباء في القطاع الخاص خلال الفترة ما بين 1995 إلى 2004 والجدير بالإشارة أن الزيادات المسجلة عموما في الممارسين الطبيين، هي نتيجة الزيادة في عدد الممارسين الطبيين الخواص. ونسجل في هذا الصدد على أن التغطية الصحية للسكان لا زالت بعيدة، مقارنة بعدد الهياكل التي يتمتع بها القطاع الصحي في بلادنا وهذا ما يتطلب من تكثيف الجهود للوصول إلى تغطية أفضل.

جدول رقم 04: تطور عدد الأطباء الأخصائيين في الجزائر 1995-2007.

ويخص في ذلك تطور عدد الأطباء في القطاع العام والخاص، وتطور نسبة التغطية الصحية كما هو موضح في الجدول التالي.

نسبة التغطية للسكان	عدد السكان × 10 ³	المجموع	القطاع الخاص	القطاع العام	الهيكل السنوات
4570	27800	6082	2528	3554	1995
3499	30365	8677	4522	4155	2000
3366	30810	9152	4861	4291	2001
3228	31357	9714	5216	4498	2002
3510	32789	9341	4700	4641	2003
3473	31227	10127	5606	4781	2004
2240	32824	11370	5043	6327	2005
2218	33500	14970	6640	8830	2006
2081	34100	16285	7224	9061	2007

المصدر: جيلالي أمير، مرجع سابق، ص 195.

من خلال الجدول أعلاه يتضح لنا بأن نسبة الأخصائيين في القطاع الخاص، عرفت ارتفاعا ما بين سنة 1995 إلى غاية 2002 إلا أنها تنخفض سنة 2003، ثم عادت إلى الارتفاع سنة 2004.

يتجلى في الجدول أعلاه أن عدد الأخصائيين يتوزع تقريبا بالتساوي بين القطاع العام و القطاع الخاص، أما في القطاع العام و التي تعرف تزايد في عدد الأطباء الأخصائيين خلال الفترة ما بين 1995 إلى 2004 و فيما يخص التغطية الصحية للسكان فنجدها في تحسن، و بالرغم من ذلك فهي تبقى غير كافية مقارنة بتزايد عدد السكان أي تزايد احتياجات المرضى لخدمات الأطباء المتخصصين.¹

¹ جيلالي أمير، مرجع سابق، ص 194، 195، 196.

جدول رقم 05: تطور تشكيلة الإداريين والتقنيين وعمال الخدمات في قطاع الصحة بالجزائر 1991-2004.

صنف العمال السنوات	الإداريين	التقنيين	عمال الخدمات	الإجمالي
1991	11908	-	39128	51036
1996	11671	734	46109	58514
2001	14270	2071	42784	59125
2002	13433	2303	42474	58210
2003	13500	2620	42358	58478
2004	13546	2837	42171	58554

المصدر: جيلالي أمير، مرجع سابق، ص 198.

يتبين من الجدول السابق أن عدد الإداريين قد عرف تزايد مستمر، وبلغت نسبة الزيادة بمقارنة سنة 1996 بسنة 2004 (16,06%) بينما سجل عدد التقنيين سنة 2004 زيادة بأكثر من ثلاثة أضعاف العدد الذي كان موجود سنة 1996 في حين عرف عدد عمال الخدمات انخفاضا تدريجيا ابتداء من سنة 1996 أما فيما يخص تطور تشكيلة عمال المؤسسات الصحية خلال الفترة 2002-2005 فيمكن عرضها كما يلي.

2.3.2 عمال المؤسسات الصحية: جدول يوضح تطور تشكيلة العمال في المؤسسات الصحية في الجزائر من 2002 إلى 2005.

جدول رقم 06: تطور تشكيلة عمال المؤسسات الصحية في الجزائر خلال الفترة 2002-2005.

السنوات	2002	2003	2004	2005
صنف العمال				
عمال إداريون	16526	16444	16407	16438
الطاقم الطبي	23016	23164	23033	23123
الطاقم شبه الطبي	92347	92578	92618	92439
عمال متعاونون	49035	49338	49466	49324
الإجمالي	180924	181524	181524	181324
عمال مؤقتين	9013	9013	9013	9013
المجموع	189937	190537	190537	190337

المصدر: جيلالي أمير، مرجع سابق، ص 198.

يتضح من الجدول أن تشكيلة عمال الصحة، تتكون بالدرجة الأولى من الطاقم شبه الطبي ثم العمال المتعاونين ثم ترتب الأصناف الأخرى، الطاقم الطبي ثم العمال الإداريين و أخيرا العمال المؤقتين.¹

¹ جيلالي أمير، نفس المرجع، ص 198.

III. مصادر وأنظمة تمويل القطاع الصحي في الجزائر:

يتم تمويل الإنفاق على الخدمات الصحية من الأموال العامة والخاصة والخيرية بالرغم من أن المعدلات تختلف كثيرا، كما تختلف الشروط المرتبطة بكل مصدر فإن الخصائص المحددة لها وطبيعة إدراك الناس للمخاطر الاجتماعية، والتكاليف المرتبطة بها تجعل ترك استهلاك الخدمات الصحية لآليات السوق فقط أمرا غير مرغوب فيه.

وسواء كانت قائمة التمويل تدار من خلال نظم حكومية أو تقدم من خلال نظام السوق مع وجود شبكة الضمان الاجتماعي فالحكومة تتدخل كثيرا في تنظيم وتقديم الخدمات الصحية من خلال منشآت صحية تديرها الحكومة، أما بالنسبة للجزائر فتعرف المنظومة الصحية محدودية في تسخير الموارد المالية الإضافية لضمان التكفل بالطلب المتزايد والنتائج أساسا عن التحولات الديموغرافية والمرضية التي تعرفها بلادنا، كما تعرف احتياجات السكان نموا وتنوعا بالنظر إلى تطور مستويات المعيشة التطور التكنولوجي في المجال الطبي وتدفق المعلومات، كل ذلك جعل الأفراد أكثر إلحاحا في طلب العلاج وتحسين نوعيته وخالصة القول أن النظام الحالي لتمويل الصحة العمومية في الجزائر مبني على ثلاثة معايير أساسية وهي:

☑ مساهمة الدولة.

☑ الضمان الاجتماعي.¹

☑ الأسرة.

وعلى هذا الأساس سنتطرق إلى نظام التمويل من 1962 إلى 1974 ونظام التمويل سنة 1974 (أي نظام التمويل بعد إحداث الطب المجاني) إلى يومنا هذا، وكذلك سنتطرق إلى تشخيص نظام التمويل للقطاع الصحي عبر التطرق إلى مختلف النقاط الإيجابية والسلبية التي يتضمنها النظام مع ضرورة التفكير في مصادر جديدة للتمويل في المستقبل.

جدول رقم 07: تطور الإنفاق الصحي في الجزائر من 1979-2009.

2009	2005	2003	2000	1988	1979	السنوات
585503	294249	148940	105503	15600	1842	مصادر الإنفاق
93759	68326	41955	38368	4103,1	10	الإنفاق العام
5,8	4,3	4,3	3,5	6	3,5	النفقات الخاصة
						الإنفاق الصحي من الناتج الداخلي الخام PIB
268	150	77	63	-	-	الإنفاق الصحي للفرد بالدولار الأمريكي
679262	362575	190895	143870	19822	1852	مجموع النفقات بالملايين DA

Source :- pour 1979 et 1988 : Kaïd Tlilane N : Le système de santé Algérien entre efficacité et équité : Essai d'évaluation à travers la santé des enfants, enquête dans la wilaya de Bejaia, Thèse de Doctorat d'Etat en Sciences 4. Université d'Alger, 2003, p 88. -Pour 2000, 2003, 2005 et 2009 : OMS, rapport sur la santé dans le monde, septembre 2010. In www.who.int.

¹ محمد علي دحمان، تقييم نفقات الصحة والتعليم، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية مدرسة الدكتوراه تخصص: تسيير المالية العامة، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان الجزائر، 2011، ص 56.

وفقا لأرقام البنك الدولي لعام 2006، تنفق البلدان ذات الدخل المرتفع ما متوسطه 7,7 % من ناتجها المحلي الإجمالي على الإنفاق الصحي، بينما تبلغ النفقات في البلدان متوسطة الدخل 5,8 % من الناتج المحلي الإجمالي ولا تنفق البلدان المنخفضة الدخل سوى 4,7 % من ناتجها المحلي الإجمالي على الصحة.¹

أما في الجزائر الإنفاق الصحي الوطني من الناتج الداخلي الخام المحلي الإجمالي 3,5 % سنة 1979 و 6 % سنة 1988 و 3,5 % سنة 2005، وكان الانخفاض في الإنفاق على الصحة راجع للتدابير التي اتخذتها السلطات في إطار برنامج العمل الاستراتيجي، وعرف سنة 2009 ارتفاعا محسوسا بلغ 5,8 % ويرجع هذا التحسن إلى الانتعاش الاقتصادي في الجزائر خلال السنوات الأخيرة، ومن حيث القيمة ازدادت النفقات الصحية الوطنية زيادة كبيرة إذ بلغت 1852 مليون دج سنة 1979 وارتفعت إلى 19822 مليون دج سنة 1988 بقيمة مضاعفة قدرها 10,7 خلال هذه الفترة، وتضاعفت نسبة الإنفاق من 1979 إلى غاية 2009 بقيمة قدرها 679262، وتعتبر مصادر الإنفاق العامة مصدر مهم للإنفاق على الصحة حيث بلغت نسبة التمويل من هذا المصدر ما قيمته 1842 سنة 1979 إلى غاية 585503 سنة 2009 في حين بلغت نسبة الإنفاق من مصادر خاصة سنة 2009 ما قيمته 93759.

1.3 نظام التمويل من 1962 إلى 1974: لقد تميز نظام التمويل خلال هذه الفترة بضعف الوسائل وهذا راجع إلى الوضعية الصحية التي كانت تعيشها البلاد حيث كانت تسعى إلى إعادة تنشيط الهياكل الصحية الموروثة عن الاستعمار هذا ما جعل نسبة الإنفاق على الخدمات الصحية ضئيلة، حيث أنها لم تكن تتجاوز 1,5 % من الناتج القومي الخام، وعلى العموم فقد تميزت هذه الفترة بثلاثة مصادر أساسية للتمويل.

❖ التسبيقات: هي عبارة عن مساهمة الهيئات العمومية أي الدولة و الجماعات المحلية والتي كانت تقدر بحوالي 60 % وقد كان الأشخاص المستفيدون من هذه المساعدات الطبية المجانية معظمهم مشكلين من الأشخاص المعوزين وبالتالي ونتيجة لهذه الوضعية فإن الأشخاص المرضى المعنيين بهذا الإجراء والذين كانوا يمثلون نسبة كبيرة من المواطنين لم يكونوا يستفيدون بصورة جيدة من العلاج، حيث كانت النفقات الصحية التي تصرف على هؤلاء المرضى تسدد إلى المؤسسات الصحية حسب النسب التالية:

➤ 85 % من طرف الخزينة العامة.

➤ 15 % من طرف صندوق التضامن للدوائر والبلديات.

➤ 8 % لحساب الدوائر.

➤ 7 % لحساب البلديات.

❖ عائدات تسديد المصاريف: أي أن الضمان الاجتماعي يتحمل 30 % من النفقات الإجمالية للهيئات العمومية لصالح المنخرطين (المؤمنين و ذويمهم)، وتحسب هذه التسبيقات على أساس تسعيرة (تعتمد على سعر اليوم) المحدد سنويا من طرف السلطات العمومية.

❖ الموارد الخاصة: تأتي هذه المساهمة من قبل أصحاب المهن الحرة الذين لا يخضعون لأي نظام تأمين مقابل علاجهم (كأصحاب الأعمال الحرة، التجار، الحرفيون...الخ) فبعد التكفل بهذا النوع من المرضى من قبل الهيئات العمومية يقوموا بدفع نفقاتهم مباشرة عند مغادرة المؤسسة الصحية، وقد كانت تمثل هذه المساهمة حوالي 10 % من النفقات العامة للصحة رغم أن نظام التمويل السائد خلال تلك الفترة قدم مجموعة من المزايا فيما يخص التسيير المالي إلا أنه وبالمقابل كان له جملة من

¹Banque Mondiale : A la recherche d'un investissement public de qualité en Algérie, Banque mondiale, rapport n° 36270-dz, Volume 1, août 2007, P.172. In www.worldbank.org.

العراقيل والتي تمثلت في تراكم حجم الديون العامة الغير مغطاة، إضافة إلى الحواجز المالية التي حالت دون تلبية حاجيات المواطنين كل هذه الأوضاع كانت دافعا للسلطات العامة نحو التفكير في نظام جديد لتمويل الهياكل الصحية بالجزائر.¹

2.3 نظام التمويل من 1974 إلى يومنا هذا:

إن تطبيق مجانية العلاج سنة 1974 رافقه مواجهة عميقة لأساليب تمويل المؤسسات الصحية حيث تم استبدال السعر اليومي بإجراء جديد يتمثل في الميزانية العمومية فلقد سمح هذا الإجراء الجديد بإزاحة الحواجز المالية أمام المرضى من أجل تلبية احتياجاتهم الصحية، بحيث أصبحت تمنح المؤسسات الصحية ميزانية إجمالية في شكل جزافي (تحدد عن طريق قانون المالية) أين تحتوي على ثلاثة مصادر أساسية للتمويل:

☑ مساهمة الدولة.

☑ مساهمة صندوق الضمان الاجتماعي.

☑ مساهمة الأسرة.

❖ مساهمة الدولة: لقد كان النظام الساري لتمويل الهياكل الصحية إبان الاستقلال يعتمد على المساهمة العمومية من طرف الدولة والجماعات المحلية، حيث كانت تقدر ب 60% من مجموع النفقات الصحية، إلا أن إحداث الدولة للطب المجاني سنة 1974 وإلغاء نظام التسعيرة الاستشفائية فإن مساهمة الدولة أصبحت تحدد بصفة جزافية، ونشير على الجماعات المحلية التي كانت تساهم بنسبة 5% أعفيت من التمويل ابتداء من سنة 1980 وهو ما يعني خسارة أحد موارد التمويل و بالتالي مساهمة الدولة في تمويل قطاع الصحة خلال هذه الفترة قد أصبحت تقارب نسبة 76,5%.

تعتبر مساهمة الدولة في تمويل قطاع الصحة خلال السنوات الأولى لمجانبة العلاج جد مهمة ولكن بدأت في التناقص خلال الفترة ما بين 1979-1988 أي بحلول الأزمة الاقتصادية التي بدأت في الظهور منذ منتصف الثمانينات وكذا نتائج إعادة الهيكلة التي طبقتها الجزائر بدعم من الهيئات والمؤسسات الدولية، كل هذه الأمور شكلت عائق أمام تجنيد الموارد اللازمة لتمويل القطاع الصحي حيث انخفضت نسبة مساهمة الدولة في تمويل هذا القطاع إلى أقل من 20% سنة 1989.

ونشير أن هذا التناقص في إعانات الدولة لم يدم طويلا حيث لوحظ انقلاب في نسبة مساهمة الدولة في قطاع الصحة من 59% إلى 83% ولعل ذلك مرده للعجز الدائم الذي أصبح يعاني منه صندوق الضمان الاجتماعي، كما ساهمت الوضعية المالية الجيدة التي تعيشها البلاد نتيجة ارتفاع في أسعار البترول إلى تزايد نسبة الاعتمادات المخصصة لقطاع الصحة خاصة مع تزايد الطلب على العلاج من قبل الأفراد والجدول التالي يوضح أكثر مدى مساهمة الدولة في تمويل قطاع الصحة.²

محمد علي دحمان، مرجع سابق، ص 57، 1.58

محمد علي دحمان، نفس المرجع، ص 59، 2.60

جدول رقم 08: مدى مساهمة الدولة في تمويل قطاع الصحة.

السنة	اعتمادات الدولة لقطاع الصحة ب 10 د.ج.	نسبة تمويل قطاع الصحة.
1991	9000000	0,44
1992	15106000	0,60
1993	15246000	0,57
1994	18168095	0,59
1995	21276280	0,58
1996	25536787	0,59
1997	27983000	0,59
1998	28780880	0,58
1999	31245515	0,58
2000	33036043	0,60
2001	36260000	0,61
2002	46752201	0,65
2003	60731718	0,67
2004	66267647	0,67
2005	59455922	0,57
2006	73468310	0,66
2007	106660000	0,74
2008	139040817	078

Source : direction du budget du ministère de la santé de la population et de la réforme hospitalière.

3.3 مساهمة صندوق الضمان الاجتماعي:

يعتبر تمويل الصحة في الجزائر عن طريق الضمان الاجتماعي من أهم النقاط الواجب التطرق إليها نظرا لوزن الضمان الاجتماعي كعمول رئيسي.

لقد تأسس الضمان الاجتماعي في الجزائر سنة 1949 نتيجة لتوسع شريحة العمال، حيث أنه تكفل منذ الاستقلال بالنفقات الصحية لفئة من الأشخاص المؤمنين اجتماعيا وذويهم (العمال، الأجراء، الموظفين وغيرهم). من خلال نمط التأمين على المرض والذي يعتمد على سعر اليوم الاستشفائي الذي كان يحدد سنويا بـ 30% من النفقات الإجمالية للهيئات الصحية العمومية.

لقد عرف نظام الضمان الاجتماعي إبان الاستقلال فائض مالي يعود إلى عدة عوامل:

✓ الحفاظ على التعريف الضعيف لتسديد النشاطات الطبية التي كانت تتم في القطاع الخاص فعدم احترام التسعيرة من طرف الأطباء ترك الأفراد يدفعون نفقات تفوق ما يتم تسديده من طرف صندوق الضمان الاجتماعي (فهذا الأخير كان يسد 80% فقط من قيمة المدونة).

✓ عدم قدرة المستشفيات على تقديم الفواتير المتعلقة بالنفقات الطبية التي يتحملها الضمان الاجتماعي.

✓ ضمان حق المؤمن يستلزم جملة من الإجراءات و نظرا للمستوى التعليمي الضعيف الذي كان سائدا آنذاك، فعدد قليل من العمال كانوا يستفيدون من تسديدات الضمان الاجتماعي.

رغم المراحل الصعبة التي مر بها الضمان الاجتماعي حيث أنه في 1963 تم إيداع أمواله لدى الخزينة العمومية لأن البنوك آنذاك كانت أجنبية.

في 1971 عن طريق سياسة تجميد الادخار التأسيسي قامت الخزينة العمومية باقتراض كل الأموال الاحتياط المتاحة، في سنة 1972 تم استبدال التسعيرة الفردية للنفقات الجزافية لكن بإحداث السلطات العمومية لمجانبة العلاج في القطاع العمومي سنة 1974، والذي كان من بين آثاره اعتماد نظام التمويل الاستشفائي الجزافي بالنسبة للمؤسسات الصحية وهذا بالضرورة تغيير طبيعة العلاقة السائدة بين الضمان الاجتماعي والمؤسسات الصحية.

وقد تزامن إنشاء هذا النظام مع توسع القاعدة الاجتماعية والمالية للضمان الاجتماعي نتيجة تزايد عدد المؤمنين اجتماعيا من 1208854 سنة 1973 إلى 3000000 سنة 1984 أي بزيادة سنوية بمعدل 20% وعليه فقد تطور فائض الصندوق 25 مليون دج إلى 1493 مليون دج سنة 1980 وبالتالي مساهمة الضمان الاجتماعي في تمويل المؤسسات الصحية قد تأكدت يوما بعد يوم فبعدما كنت مساهمته لا تتعدى 23,5% في قطاع الصحة سنة 1974 أصبحت تفوق 40% حيث وصلت سنة 1983 إلى 49% وفي 1989 إلى 60%.

جدول رقم 09: مدى مساهمة الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي في تمويل قطاع الصحة بالجزائر.

السنة	مساهمة صندوق ضمان الاجتماعي ب10 دج.	نسبة مساهمة الصندوق الوطني لضمان الاجتماعي
1990	8600000	0,66
1991	9500000	0,47
1992	9500000	0,38
1993	9983000	0,38
1994	11250000	0,37
1995	13551000	0,37
1996	16576000	0,38
1997	17972000	0,38
1998	19652000	0,40
1999	19872000	0,37
2000	20540477	0,37
2001	21500000	0,36
2002	24000000	0,33
2003	24000000	0,26
2004	25000000	0,25
2005	35000000	0,34
2006	35000000	0,31
2007	35000000	0,24
2008	38000000	0,21

Source : direction du budget du ministère de la santé de la population et de la réforme hospitalière.

4.3 مساهمة العائلات:

رغم أن هذا المصدر غير هام لتمويل الصحة لكنه سرعان ما تطور برفع الحواجز أمام الخواص في مجال الصحة فهذه الحالة تفسر بالتجاوزات في التعريفات الطبية من طرف القطاع الخاص لأن هذا الأخير لم يحترم التسعيرة الرسمية ولا يوجد أي جهاز يقوم بمراقبة هؤلاء الأطباء أضف إلى ذلك زيادة الأسعار المدونة فهناك من العائلات غير مؤمنة، و بالتالي وهي مجبرة على تحمل النفقة كلياً، والبعض الآخر منهم لا يطالب بالتعويض من طرف صندوق الضمان الاجتماعي كما توجد ظاهرة أخرى وهي تخص التداوي من دون اللجوء للطبيب من خلال شراء الأدوية من دون وصفة طبية.

وعلى العموم تبقى مساهمة الأسرة في تمويل القطاع الصحي بالجزائر مساهمة معتبرة، خاصة خلال السنوات الأخيرة أين وصلت نسبة مساهمة الأسرة في تمويل القطاع الصحي إلى 24,7 % سنة 2006.¹

جدول رقم 10: مدى مساهمة العائلات في تمويل قطاع الصحة

السنة	1990	1991	1992	1993	2005	2006
مساهمة العائلات ب 10 دج	6624	8288	12594	14582	/	/
نسبة التمويل ب%	29%	25,6%	27%	27,6%	25,2%	24,7%

المصدر: وزارة الصحة و السكان.

5.3 مصادر تمويل وتكلفة الخدمات الصحية:

كما ذكرنا سابقا أن مصادر تمويل النظام الصحي كانت تعتمد على مساهمة الدولة، والصندوق الوطني للضمان الاجتماعي (CNAS) وكذلك مدى مساهمة العائلات وهي مصادر التمويل الأساسية لهذا القطاع، التمويل الوطني للقطاع الصحي تجاوز 6 % في سنوات الثمانينات ليبلغ 4,6 % سنة 1993 و 3,6 % سنة 1998 وهي موزعة على النحو التالي 44,44 % للدولة، 27,78 % للتأمينات الاجتماعية و 27,78 % للعائلات.

قدرت نسبة النفقات الصحية للعائلات 165 دولار سنة 1990، ولم يتجاوز 58 دولار سنة 2001 في حين أوصى البنك الدولي سنة 1993 بأن النفقات الصحية لا تقل عن 62 دولار للفرد الواحد في البلدان النامية، وبسبب الأزمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية الأخيرة أدت إلى تدهور الأوضاع المعيشية وزيادة الفقر مما أدى إلى انخفاض فرص الحصول على الرعاية الصحية.

ويبقى التأمين حول المرض من طرق تمويل الرعاية الصحية فما لا يقل عن 90 % من سكان الجزائر في السنوات الأخيرة، وتم دمج العديد من المجموعات السكانية في نظام التأمين الصحي الإلزامي (المعوقين، والطلاب، والمستفيدين من شبكة الضمان الاجتماعي والمجاهدين) وشملت التغطية كل هؤلاء السكان من خلال الضمان الاجتماعي للحصول على الرعاية الصحية في القطاعين العام والخاص.²

¹ محمد علي دحمان، مرجع سابق، ص 64.

² Nouara Kaid, *Le système de santé Algérien entre efficacité et équité (essai d'évaluation à travers la santé des enfants enquête dans la wilaya de Bejaïa*, thèse pour le doctorat d'état en sciences économiques, des sciences commerciales et de gestion, Université d'Alger, 2003, pp 87, 88.

جدول رقم 11: تطور مصادر تمويل ميزانية القطاعات الصحية والنفقات الصحية الوطنية.

النفقات الصحية الوطنية بمليون دج	العائلات	أخرى	الضمان الاجتماعي	الدولة	مصادر التمويل	السنة
847,3	-	-	23,49	76,51		1974
1.852	-	0,54	38,58	60,88		1979
4.278,7	-	2,83	49,13	48,04		1983
8.140	-	2,00	61,40	36,60		1986
10.126	-	1,59	64,20	34,21		1987
19.822	20,7	-	51,2	27,5		1988
42.667	29,6	-	39,9	30,5		1992
59.970	28,4	-	37,1	34,5		1994
96.100	31,3	-	44,4	24,3		1996
-	27,27	-	27,78	44,44		1998
-	26,7	-	26,02	47,27		2000
-	24,7	-	24,01	48,42		2002
-	22,6	-	27,01	50,38		2003
-	27,5	-	24,01	48,43		2004
-	18,8	-	27,4	53,8		2006
-	18,8	-	30,9	50,7		2007
-	13,9	-	31	55,1		2008
-	13,8	-	31	55,2		2009

Source : Nouara Kaid(2003), opcit.

6.3 تشخيص الجوانب الإيجابية والسلبية لنمط التمويل في الجزائر:

إن إصلاح المنظومة الصحية في الجزائر أصبح أكثر من ضروري في الوقت الحالي وذلك بالنظر إلى مجمل الاختلالات المسجلة في مجالات التسيير، وضعف التكامل بين القطاعين العام والخاص، لكن بالرغم من التطور السريع الذي حققه قطاع الصحة في الوقت الراهن إلا أنه تبقى مسألة التمويل محور الإصلاحات المعتمدة، وعلى هذا الأساس سوف نحاول التطرق إلى بعض النقاط الإيجابية وكذا السلبية التي تخص جانب التمويل لهذا القطاع.

➤ إيجابيات نظام تمويل الصحة:

✓ إن نظام التمويل الجزائري عن طريق الضمان الاجتماعي له جانب إيجابي من حيث الطابع التضامني في التكفل بالعلاج لشرائح كبيرة من المجتمع بغض النظر عن التعريف الاجتماعية وبالتالي يمكن الاحتفاظ بهذا النمط مع تكيفه بمنظومة متكاملة الجوانب.

✓ كما أن هذا النمط من التمويل والذي يعتمد بالدرجة الأولى على الدولة كمول رئيسي للقطاع، فهو يضمن بقاء الجانب الاستشفائي في إطار التضامن الوطني وبالتالي المحافظة على الحد الأدنى للتوازن على المستوى الاجتماعي، وهذا من خلال إشراف السلطة العامة على التخطيط والتنظيم لمختلف البرامج.

✓ كما أنه من بين المحاور الأساسية التي يعني بها قطاع الصحة وهو قضية البحث عن مصادر جديدة لتمويل القطاع وهذا من خلال التفكير في فرض رسوم على النشاطات المضرة بصحة المواطن.

➤ سلبيات نظام التمويل:

✓ تراجع ميزانية القطاع الصحي خاصة خلال الفترة الممتدة من 2001 إلى 2005 حيث أنها كانت تمثل 4,1 % من الناتج الداخلي الخام لسنة 2001 لتقلص إلى 3,5 % لسنة 2005 هذا ما انعكس سلبا على الخدمات الصحية (الوسائل الطبية المخصصة للعلاج لاسيما الأدوية والأجهزة الطبية).¹

جدول رقم 12: تطور النفقات الوطنية للصحة بالنسبة للناتج الداخلي الخام (PIB).

السنة	نسبة الإنفاق العام على الصحة بنسبة المئوية من الناتج الداخلي الخام (PIB)
1995	3,70
1996	3,35
1997	3,60
1998	3,60
1999	3,43
2000	3,49
2001	3,84
2002	3,73
2003	3,60
2004	3,54
2005	3,23
2006	3,35
2007	3,82
2008	4,20

Source : Banque mondiale-perspectives monde 2015.

¹ محمد علي دحمان، مرجع سابق، ص 65، 66.

✓ يضاف إلى هذا الارتفاع في ديون قطاع الصحة التي وصلت إلى 11,7 مليار دينار جزائري لسنة 2004 وهي موزعة كما يلي:

جدول رقم 13: نسبة الدين لقطاع الصحة حسب الهياكل سنة 2004.

القطاعات الصحية	المؤسسات الاستشفائية المتخصصة	المراكز الاستشفائية	الهياكل الصحية
63,5	7	29,5	نسبة الدين %

40

المصدر: علواني عديلة، تقييم آثار طرق تمويل الصحة العمومية على أداء الخدمات الصحية في الجزائر، رسالة ماجستير في العلوم الاقتصادية، فرع تسيير، جامعة بسكرة، 2004، ص 85.

يبين الجدول نسبة الديون في القطاع الصحي حسب الهياكل وتبين أن أكثر الهياكل الصحية من حيث نسبة الدين هي القطاعات الصحية حيث بلغت نسبة الديون لهذه القاعات لوحدها ما نسبته 63,5 %، أم المراكز الاستشفائية قدرت نسبة الديون فيها 29,5 %، و 7 % للمؤسسات الاستشفائية المتخصصة، ومما لا شك فيه أن هذه الديون سوف تنعكس سلبا على الأداء الحسن للهياكل الصحية بالجزائر وكذا نوعية العلاج والخدمات الصحية المقدمة من طرف هذه المؤسسات الصحية.

خاتمة:

بما أن الخدمات الصحية تعتبر من أهم الخدمات التي تهتم الفرد، المجتمع والدولة بصورة عامة لما لهذه الخدمة من أهمية في توفير حالة من الأمان والاستقرار للفرد عن دراية بقدرته على الوقاية من الأخطار والعلاج عند المرض، بالإضافة إلى كون هذه الخدمة تمثل نقطة انطلاق في مسيرة التنمية والبناء والاستقرار الاجتماعي إذا ما أحسن توجيهها وإدارتها وتواصلت على أسس علمية صحيحة وتخطيط سليم.

غير أن ذلك لن يتحقق بالضرورة إلى من خلال إنتاج هذه الخدمة وإدارة صناعتها بطريقة علمية وفعالة مبنية على الأسس الإدارية صحيحة من تخطيط، تنسيق، تنظيم، تمويل وتسويق مع مراعاة خصوصية الخدمة الصحية ومساسها بحياة الإنسان وعافيته؛ ولهذا وجب على كل الدول العمل على تأمين نظام صحي فعال قادر على توفير ما يلقي رضا المرضى واستحسانهم مع التركيز على آليات تمويل هذا النظام والعمل الدائم على إصلاحه وإصلاح نماذج التأمين الصحي المطبقة باعتباره المورد الأساسي لتمويل الخدمة الصحية.

قائمة المراجع:

باللغة العربية:

1. أمير جيلالي، محاولة دراسة تسويق الخدمات الصحية في المنظومة الاستشفائية الجزائرية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية و علوم التسيير فرع التخطيط، كلية العلوم الاقتصادية و علوم التسيير قسم العلوم الاقتصادية، جامعة الجزائر، 2009.
2. علي محمد دحمان، تقييم نفقات الصحة والتعليم، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية و التسيير و العلوم التجارية مدرسة الدكتوراه تخصص: تسيير المالية العامة، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان الجزائر، 2011.

3. عديلة علواني ، تقييم آثار طرق تمويل الصحة العمومية على أداء الخدمات الصحية في الجزائر، رسالة ماجستير في العلوم الاقتصادية، فرع تسيير، جامعة بسكرة، 2004.

راجع باللغة الفرنسية:

4. Banque mondiale-perspectives monde 2015.

5. Banque Mondiale : A la recherche d'un investissement public de qualité en Algérie, Banque mondiale, rapport n° 36270-dz, Volume 1, août 2007.

6. direction du budget du ministère de la santé de la population et de la réforme hospitalière.

7. El Bachir Zohra, **Evolution de la mortalité en Algérie**, mémoire présenté en vue de l'obtention du diplôme de magistère en démographie, faculté des sciences sociales département de démographie, université d'Oran, 2013.

8. Nouara Kaid, **Le système de santé Algérien entre efficacité et équité (essai d'évaluation à travers la santé des enfants enquête dans la wilaya de Bejaïa)**, thèse pour le doctorat d'état en sciences économiques, des sciences commerciales et de gestion, Université d'Alger, 2003.

9. OMS, rapport sur la santé dans le monde, septembre 2010.

ثقافة ينّاير في المجتمعات المحليّة بين الامتدادات الميثولوجية والممارسات الطقوسية

مقاربة أنثروبولوجية "المجتمع التبسي نموذجاً"

أ. صحرة شعويّة، طالبة دكتوراه•د. براك خضرة، أستاذ مكّون لطلبة الدكتوراه/جامعة تبسة، الجزائر

January culture in communities between mythological extensions and realistic practices

-Anthropological approach- "Tebessa community is a model"

Sahra Chaaouia•Barak Khadhra University, Tebessa, Algeria

ملخّص :

تعتبر احتفالية ينّاير من أبرز معالم التراث الثقافي الجزائري، وتكتسي أهميتها من أهمية مدلولاتها الثقافية التي تهدف الى اثبات الهوية الحضارية، وما تحويه من غموض في الممارسات الطقوسية، حيث جاءت هذه الدراسة لتحاول البحث في أليات الاحتفالية وأهم طقوسها، والكشف عن أسسها الحضارية وممارساتها الثقافية ودلالاتها الرمزية، ومُحاوَلَةً مَنّا لتحقيق ذلك قمنا بالإحاطة بالظاهرة من كل جوانبها باستخدام مقاربات منهجية متكاملة ومتساندة وظيفيا، كما تمّ الاستناد الى الوصف الانثنوغرافي كمرحلة سابقة للدراسة، والى مجموعة من الأدوات البحثية لاستكشاف الميدان وتسجيل المعطيات وجلب البيانات أهمها: الملاحظة بالمشاركة، المقابلة بنوعها الفردية والجماعية، التصوير والتسجيل الصوتي، الاخباريين، ونظرا لمحدودية زمن الدراسة وكبر المجتمع الأصلي، كانت عينة الدّراسة قصديّة منتقاة حسب الظروف المواتية للبحث والقابلة للدّراسة والتّقصي، وقد أسفرت هذه الدّراسة على جملة من النّتائج تشير الى أنّ منظومة الطّقوس المكوّنة لاحتفالية ينّاير تعتبر وسيلة من وسائل التّعبير عن علاقة الفرد بعالمه الخارجي وفق معياره الفكري المنبثق من الفكر الجماعي.

الكلمات المفتاحيّة: الاحتفال - التراث الثقافي - الطّقوس – المجتمع التبسي - ينّاير.

مقدمة :

يعتبر التراث الثقافي ميدانا خصبا وثريا للدراسات العلمية لاسيما البحوث الامبريقية (الانثروبولوجيا بالتحديد)، فهو كنز ثمين وميدان بكر لا يزال عامرا بالأسرار والخبيايا والممارسات الغامضة، التي لا تزال بحاجة ماسة الى دراسات تسبر أغوارها وتحليلات تغوص في خباياها لتحل غموضها وتفكّ شيفراتها، فهو خزّان ثريّ ملتصق بالإنسان يأبى الانفصال عنه، فحاضرنا اليوم يخبرنا عن ماضيها العريق الذي نتلوه بصيغ مختلفة ومتعدّدة، بأصوله ورموزه وممارساته الطقوسية المختلفة، وهنا يحضرني قول الباحث الانثروبولوجي جان كوبان JEAN.COPANS "أصبح التراث الثقافي يشكّل أنواعا من الوقائع الاجتماعية الكليّة التي تشير الى شكل من أشكال الوعي السوسولوجي الذي يجب أن يظهره الفاعلون لفهم العالم الذي يعيش فيه" كما أنّه يستمد خصوصيّته من خصوصيّة المجتمع المحلي، وهذا يكون مجالا رحبا يضمّ العديد من العناصر الثقافية المتنوعة التي ابتكرها الوجدان الشعبي، وصاغتها ضمائر الجماعة، ولذلك وحسب كوبان فهو يتخلل جميع المظاهر السلوكيّة ويتداخل مع جميع الأفعال الاجتماعية بقدر معين، والمجتمع الجزائري على غرار باقي المجتمعات يزخر بتراثه الثقافي الغني، حيث تعدّ الجزائر من المناطق الهامّة العريقة بتاريخها والغنية بتراثها الحضاري وموروثها الثقافي، الذي يحكي عن العراقة الممتدة في عمق الحضارة البشرية، الا أنّنا اليوم وفي سياق هيمنة العولمة أصبحنا نخشى الضياع لهذا التراث في ظل الثقافات الدخيلة المنطوية تحت لواء العولمة الثقافية أو ما يعرف بالتناقف، ونخشى ذوبانه وانصهاره في ثقافة الآخر والانسلاخ والتجرّد من خصوصيته المحلية تحت راية ترمين الحوار المتبادل بين الثقافات، لذا كان لزاما علينا الحفاظ على تراثنا والتمسك به عبر دراسة تحليلية ومن ثمة توثيقه والتعريف به، فهذا التراث يشكّل نسيجاً حضارياً أصيلاً ومتميزاً بخصوصياته المتباينة تباين مجتمعاتنا المحلية، و من بين أشكال هذا النسيج نجد ذلك الاحتفال الذي تشترك فيه بلدان شمال افريقيا عموماً والمجتمع الجزائري خصوصا، ويطلق عليه تسمية يتأير أو راس العام، والذي يشكّل تظاهرة ثقافية شعبية تمثّل أبرز الممارسات التراثية في الجزائر، وأحد أهم الاحتفالات الشعبية التي تستمد أهميتها ممّا تحمله في طياتها من معتقدات وطقوس تحوي دلالات عميقة. الاشكالية: إنّ تصوّر ثقافة يتأير في المجتمع الجزائري عموماً والمجتمع التبسي خصوصا كعنصر هام من عناصر التراث الثقافي الروحي جانبا أساسيا تحدّد في ضوءه مجموعة من المعتقدات والتقاليد، ترتب عنها مجموعة من الممارسات الاجتماعية والطقوس التي يتم استدعاؤها كلّما سمحت الظروف بذلك وفقا لتكرارات زمنيّة معينة والدّارس المتمعن في حيثيات هذه التظاهرة الثقافية التراثية يتساءل حول أصولها، وكيفية صياغة مبادئها ومعتقداتها التي نصّت عليها الذاكرة الجماعية للأفراد ممّا جعلها ثقافة موحّدة ومتّفق عليها عبر كافّة ربوع الوطن حيث ارتبطت احتفالية يتأير في المخيال الشعبي بقيم تاريخية وغيبية، ومثّلت عبر العصور تلك العلاقة الرّاقية بين الانسان والتاريخ وأبين الانسان والأرض، إلا أنّه وفي ظل التغيرات البنوية الكبرى التي مسّت المجتمع الجزائري، تغيّرت أنماط عيش الأفراد، كما تغيّر تفكيرهم، الى جانب عزوفهم عن الحياة الشعبية بطرقها وممارساتها، وهكذا بدأت الكثير من العادات والتقاليد في الإندثار لاسيما التي تميّز الإحتفالات الشعبية ويتأير لم يكن بمعزل عن هذا العزوف، رغم طقوسه الغامضة وهذا ما يجعل منه موضوعا مثيرا للدراسة والتحليل، للتعرف على تاريخ هذه الظاهرة الاحتفالية والكشف عن مظاهرها الثقافية وأهم ممارساتها وطقوسها المتجدّرة في المخيال الشعبي للأفراد، ونظرا لأهميّة الموروث الثقافي المحلي في تكوين شخصية الفرد الجزائري، وإيماننا ممّا بأهميّة المحافظة على هويّتنا الوطنيّة

وانطلاقاً من أهمية هذه الاحتفالية، والغموض في ممارساتها الطقوسية رأينا أنه لابد من إعادة انتاج الميدان الانثروبولوجي المحلي والتعرض لهذا الموضوع والبحث في الأسس والأبعاد الاجتماعية والوظائف البنيوية للطقوس الممارسة، وتحليل دلالاتها الرمزية، والولوج بهذه الدراسة الى الساحة العلمية، كونها تكتسي أهمية بالغة تستمدتها من أهمية الموضوع المدروس لاسيما وأنّ البحوث في هذا المجال الطقوسي ليتهاي قليلة جداً إن لم نقل منعدمة في المجتمع التبسي، لذلك تسعى هذه الدراسة الى توثيق هذا الموروث الثقافي قبل زواله بموت حامله وهم كبار السن الذين في محاولة منهم للمحافظة على تراثهم الروحي وكيانهم المعنوي، وللإحاطة بالموضوع أشكلنا دراستنا في التساؤل المحوري التالي: ما تمثلات أفراد المجتمع المحلي التبسي لاحتفالية ييناير في ظل عولة الثقافة؟ وللإجابة على هذا الاشكال الرئيسي للدراسة قمنا بصياغة التساؤلات الفرعية التالية:

1- مظاهر الاحتفال بييناير في المجتمع التبسي ؟

2- ما الدلالات الرمزية لمنظومة الطقوس التي تتضمنها احتفالية ييناير في المجتمع التبسي ؟

وبما أنّ الميدان هو المتحكّم في سير البحث وبما أنّ طبيعة البحث هي التي تحدّد منهجيته من خلال تحديد نوع المقاربات المنهجية والمفهمية التي يتبنّاها الباحث وكذا تحديد التقنيات والأدوات البحثية التي يستخدمها في استقراء المعلومة واستنطاق الميدان، وحتى نتمكن من تحقيق الأهداف المسطرة لهذه الدراسة والاجابة على أهمّ تساؤلاتها الموضوعية والمتمثلة في التقصي حول تاريخية التظاهرة وتحديد معالمها من خلال تحديد معتقدات الأفراد الطقسية وفهم دلالاتها، قمنا بجمع مدونات مرتبطة بالحياة اليومية، "اعتماداً على الوصف الانثنوغرافي كمرحلة سابقة للدراسات الانثروبولوجية المعمّقة، ثمّ اعتماد التحليل الانثنولوجي، ولأنّ ظاهرة الاحتفال بييناير شديدة التعقيد لتداخل العديد من المدلولات الرمزية وتداخل أدوارها الوظيفية ممّا يجعلها حسب فكر مارسيل موس (ظاهرة اجتماعية كئيبة ينبغي أن تدرس من كلّ زواياها وجوانبها لكي نستطيع فهمها) ولتحقيق ذلك حاولنا تفسيرها من خلال توظيف مجموعة من المقاربات المنهجية المتساندة وظيفياً و المتقاطعة معرفياً، بما يخدم موضوع البحث ويساعد على تحليله من مختلف الزوايا واستكشافه بمختلف الطرق والتقنيات لمعرفة الكامن في الإرث المعرفي والثقافي واستجلاء المسكوت عنه واللامفكر فيه واعادة قراءة ما وصلنا اليه وفكّ رموز ما هو راھني من ظواهر للوقوف على ما هو مُعاش ومُمارس في المجتمعات الانسانية"¹ حيث تمّ الاعتماد على المقاربات التالية:- المقاربة التاريخية فعلى الرغم من اختلاف الانثروبولوجيين حول علاقة التاريخ بالانثروبولوجيا، فاعتبرها البعض علاقة عقيمة تنافي مع الطرح الانثروبولوجي امثال مالبينوفسكي، باعتبار التاريخ علم تخميني وافترضى لأحداث ماضية بينما الانثروبولوجيا قائمة على الشواهد الميدانية الملموسة والمرئية والمعاشة، في حين يشير البعض أنّها علاقة معرفية مفيدة ومثمرة، باعتبار العلوم متداخلة ومتراصلة وظيفياً، حيث يمكننا اتباع السيرورة التاريخية للظاهرة بهدف الوصول الى تفسيرات أنثروبولوجية في سياقها الحالي² وقد تبّينا في بحثنا المقاربة التي تبرز العلاقة الايجابية بهدف رصد تاريخية الاحتفال بييناير والبحث في أصله، وأسباب استمراريته.

- المقاربة البنيوية لمعرفة بنية وتركيب الطقوس الممارسة خلال احتفالية ييناير التي تشكّل منظومة متكاملة، والبحث في بنية مكوناتها، بالاستناد إلى نظرية ليفي ستروس من خلال البحث في المستوى العميق للظاهرة محل الدراسة ومكوناتها، وتجاوز ما هو ظاهري والبحث في ما هو باطني للأشياء ودلالاتها. المقاربة الرمزية: للكشف عن الدلالات الرمزية للطقوس وتحليل شيفراتها ضمن سياقها الواقعي في المخيال الجماعي- المقاربة الوظيفية: للكشف عن الوظائف المتعددة للطقوس الممارسة ضمن احتفالية ييناير ودورها في التماسك الاجتماعي للأفراد، وبراها في شكلها الوظيفي الكامل كمنظومة طقوسية

¹ بوطوقة مبروك: ظاهرة الفانطازيا في المجتمع الجزائري- مقارنة سوسيو أنثروبولوجية بولاية تيارت، أطروحة دكتوراه، جامعة مستغانم، الجزائر، 2016-2017.

² محمد سعدي، الانثروبولوجيا، مفهومها وفروعها واتجاهاتها، دار الخلدونية، 2013، ص 30 / 33 (بتصرف)

واحدة.*كما تمّ الاستناد الى ترسانة من الأدوات البحثية لاستكشاف الميدان وتسجيل المعطيات وجلب البيانات من أهمها: الملاحظة بالمشاركة، المقابلة بنوعها، التصوير والتسجيل الصوتي، المخبرين، ونظرا لمحدودية زمن الدراسة، وكبر المجتمع الاصلي فقد وقع الاختيار على بلديتين من بلديات الولاية (الزرعة - الماء الابيض) وبالتحديد منطقتي عين ببوش بالمرزعة وريف بئر القوسه بالماء الأبيض وبذلك كانت عيّنة الدراسة قصدية منتقاة حسب الظروف المواتية للبحث والباحثة والقابلة للدراسة.

1. قراءة تحليلية لمفاهيم الدراسة

تستوجب دراسة أي ظاهرة من ظواهر الثقافة الانسانية الوقوف عند أهم مصطلحاتها من اجل فهمها، ولهذا وقبل اللوج الى عمق الموضوع لفك اشكاليته كان لزاما علينا الاحاطة بعناصره الرئيسية لتسهيل والتحليل:

1.1 التراث الثقافي - الثقافة الشعبية

التراث الشعبي: يعرف بأنه "كلّ أنواع التعبير الشفوي والجسدي، كالقصص الشعبية والأساطير والقصص الخرافية، والأغاني الشعبية والرّقص الشعبي، والأمثال الشعبيّة والمهرجانات والموسيقى والحرف الشعبية المتوارثة"¹ اذن فالتراث الشعبي بالنسبة لأي مجتمع ما هو إلا مجموعة العناصر الثقافية الماديّة والروحيّة لأفراده، تكوّنت على مدى أجيال عديدة متلاحقة فتمّ نقلها عبر عمليات محددة"²

الثقافة الشعبيّة هي ثقافة عامّة الناس، ويمكننا أن نميز فيها بين شريحتين ثقافيتين ثقافة دارجة أو عامية وثقافة تقليدية أو مأثورة، وإذا كانت الشريحتان تتشاركان معا في كونهما من انتاج عامّة الناس ينتجونها بأنفسهم ولأنفسهم، ويستهلكونها في محيطهم بموازاة الثقافة الرسميّة"³ فالثقافة الشعبية تكتسب صفتها الشعبيّة كونها من انتاج عامّة الشعب فهي ابداع جمعي، وكونها الأساس التحقي للبناء الاجتماعي فهي تنفرد بوسائلها وآلياتها التي تضمن عدم سيرورة أي منتج ثقافي ما لم يقبله هؤلاء الجماعة.

1-2 العادات - التقاليد - المعتقدات

تحتل العادات والمعتقدات والتقاليد حيزا كبيرا في مخيلة الفكر الانساني عموما، فكل مجتمع يتميز بعاداته ومعتقداته التي توارثها أفراده من جيل لآخر، والتي تعكس من خلالها صورة ماضيهم العريق وموروث أجدادهم.

فالعادات حسب ما ورد في قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفلكلور أنها عبارة عن: "أساليب الشعب وعاداته، بمعنى القواعد المتسترة للسلوك الذي يؤدي خرقها الى الصّدام مع ما يتوقّعه رأي الجماعة."⁴ اذن هي أفعال يومية اعتاد عليها الناس فهم واضعوها، وتجاوزها يُعتَبَرُ تجاوزا للمجتمع وانتهاك لقيمه.

التقاليد: تمثل "سلوكات وأعراف يلتزم الأفراد بتطبيقها، وتستمدّ قوتها وبقاها كونها تعتمد على التلقين، التكرار والمحاكاة، وتهدف الى تحقيق الاستمرارية من خلال الشيوخ والانتشار، وهي لا تعتمد على أسلوب الابداع لذلك نجد قواها في المجتمع قوى محافظة لا قوى ابداع"⁵

¹ محمد عبد الرحمان الشرنوبي واخرون: معجم مصطلحات الاثنوبولوجيا، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط1، 2013، ص 33

² محمد عباس ابراهيم: الثقافة الشعبيّة الثابت والمتغير، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2009، د ط، ص 13.

³ عبد الحميد حواس: أوراق في الثقافة الشعبية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2005، ط1، ص 119.

⁴ إيكة هولتكرانس: قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفلكلور، ت محمد الجوهري وحسن الشامي: دار المعارف، القاهرة، ط2، 1973، ص 246

⁵ محمد الجوهري واخرون: التراث والتغير الاجتماعي، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، القاهرة، ط1، 2002، ص

المعتقدات: الانسان يتعامل مع الظواهر الطبيعية والاجتماعية تعاملًا عقائديًا خرافيًا وبالتالي يُشكّل لديه نمطًا فكريًا شائعًا في تفسير وجود الأشياء، ومنه "فإنّ هذا النمط العقلي كان ناتجًا عن تأثير التفكير التقليدي والبدائي، والذي يعلّل الأحداث في نهاية المطاف بردها إلى إرادات رغبات كانت غير مرئية."¹ والمعتقد من وجهة نظر التحليل الأنثروبولوجي "عبارة عن بقايا أساطير اندثرت وبقي أثرها مستمرًا عبر العصور نتيجة تمسك الإنسان بها خوفًا من المكروه، وطمعًا في جلب الرزق والخير."²

1.3 الطقوس – الاحتفال

الطقوس هي "فعاليات وأعمال تقليدية لها في الغالب علاقة بالدين والسحر، يحدّد العرف أسبابها، فهي مشتقة دائمًا من حياة الشعب الذي يمارسها، حيث يعتقد البدائيون أنّها تُرضي الآلهة والقوى فوق الطبيعة"³ من خلال بعض الممارسات التي تعتبر أساسية في الاحتفال ومقدّسة لدى حاملها وهذا ما لمسناه ولاحظناه من خلال دراستنا الحالية. ويميل الطقس أساسًا من خلال تكرار واستدامة القواعد التي تنبته إلى تكريس ديمومة الحدث الاجتماعي، أو الأسطوري الذي أوجده⁴ "بمعنًا الطقوس تُمارس لاستعادة زمن الأصل وهذا يقتضي التكرار الطقوسي للحدث في شكله الاحتفالي، أي إعادة إنتاج وتحيين لماضي غامض واثبات لاستمرارية حدث اجتماعي أو ميثولوجي مشهور.

الاحتفال: كلمة "الاحتفال لغة هي من حَفَلَ الماء واجتماعه، يَحْفَلُ حُفُولًا وَحَفِيلًا أي اجتمع، وَحَفَلَ وَحَفَلَ بِمَعْنَى تَزَيَّنَ، وَحَفَلَ المجلس أي كَثُرَ أهله"⁵ كما يمثل "تجمع عدد من أفراد المجتمع بهدف التعبير عن وجهات نظر مشتركة بفعاليات منظمة رمزية، تؤدي في مناسبة معلومة"⁶ هذا المفهوم ينطبق على احتفالية يتأثر موضوع الدراسة.

1.4 يتأير (راس السنة الامازيغية)

يتأير هو الشهر الأوّل من السنة الامازيغية ويتزامن حلوله مع 12 من بداية السنّة الميلادية، والسنة الامازيغية تبتدئ من 950 ق.م، وتمّ تسميته على اسم يتأير Janus المداخل في الميثولوجيا الرومانية، وهي مشتقة من اللاتينية وتعني الباب ianua⁷ و تقام احتفالات شعبية "نصاحبها بعض الاعتقادات تميل إلى الخرافة والتكهن في بعض الممارسات، التي جرى بها العرف وتعود عليها الناس في يتأير من كلّ سنة"⁸ وقد ارتبط هذا الاحتفال بروايات عديدة تضاربت بين ما هو أسطوري يرجع إلى بطولة شيشناق وبين ما هو تقديس للأرض والزراعة وارضاء للطبيعة وهذا ما سنحاول البحث فيه من خلال تحليل الطقوس والممارسات واستقراء دلالاتها في الواقع وفي المخيال الشعبي للأفراد.

2- السمات الثقافية والاجتماعية لأفراد المجتمع التبسي:

نبذة مختصرة لتاريخ تبسة: هي الولاية رقم 12 حسب التقسيم الإداري لسنة 1974 م، تتربع على مساحة 13878 كلم، تقع في الشمال الشرقي للقطر الجزائري، يتوزّع سكّانها على 12 دائرة تتخللها 28 بلدية، مناخها شبه صحراوي، وتشتهر بزراعة

¹ محمد سعدي: من أجل تحديد الاطار المعرفي والاجتماعي للمعتقدات والخرافات الشعبية، مطبوعات مركز الابحاث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، د ط، 1995، ص 3

² كامل بلحاج: اثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة. منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 2004، ص 121.

³ شاكر مصطفى سليم، قاموس الانثروبولوجيا، انجليزي – عربي، جامعة الكويت، ط 1، 1981، ص 824.

⁴ نور الدين طوالي: الدين والطقوس والتغيرات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988، ص 34

⁵ الفيروز ابادي: القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج 3، ط 3، 1979، ص 347.

⁶ شاكر مصطفى سليم: مرجع سابق، ص 161.

⁷ راجع ويكيبيديا الموسوعة الحرة: <http://or.m.Wikipédia.org> تحت عنوان: يتأير (شهر)، 2016/11/09 على 14:54 س

⁸ محمد بن رمضان شواش، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 1، 1995، ص 378.

الحبوب والرعي.¹ هي تَبَسَّة "اللَّبْؤَة" الاسم البربري الأوّل حسب الترجمة القديمة، مدينة الحضارة الأمازيغية الخالدة بعمرٍ زاد على 12 ألف عام قبل الميلاد، ربّما سبقت في الوجود حضارتي وادي الرّافدين ووادي النيل²

وقد مرّ اسم مدينة تبسّة بعدّة مراحل عبر التّاريخ، فقد أطلق عليها تسمية "تبييسن" عند الإغريق، و"تيفيسيتيس" عند بداية الوجود الرّوماني، والذي اختصّر فيما بعد ليصبح "تيفاسُت"، ومع الفتح الإسلامي تمّ تعريبها فأصبحت "تبسّة" بفتح التّاء وكسر الباء وفتح السين.³ وقيل أنّها سمّيت "تيفاسُت" باللّاتينية القديمة، وتعني مؤنل الأسود لكثرة تواجدها.

التركيبية السكانية: ترجع الأبحاث والدراسات إلى أنّ أصل سكان تبسّة أمازيغيون، والأمازيغ هم شعب شمال إفريقيا الذي يسكن غرب النيل "من واحة سيوة في أقصى صحراء مصر الغربية حتى موريتانيا جنوباً منذ قديم الأزّل وحتى اليوم، وأمازيغ هي اسم مرادف للبربر الاسم العنصري الاستعلائي الذي أطلقته الإمبراطورية الرّومانية على الشعوب القوية المتمردة⁴، وقد أصبحوا بعد الفتوحات الإسلامية على غرار سكان شمال إفريقيا عرب مستعربة، ومن مميزات الأهالي أنهم مازالوا ينضون تحت النمط العشائري (القبائلي)، حيث يسكن منطقة تبسّة القبائل البربرية المستعربة المعروفة بقبائل التّمامشة وهي أشهرها، بالإضافة إلى بعض القبائل العربية القادمة إليها بدايات الفتوحات الإسلامية، حيث تحوي منطقة تبسّة على ثلاث قبائل رئيسية كبرى تحتل المساحة الكبيرة من الولاية ومجموعة من القبائل الصغيرة، وتوزع حسب التقسيم التالي.

* عشيرة التمامشة: تعدّ أوّل القبائل التي سكنت المنطقة وأكبر جماعة بشرية تهيمن عليها منذ القدم

* عشيرة اولاد سيدي عبيد: وهم قبيلة عربية الأصل، وفروعها كثيرة تسكن جنوب المنطقة

* عشيرة اولاد سي يحي: وهم قبيلة عربية الأصل يرجع أفرادها إلى الأصول العربية المهاجرة إلى المنطقة، بعد مجيء يحي بن طالب العربي واستيطانه شمال تبسّة، وهناك قبائل أخرى صغيرة العدد مقارنة بالقبائل الرئيسية سالف الذكر يرجع وجودها إلى الحتمية الاستعمارية في سياسة الترحيل لتفريق المجتمع واحكام السيطرة عليه.

** والمجتمع المحلي التبسي ينفرد بموروث ثقافي زاخر بعاداته وتقاليده واحتفالاته التي تميز عن باقي المناطق بالجزائر، ومن بين اهم وابرز هذه العادات والاحتفالات تلك التي تتعلق بظاهرة الاحتفال بينّاير (12 جانفي)

ثقافة يتّاير من منظور افراد المجتمع التبسي

إنّ تصوّر احتفالية يتّاير كثقافة تكشف عن اصالة وعراقة المجتمعات المحلية، كما تكشف عن عمق التفكير والذاكرة الجماعية، بمقدار ما أضيف إليها وما هُدِرَ وحُدِفَ منها، وعلى حدّ تعبير جان كوبان "إذا كانت ثقافات التراث ابتكارات جديدة أو استعادة مُموّهة لأحداث ماضية ينبغي رغم ذلك أن نتساءل عن تاريخياتها ومضمونها الأنثروبولوجي في الواقع انطلاقاً من المبدأ الذي يقول بأنّ الحاضر كان في الماضي هو ثقافة التراث العملية"⁵ هذه المعتقدات والممارسات التي تسمح بتوحد أفراد المجتمع وتجعل منهم وحدة واحدة منسجمة ومنصهرة حسب قوانينها ومعتقداتها المتفق عليها والتي تنصّ على مبادئها الذاكرة الجماعية للأفراد، والظاهر أنّ احتفالية يتّاير في المجتمع الجزائري عموماً هي ثقافة موحّدة ومتفق على مسلّماتها، إلا أنّ الدّارس والمتعمّن في حيثياتها يجد أنّ هناك اختلافاً حول أصولها التي ربطت الشّعب بعمقه التاريخي والحضاري، وبذاكرة

¹ سمير زمال، صفحات من تاريخ تبسّة، دار هومة للطباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، د ط، 2013، ص 109/21/15. بتصرف

² المرجع نفسه، ص 208.

³ مها عيساوي، مجلة التّراث، مدينة تبسّة في العصور القديمة، ص 31.

⁴ نبى الزيني، أيام الامازيغ اضواء على التاريخ السياسي الاسلامي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 2011، ص 15/12/11 (بتصرف)

⁵ جان كوبان، المسح الأنثولوجي الميداني، ترجمة جهيدة لاوند، معهد الدراسات الاستراتيجية، العراق، ط1، 2007، ص 114

مخياله الجمعي الممتد من أغوار التاريخ القديم 950 ق م ، مما جعل الكثير يتساءل عن مصدر هذه الصبرورة والاستمرارية وكيفية اختيار توقيت التقويم الأمازيغي- فلماذا يحتفل افراد المجتمع التبسي بهذه المناسبة وما ودلالاتها؟- هل يناير هو رمز لقداسة الأرض والفلاحة، أم أنه استرجاع لزمان ميثولوجي معين ومحاكاته بممارسات طقوسية مختلفة؟

1. البعد التاريخي، الميثولوجي والاجتماعي لاحتفالية يناير في المجتمع المحلي

هناك روايتان تتضاربان حول اصول ومرجعية الاحتفال بيناير او راس السنة الامازيغية، الاولى تحمل بعدا تاريخيا له علاقة بأسطورة شيشناق بينما تحمل الاخرى بعدا اجتماعيا له علاقة بالطبيعة والمناخ، حيث تشير اسطورة شيشناق تشير الرواية الأولى الى أنّ الاحتفال بيناير يمثل اليوم الذي انتصر فيه الملك الأمازيغي شيشناق أو شيشناق كما هو وارد في عدة كتابات، على الفرعون المصري رمسيس الثاني اخر ملوك الاسرة 21، اي أنّ الاحتفال بيناير يعود الى واقعة تاريخية حدثت قبل 950 ق.م، بعدما جمع " كل القبائل الامازيغية المتواجدة غرب النيل ليصل بذلك الى حكم نصف مصر وما جاورها من بلاد الامازيغ، وكانت هذه الحرب نتيجة الممارسات اللانسانية والاستعبادية التي كان ينتهجها الفراعنة ضد الشعب الامازيغي "وبذلك استطاع حكم مصر وحمل لقب الفرعون، وأسس بذلك الأسرة الفرعونية 22 وهي الأسرة الامازيغية التي حكمت أرض النيل² وهناك اختلاف حول طريقة اعتلائه هرم السلطة الفرعونية، فهناك من يشير إلى أنّه كان خليفة لقائد عسكري في مصر في عهد الفراعنة، وقام باستغلال ضعف السلطة المصرية واعتلاء العرش الفرعوني بطرق سلمية دون معارك، في حين يؤكد البعض أنّه اعتلى العرش الفرعوني عن طريق فوزه بمعركة جرت أحداثها قرب بني سوس بتلمسان، وقيل قرب نهر النيل، ولهذا يقام كرنفال إيرار (إيرار تعني الأسد، والمقصود هو شيشناق) سنويا بتلمسان تخليدا لهذه الذكرى، وأخذت الأوساط الامازيغية ككل الأمم تقويمها من هذا اليوم 12 يناير والذي يصل في سنتنا الحالية الى 2969 سنة أمازيغية منذ انتصار شيشناق، ولأنّهم شعب مرتبط بالأرض والفلاحة أشد الارتباط جعلوا من هذا التاريخ بداية تقويمهم الفلاحي، لكن اذا كانت فرضية اعتلاء شيشناق للعرش الفرعوني صحيحة فلماذا ابقى الملك الامازيغي على نفس تسمية الدولة وهياكلها وحتى نمط عيشها وبناءاتها؟ هذا التساؤل يؤدي بنا الى البحث في أصول واحتمالات أخرى لجذرية يناير كثقافة شعبية بمنطقة تبسة حيث تشير الرواية الثانية حسب سكان المنطقة المدروسة إلى أنّ احتفالية يناير تعتبر:

رمز القداسة الزراعية واسترضاء الارواح الخفية

إنّ عيد يناير يرمز للاحتفال بالأرض والفلاحة، تفاؤلا بعام خير وغلة وفيرة وتيمنا بسنة سعيدة، فمرجعية الاحتفال تعود الى تقويم فلاحي ظلّ الفلاحون يحيونه حتى اليوم، وهو ظاهرة اجتماعية طقوسية دينية قبل مجيء الاسلام الى المنطقة، حيث ارتبط التاريخ الامازيغي بمعتقدات ضاربة في القدم، ويعتقد الامازيغ أنّ من يحتفل بيناير سيحظى بسنة سعيدة. "فقد كانت المجتمعات القديمة ومن بينهم الامازيغ عاجزين عن فهم الطبيعة والكون وخباياه، وتفسير الظواهر التي تظهر من حين لآخر حسب معتقداتهم وذهنياتهم وثقافتهم"³ حيث توجد عليهم السماء بالأمطار التي تنعش الأرض والأخيرة بدورها بتجود بالخيرات من المغروسات والمزروعات المتنوعة، في حين تشكّل العواصف والفيضانات والزلازل والرياح خوفا وهاجسا كبيرا في حياتهم، ونتيجة عدم فهم كل هذه التغيرات المفاجئة في الطبيعة حاولوا ارضاءها والتقرّب منها بواسطة القرابين والطقوس المختلفة، وهذا نظمت المجتمعات السالفة علاقات حسب اعتقادها مع القوى الخفية للطبيعة من أجل المحافظة على البقاء والعيش

¹عبد الكريم بركة، طقوس الاحتفال بالمناسبات والأعياد بشمال افريقيا، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 19، ارييف الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، البحرين، ، 2012، ص 97.

²Kamal Chehrit, Les Chachnaq ; Pharaons Berbères d’Egypte, Alger – Livres Editions, Alger, 2016, p 12.

³عبد العزيز فيلاي، بحوث في تاريخ المغرب الاوسط في العصر الوسيط، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، ج1، 2014، ص 161.

في سكينه، حتى وجدت هذه المعتقدات والممارسات نفسها طقوسا متأصلة ومتجذرة في المخيال الشعبي وأصبحت تراثا تتناقله الأجيال المتعاقبة وصولا الى يومنا هذا، كما أنّ هذا اليوم يمثل فاصلا زمنيا مناخيا بين زمنين طبيعيين زمن البرد و الاعتدال، فالأشغال الفلاحية وانجازها الحقيقي يكون بداية السنّة ولهذا أطلق على اليوم الأوّل من السنّة الأمازيغية (12 يتّايّر) رأس السنة الفلاحية،¹ ويصادف هذا التاريخ عادة بداية تجديد الطبيعة لدورتها الحياتية، أو ما يعرف بخروج الليالي البيض (25 ديسمبر الى 13 جانفي) ودخول الليالي السّود (14 جانفي الى 02 فيفري) وحسب ثقافة سكان المنطقة محل الدّراسة وخبرتهم الفلاحية فإنّه في الليالي البيض تكون التربة غير مؤهلة وغير صالحة للزراعة، ومع دخول الليالي السّود تصبح صالحة للبذر، ويحضرني في هذا المقام المثل الشعبي الذي لطالما رددته جدي والذي يقول " في اللّيالي السّود يَحْيَا وَيَخْضَرُ كُلُّ عُودٍ " ولهذا يباشر الفلاحون أعمالهم الفلاحية بتهيئة أراضيهم وحقولهم، حيث تقام مختلف الاحتفالات التي تصادف هذا اليوم لتمجيد الطبيعة، والتماس الأسباب التي يعتقد أنّها تجلب الخير ووفرة الانتاج، واعتماد يوم 12 من يتّايّر للحيطة والحذر من غدر الطبيعة وذلك بالاعتداء بالأسطورة الشّعبيه التي تروي خاتمة من يتمرّد عليها من خلال استحضار رواية العجوزة و التّايّر، وهذه الرواية تشير الى أنّ هذا الاحتفال يعود الى أسطورة العجوز التي استهانت بقوى الطبيعة وتحذت الشتاء وسخرت منه، وهي أسطورة شائعة عند الأمازيغ، حيث كانت ترعى الماعز، وبعد انقضاء يتّايّر الذي يتميّز بغزارة أمطاره وثلوجه وبرده الشديد الذي يقلق الفلاحين، فرحت بانقضائه وودّعته وهي قائلة "اقشوض ائيطيك اعبي يتّايّر" وهذه العبارة تفيد السخرية والاستهزاء والتشفي من رحيل شهر يتّايّر² فغضب هذا الاخير من موقف العجوز وطلب من شهر فورار (فبراير) اعارته يوما كاملا قائلا له أعني فورار اعطيني ليلة ونهار نريبالعجوزة صاحبة فم العار³ ليرد اعتباره وينتقم من العجوز فكان له ذلك، ولهذا أصبح شهر يتّايّر فيه 31 يوما، ولما خرجت العجوز في اليوم التالي بماعزها الى الجبل متفاخرة بهدوء الطقس، فجأة انقلب عليها فأصبحت الأمطار غزيرة وتساقطت الثلوج ولم تتحمل العجوز قسوة البرد فهلكت، وبهذا استردّ يتّايّر كرامته وأصبح يخافه سكان القرية وانتشرت الأسطورة في مناطق مختلفة وكانت العجوز عبّرة لمن يسخر من الطبيعة، حيث أصبح الأفراد يعتبرون هذا اليوم يوم حيطة وحذر ويتوقعون تقلّب الطّبيعة في أي لحظة، ولهذا يقام احتفال يتّايّر من كل سنة خوفا من غدر الطبيعة واجتبابا لشهرها، فيقال عن شهر يتّايّر كما هو شائع في مجتمع البحث أعني التّايّر بولمطايرو هذه العبارة كناية عن كثرة الأمطار في شهريناير. كما يقال أيضا " اذا روات في يتّايّر نقص من لخممايروزيد في لمطايّر" وهذه العبارة تدل على خبرة الفلاح بفضله تجاربه في الحياة الزراعية أصبح بإمكانه التنبؤ بأحوال الطقس والمناخ، و لمطايّر في العبارة الأولى تدل على الأمطار الكثيرة، بينما في العبارة الثانية فهي تدل على الحفر الكبيرة التي تستعمل لتخزين الحبوب سابقا (مخازن) حيث أنّه اذا كثرت الأمطار في شهر يناير فعلى الأفراد أن يكثروا من حفر المخازن لأنّ الانتاج سيكون وفيرا. وعلمهم الاجتهاد في العمل وترك الخمول والكسل وهذا من خلال عبارة نقص من لخممايّر التي تعني الأكل والنوم بحجة برودة الطّقس وكثرة الأمطار، وهذه الرواية متداولة بين أهالي منطقة الماء الابيض، حيث يحتفلون في 12 يناير من كلّ سنة تيمّنا بعام جديد مليء بالخير والبركة. وقد وردت هذه الرواية أيضا في قاموس الاساطير الجزائرية⁴ أنّ العجوز سخرت من يتّايّر فغضب الشهر ثمّ عصّف وأمطر وأعطى ثلجا لمُدّة سبعة أيّام حتى تجمّدت العجوز مع أغنامها وتوفيت، ومنذ ذلك اليوم صارت البرودة تشتدّ وتقوى في أوّل يتّايّر، ويقال أنّ تمثال العجوز موجود في احدى الجبال⁴

¹ اكرم نزار، هكذا يحتفل الجزائريون براس السنة الامازيغية، الرابط: <http://www.echouroukonline.com> 2016/11/09 على 15:31

² المرجع نفسه، ص 251.

³ المخبرة الحاجة وريدة مراح، 79 سنة، مربية، امية، ريف بئر القوس، بلدية الماء الابيض، 2017/01/12. على الساعة 14.30 سا

⁴ عبد الرحمان بوزيدة واخرون، قاموس الاساطير الجزائرية، المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2005، ص 65.

2. مظاهر وطقوس الاحتفال بينناير في المجتمع المحلي بتبسة (الدلالة والوظيفة)

هذه المناسبة تساهم في منح جرعات متجددة للتراث الثقافي الروحي وباراز بعده الوطني وما ينطوي عليه من دلالات، وما يتصل بالحياة الاجتماعية في المجتمع المحلي كطقوس الطبخ وفسيفساء الأمثال الشعبية والأساطير المرتبطة بهذه الطقوس التي جعلت منه عادة متجدرة بكل دلالاتها في الذاكرة الشعبية، ومنطقة تبسة على غرار باقي مناطق الجزائر يحظى فيها الاحتفال بينناير بنكهة خاصة ومميزة، ويطلق عليه راس العام أو عيد العرب، وأفرادها لم يتخلوا عن خصالهم وتقاليدهم، فلا زالوا متشبثين بها أيما تشبث، ولهم طقوسهم الخاصة في الاحتفال بينناير الذي يمثل منظومة من المعتقدات التي تحمل الطابع الفردي والجماعي، فتجتمع العائلات في منازلها تقدم ليلة راس العام أكالات خاصة ويقومون بممارسات متوارثة عن أجدادهم بل وضاربة في القدم، وينفرد الاحتفال بطقوسه الخاصة في المنطقة والتي لا يمكن الاستغناء عنها، وفي هذا الشأن يحضرنى قول روني باصي Renet.Basset "الطقوس قرينة كل شعوب المعمورة، ومن غيرها لن تقوم قائمة لمجتمع أو مؤسسة" ولهذا نجد تداخل العديد من الطقوس على اختلاف وظائفها ودلالاتها والتي أصبحت تشكل منظومة كاملة للاحتفال بينناير .

**** طقوس بينناير... الدلالات والرموز ****

1. طقوس التطهير: تجرى لدى بعض الشعوب لتطهير الأشخاص وذلك لضمان عدم تعرضهم للعنة القوى فوق الطبيعة² إذ تقوم ربّات البيوت لاسيما في الأرياف بعملية تنظيف المنازل وافرغ الموقد والذي يصطاح عليه تسمية (شمينو أو شميني / بنطق الشين ساكنة وكسر الميم وضّم النون أو كسرهما أحيانا حسب اللهجة المحلية لعينة الدراسة) من رماده ورميه في مكان بعيد وتحذير الأطفال من اجتيازه، وأحيانا تقوم النساء بردمه بالتراب خوفا من الأرواح الخفية التي عبّروا عنها بالجنون التي تحضر مباشرة بعد رمي الرماد وقد تصيب أحدهم بأذى إذا لم يمتثل لأمر النبي وداس على الرماد الذي أصبح مدّسا، وهنا تحضرنى صيغة تعريفية لهذا الطقس وجدت عند دوركايم تُعرّف الأشياء المقدّسة على أنّها تلك الأشياء التي تقوم التّواهي بحمايتها وعزلها، والأشياء المدّسة بأنّها تلك التي تنطبق عليها التّواهي والتي يجب أن تبقى بعيدة عن الأشياء الأولى، كما أنّه لا يجب أن تأتي السنّة الجديدة والموقد فيه رماد السنّة الماضية، وبعد تنظيف الموقد تتمّ عملية تغيير أثافيه الثلاثة أي الحجارة التي توضع في الموقد وهذه الحجارة تسمى المناصب وعددها ثلاثة ولا يمكن أن تتجاوز هذا العدد حسب اعتقاد بعض السّكان، دون علمهم بالسّبب، واقتصرنا على قول أنّها عادات أجدادهم، وقد تعودوا على ممارستها، وفي هذا يمكننا اسقاط مفهوم بيار بورديو الذي يشير الى أنّ "الاعتقاد هو منظومة الاستعدادات الدائمة والقابلة للتغيير، وهو بنى منظمة مستعدة لأن تكون ناظمة، باعتبارها مبادئ مؤلّدة ومُنظمة للممارسات والتّصورات التي يمكن تكييفها موضوعيا مع أهدافها دون افتراض الهدف الواعي للغايات والتّمكّن العاجل للكليّات الضّرورية لبلوغ تلك الغايات."³ وإذا حاولنا تفسير هذا المفهوم بشكل اسقاطي على عدم علم الأفراد ببعض الممارسات واكتفائهم بأنّها عادات الأجداد، نجد أنّهم يملكون استعدادا مجهول الغايات للقيام بها، فلا يفترضون هدفا محدّدا وراء هذه الممارسة لأنّه تمّ تحديد هذه الغايات والأهداف مسبقا من طرف الأجداد، وما عليهم سوى تطبيقها وصولا الى الغاية الكبرى وهي تمثيل جميع الطقوس الفرعية لاحتفالية بينناير التي يرجى من ورائها تحقيق الغايات الكبرى المتمثلة في إرضاء الطبيعة والقوى الخفية والتّيمنُّن بسنة فلاحية سعيدة، والقيام بهذا الطقس يكون مساء اليوم الأخير من السنّة الحاليّة، وإذا لم تقم ربّة البيت به في آخر الأسمية فهي ملزمة أن تستيقظ قبل شروق شمس 12 من بينناير لتنظيف الموقد وتغيير المناصب، حتى لا تدخل عليها السنّة الجديدة بمساوي وأحزان السنّة الماضية، فهذا الطقس يُطرّف

¹ روني باصي Renet Basset. أبحاث في دين الامازيغ، ت حمو بوشخار، الناشر دفاتر وجهة نظر، ط1، 2012، ص 13.

² شاكر مصطفى سليم، مرجع سابق، ص 788.

³ Bourdieu pierre. Le sens pratique. Minuit. Paris. 1980. p 88

الفرد من سلبيات السنّة الماضية ويجرّده منها، وإذا لم يُؤدّ سوف تبقى ملتصقة به حتى في السنّة الجديدة ولا يرى خيرا أبدا¹ ويمكن إدراج هذا الطّقس ضمن طقوس العبور Rites of passage ويعتبر فان جنيب Vannejennap واضح هذا المصطلح 1909، في نظريته التي تشير إلى أنّ الإنسان خلال حياته يمرّ بعدة مراحل وهذه التحوّلات والانتقالات في حياته ترافقها عدّة طقوس مختلفة حسب كلّ مرحلة وطبقا لكلّ مجتمع، وأخذت التّظرية منى آخر مع ثيودور جاستر Th.Gaster وهو منى الطقوس الموسميّة التي أشار إليها في دراسته (الطقوس والأسطورة والدراما في الشرق الأدنى القديم)² ويُفصّدُ بها الطّقس المُقامة عند مرور شخص بمرحلة هامة تتغير فيها منزلته الاجتماعية، والغرض من القيام بهذا النّوع من الطّقس هو الاعتراف بذلك التّغيير وانتقال الفرد من منزلة إلى أخرى³ ويمكننا اسقاط هذا التّصنيف للطّقس على المرحلة الانتقاليّة التي يُعزُّر فيها الأفراد من سنة إلى سنة جديدة ضمن منظومة الطّقس الموسميّة الخاصّة بيناير والتي تكون غامضة في كثير من الاحيان.

2. طقوس الدّم من جملة الطقوس التي تتكرّر في منطقة بشكل ملفت للانتباه الطقوس الخاصّة بالدّم، الذي "يحظى بعناية كبيرة لأنّه يقابل الرّوح عند القدماء"⁴ وهذا ما أوضحته الشواهد الميدانية لمجتمع الدراسة حيث يتولّى الرجل مهمّة اختيار الأضحية أو القربان الذي سيقدّم احتفالاً بهذه المناسبة، فيذهب ليختار ديكا أو دجاجة تليق بمقام يناير ليتمّ ذبحها واعتبارها أضحية رأس العام، لتمثل الأضحية هنا موت شعائري قانونيوطقسي مقدّس يجب الالتزام به لاعتبارات عقائدية وتطبيقاً للمثل الشعبي الذي يقول في رأس العام لي يأكل رأس يئقي رأس⁵ بمعنى من يذبح ويقدم قربانا في يناير يبقى رأسه مرفوعا وعاليا بين أقرانه وأهله وعشيرته، وهذا كناية عن الرّفعة والمكانة المرموقة في المجتمع وتيمنا بخير أكثر ومكانة أرقى من السنّة الماضية، ويشترط أن تكون الأضحية من الدّواجن لا حيوانات أخرى، ولا يحبّد اقتناءها جاهزة بل يشترط ذبحها أمام ساحة المنزل وإسالة الدّماء تبركا بالعام الجديد، وحقا هذا ما لمسناه ولاحظناه في دراستنا حيث يعتقد أهل المنطقة بضرورة وحتميّة ذبح ديك أو دجاجة (لاعتبارات يجهلها سكان المنطقة)، وهذا كونه وحسب اعتقادهم، الدّم الذي يسيل في مثل هذه المناسبة يساعد على طرد العين والحسد وكل ما يؤدّي إلى عرقلة حياة الأفراد وسوءها، وهذا ما عبّرت عنه إحدى النساء بقولها لأزمن نسيلو الدّم كلّ عبّته جديده، والمقصود بالعبّته هنا هو المدخل الجديد سواء كان مدخل السنّة أو مدخل البيوت والمنازل التي تمّ بناؤها حديثا، فلا يجب الدّخول إليها دون أن تتمّ عملية ذبح قربان وهنا لا يشترط نوعها فقدرتها واستطاعة الفرد هي التي تحدّد نوع القرابين سواء كان من الدّواجن أو الأغنام أم غيرها، عكس القرابين في عيد يناير فيشترط فيها الدّواجن، وذلك كنوع من الاطمئنان النفسي ودرء للحسد والعين، وباعتبار هذه الطقوس شيئا مقدّسا يجب التصرّف حيالها بحذر وفي هذا يقول بريتشارد ايفانز "الطقوس هي قواعد السلوك التي تعيّن للمرء كيف يجب أن يتصرّف حيال المقدّسات"⁶ كما ان تصوّر الدّم حسب ادموند دوتي "يدلّ على رابطة قبلية أو قومية تحوي على امتداد في عدة مناسبات مثل العيد الكبير"⁷ سواء كانت هذه المناسبات دينية أو اجتماعية شعبيّة، ويمكن إرجاع أصل هذا الطّقس إلى العبادات الطوطمية التي تشير إلنّ السبب الرئيس وراء تقديم القرابين تكمن في الرغبة في الالتحام بين البشر من المجتمعات البدائية والتهتم، وارضاء القوى

¹مقابلة مع السيدة فطوم ، 50 سنة، مربية وامية، ريف بئر القوس، بلدية الماء الابيض، بتاريخ 11 جانفي 2018 على الساعة 15.30 سا
²طليب نسيم، الابعاد الاسطورية للطقوس الاحتفالية في منطقة القبائل بالجزائر، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية والاعلام، جامعة الجزائر 3، 2010-2011، ص 164.

³شاكور مصطفى سليم، مرجع سبق ذكره، ص 824.

⁴Edmond Douтт, *Magie & Religion dans l'Afrique du Nord*, Alger, 1909, P 85.

⁵المخبر الحاج احمد، 87 سنة، فلاح، امي، ريف بئر القوس، بلدية الماء الابيض، تبسة، بتاريخ 11/01/2018 على الساعة 15.00 سا
⁶ايفانز بريتشارد، الأناسة المجتمعية ديانة البدائين في نظر الإناسيين، ت حسن قبيسي، دار الحدّثة للطباعة والنشر، بيروت ط1، 1686، ص 220.

⁷M. chebel, *Dictionnaire des Symboles musulmans*, Albin Michel, 1995, p 376 / Song

الخفيّة، كما أنّ الاعتقاد المرتبط بهذا الطقس أنّ الدّم يذهب الشر، حيث تعتبر ماريان بارلوي الأضحية بأنها "رمز للتقرّب من الأرواح الخفيّة كما أنّ فعل التضحية في العصور القديمة ترمز الى معرفة الانسان لسيادة الالهة".¹

قرينة الدم.....ملح: ما لاحظناه في هذا الطقس هو وجود ممارسة أو طقسا لصيقا بالدّم ومقترنا به، حيث يتمّ نثر الملح على الدّم بعد عملية الذّبح، ويمنع منعاً باتاً المرور فوقه واجتيازه، خوفاً من الأرواح الشريرة (الجنون) وهذا الطّقس يعتبر نوع من التابو (الطابو) يحضّر المساس والتّلاعب به، وقد وجدنا هذه الرؤية أو النظرة التقديسية للملح في عدّة دراسات، فالدّم المراق لن يكون أمر تخطّيه ممكنا من غير احضار الملح لينثر عليه، ورغم تكرار هذه الممارسة إلّا أنّه يعتبر طقسا غير مفهوم، ومع ذلك فإنّ افراد المجتمع المحلي المدروس يعتقدون أنّ هذا يجعل الأرواح الخفيّة تهرب وبالتالي حماية أنفسهم وأضحيتهم، وإذا مرّ احد أفراد العائلة دون نثر الملح على الدّم فإنّها ستؤذيها باحتلالها لجسمه وسيطرتها على روحه.

بديل القرينة....تراب: هناك قرين آخر للدم يحل مكان الملح إذا غاب " إذا كان الذّبح خارج المنزل فيرمي الرجل بعض التراب على الدم والاخذ بنقيض هذا الاعتقاد يجعله يفقد دلالاته التي تصبح مهدّدة بالطمس، ان لم تكن دخلت باب المجهول، فالدّم ببساطة عامل ربط بين الانسان والجن، وكي يكتسب مناعته يلتزم بحمايته والحفاظ على عدم هدره ونسيانه. وللملح في هذا الطقس دور وقائي من كلّ ما يمكنه ان يؤذي او يتسبب في الفساد"²، نستنتج أنّ الملح يمثّل طقسا واقيا وحاميا لهم من الأرواح الخفيّة وتجنّباً لإيذائها لهم، ومنعها من انتهاك حرمة الذّبيحة أو القران، ويمكننا إدراجه ضمن طقوس التّطهير أيضا حيث أنّ له عدّة استعمالات حسب معتقدات وعادات الأفراد، فهناك نوع من الطهارة يلزم الملح عبر عدّة طقوس أخرى. وقد أصبح الاعتقاد بأنّ الملح عامل تطهير ووقاية مترسّخا في الأذهان التي نشأت على ذلك وترسّخت في المخيال الجماعي للشعوب حتى أصبح معتقدا لا يمكن التخلّي عنه لينتقل الى منزلة المقدّس، وكما يشير روني باصي إلى أنّ انتشار الدّم يشكّل هاجسا في كلّ المجتمعات، ولهذا لن تكون واقعة نثر الملح أمرا عابرا، كونها تقليدا عريقا، ولا يمكن تفسير هذه الوقائع والطقوس إلّا في إطارها الاجتماعي والتاريخي، وكونها وليدة حاجة المجتمع فإنّها قابلة للتّغير أو التّعديل حسب وعي الأفراد وحاجاتهم

3. طقوس الطّعام

إنّ ميدان الطّعام يحض باهتمام كبير من جانب الانثروبولوجيين، لأهمّيته القيميّة واعتباره عنصر رمزي وثقافي في الحفاظ على البناء الاجتماعي، والتعبير عن ثقافتهم المشتركة والمميّزة لهم.

فطور ينّاير...طمينة وفطائر: طقوس الطّعام في احتفالية ينّاير كما هو شائع متعددة حيث تقوم النّساء بتحضير عدّة أطباق وأكلات شعبية، من صباح يوم السنّة الجديدة الى غروب الشمس، حيث تستيقظ النّساء باكرا ويحضرن أطباقا محدّدة للفطور حيث تقول الحاجة لعجة بلهجتها المحلية أنّكز زيك أنّخدّم أغرؤم ذ فطائر أي طمينة³

بمعنى في الصباح نستيقظ باكرا ونقوم بإعداد الكسرة (خبز المنزل) و الفطائر و الطمينة (يعجن التّم مع قليل من خبز المنزل الكسرة المعدّة دون خميرة مع إضافة جميع أنواع المكسّرات المتاحة وعجنها بالزبدة مع العسل ثم تشكّل اقراص)، وذلك لاحتواء الفطائر والكسرة على الخميرة التي تعتبر رمزا للكثرة، حيث أنّه اذا ما تمّ وضعها في العجين يتضاعف حجمه، وبذلك تتضاعف خيرات السنّة، أمّا الطمينة فهي ترمز للحلاوة ويفتتح سكّان المنطقة يومهم الأوّل بها حتى تنتقل حلاوة هذه الأكلة الى السنّة الجديدة، وإعداد هذه الاكلات حسب اعتقاد السكّان تعتبر فأل خير و تيمنا بسنة فلاحية سعيدة.

¹Marian Berlewi, *Dictionnaire des Symboles*, Seghers, France, P 140.

²روني باصي، ت حمو بوشخار، مرجع سبق ذكره، ص 14 / 16 / 17 بتصرّف

³المخبرة الحاجة رحيلة بوزيدة. (سبق التعريف بها)

عشاء يتأير: وحدة طعام... ووحدة جماعة: يحرص النساء على إعداد أكلة الشرشم الخاصة بيناير والتي ترافق أكلة الكسكسيالزما، ويتم إعداد طبق الكسكس أو الكسكسيكما هو متداول في مجتمع البحث في المنزل دون اقتناءه جاهزا ويصطلح على عملية التحضير بتسمية الفتيل (بفاء ساكنة وتاء مكسورة مع لام ساكنة فيالخير) وفي ذلك يقول الباحث سمير زمال "الكسكس هو طبق ضارب في التاريخ، يصنع من طحين القمح في شكل حبيبات صغيرة، ويتناول بالملاعق أو باليد، يطبخ بالبخار ويضاف إليه اللحم أو الخضار أو الحليب أو الزبدة والسكر الناعم، حسب الأذواق والمناسبات، ويتم إعداده عن طريق طبخه في إناء مثقوب يسمى الكسكاس بوضعه فوق قدر يغلي بحيث يطبخ الكسكسي ببخار الماء أو بخار الطبخ"¹ ويشترط إعداده يدويا وهو يعتبر ضروري لمثل هذا اليوم المبارك حيث تقول الحاجة سبيكة

كَالْعَوَايِدْنَعُ سِنَاوُ سِكْسُو... السِكْسُو غَزِيْرُ فِلْيُو أَي يَخْقُو سُقَاسٌ²

أي أنّ إعداد طبق الكسكسي من أهم عادات المنطقة، ولديه مكانة ومعزة خاصة في مناسبات مختلفة فنجد حاضرا في أفراحهم، بل وحتى في أحزانهم (الموت)، وهذا الطعام يساهم في وحدة الجماعة، وهو أحد العوامل التي تجعل البركة تحل وتتنزل على الجماعة وتوحدتها مع كلحبة كسكس، ويعتبر إجباري في بعض مناطق تبسة، فإذا كانت قرابة الدّم و التحام القبيلة تخلق علاقات وطيدة تجمع بين الأفراد فإنّ قرابة الطعام أيضا على الشاكلة نفسها ولاسيما في الاحتفالات والمواسم، حيث يشير كلود ليفي ستروس إلى أنّ التعامل مع الطعام لا يكون معزولا عن النسق الثقافي الذي ينتهي إليه الفاعل الغذائي، فكلّ طعام حسب اعتقاده يتأسس على سيرورة ثقافية تنطوي على عدّة رموز وطقوس تساهم في تفسير وتأويل الثقافة الكلية أو السائدة، وكأبرز طقس يميّز احتفالية يناير فإنّ الطبق الرئيسي يجب أن يكون معدّا من أكلتين رئيسيتين وهما الكسكسي والشرشم الذي يعدّ من القمح المطبوخ والذي يطهى في مرق خاص يتضمّن مكونات رئيسية ممّا أنتجته الأرض وجادت به الطبيعة من مصادر حيوانية ونباتية، حيث يشتمل على القمح المطبوخ (ويشترط أن يكون من إنتاج الأرض خلال السنة الماضية وليست السنوات التي قبلها) يضاف إليه الحمص والفرماس (وهو عبارة عن المشمش أو البرقوق المجفف والذي يوجد فيه نوع من الحموضة) ويضاف إليه مكوّن اخر من مصدر حيواني وهو لكليّلة (حيث يتمّ إعدادها من اللبن المطبوخ مع بعض الملح حتى يصبح كتلة مثل الجبن ويتمّ تصفيته ووضعه ليحجف، ثمّ تخزن لاستعمالها في اكلات معينة) وتطهى المكونات السابقة مع لحم الدجاج (القربان) مع إضافة الخضرة المتوفرة مع مكونات اخرمتعارف عليها في الطقوس المطبخية، ليتّم فيأخر عملية الطهي إضافة الحليب المغليّ إلى الخليط ويمكن تسميته بعد الطهي بأكلة الشرشم وتقديمه فوق الكسكس وأحيانا يوضع بمفرده لمن يريد تناوله منفردا. ومن خصوصية هذا الطعام المقدّم في يناير أنّه يشكّل رمزا لغنى وخصوبة ووفرة المحصول، و من لم يشبع في تلك الليلة لن يشبع طيلة السنة امتثالا لمقولة ليّ ما يشبع راس العام... ما يشبع طول العام

وهذا حسب اعتقاد مفردات مجتمع البحث، لهدافهم يلزمون الاطفال على تناول عشاء يتأير المتمثّل في طبق الشرشم كما أسلفنا، حتى يحسّوا بالاكْتفاء بل والتّخمة أحيانا، وذلك حتى يكون عام خيرا وبركة عليهم ولا ينقصهم شيء طيلة السنة، كما لاحظنا من خلال شواهد الميدان وجود اعتقاد ضارب في القدم يحوي تفسيرات ميثية، حيث يعتقد افراد مجتمع البحث أنّه إذا لم يبق بعض الطعام لليوم الثاني من يتأير فإنّ الافراد يحزنون ويعتبرونه عام حزن وشر، وسنة فلاحية يتخلّلها القحط والجفاف، وإذا حدث العكس يفرحون ويستبشرون خيرا، وفي هذا الشأن تقول إحدى سيّدات المنطقة:

كِ لِعَوَايِدْنَعُ سِنَاوُ سِكْسُو غَزِيْرُ... مَا يَصْبَحُ السِكْسُو ذِي الكَسْكَاسِ أَنْفَرِحُ أَيِ ادْنِنَاوُ اسْقَارُ ذَامْبُرُوكُ

¹ سمير زمال، مرجع سبق ذكره، ص 168.

² المخبرة الحاجة سبيكة عبد المالك، 70 سنة، مريّة، منطقة عين بّوش، بلدية المزرعة، تبسة، بتاريخ 13/01/2017 على 13.30 سا

وذا مَرُبُوحٌ..... سِينُو المَعْنِيَسَ ثِخْلَاتٌ¹

بمعنى أنّ طبق الكسكس من عادات المنطقة ويحتلّ مكانة مهمّة وله معرّة خاصّة، كما أنّه إذا أصبح الكسكسي في القدر (الكسكاس) تغمرهم الفرحة، وتكون سنة خير، وإذا أصبح القدر فارغا تكون سنة سيّئة، ويتمّ توزيع هذا الطبق على الأهالي والجيران، أو دعوتهم لتناول عشاء يتأير معهم، وذلك لزيادة تثبيت أواصر المحبّة بين الافراد، وبالتالي فممارسة هذا الطقس الخاص بوحدة الطعام جعلتهم ينتمون لثقافة واحدة، تتخللها اعادة انتاج مكتسبات السّابقين، واستمرار كينونة الجماعة، ويستمدّ هذا الاحتفال أصله من الطقوس الدينية والرّواسب الثقافية القديمة، فيرتبط تحضير عشاء يتأير بطقوس ثقافية تختلف من منطقة لأخرى ترجع جذورها الى بعض المعتقدات الوثنيّة، حيث " كانت النّسوة يضعن القليل من الطعام في مختلف أركان المنزل وذلك بهدف التقرب من الأرواح الخفيّة ونيل رضاها، ومع معي الإسلام اختفت هذه المعتقدات"²

4. طقوس الخصوبة

هي "ممارسات سحرية يشيع انتشارها لدى الشّعوب البدائية التي تربط أساطيرها بين انتاج الأرض للمحاصيل الزراعيّة وبين عمليّات الإنتاج والولادة عند الانسان"³ غير أنّ الطقوس الملاحظة من خلال استنطاق الميدان، لها علاقة بخصوبة وإنتاج الأرض لكنّها لا تحوي أفعالا سحرية بل ترتبط بأساطير شعبية قديمة توارثوها عن أجدادهم

طقس الحنّاء: أخبرنا سكّان منطقة عين ببّوش أنّه يتمّ وضع الحنّاء للنّساء والأطفال (ذكورا واناثا) وإذا أتاهم ضيف في تلك الليلة فيأتيهم يقومون بوضع الحنّاء له إن كان طفلا (ذكرا) في إصبعه فقط أما الرّجال فلا يمثّلون لطقس الحنّاء إلاّ في حفلات زواجهم فقط، وإن كانت أنثى فتوضع في كلتا يديها ورجليها، وهذه من عادات المنطقة تعبيرا عن حسن الضيافة وتوطيد أواصر المحبّة، تقول إحدى السيدات: أيّ أنساوّل فيجيزانّ ما يلائنّ غورسنّ الضيّاف أنخدمنّسنّ الحنّاء.. أيّ نسهرّ

وتعني ننادي على الجيران، وإذا جاءنا ضيف ليببت عندنا نقوم بوضع الحنّاء له، بعد السّهر، كما أتالحنّاء حسب اعتقادهم "ثمرة من ثمار الجنّة أنزلها أبونا آدم معه في شكل تاج كان يلبسه في الجنّة ولما نزل إلى الأرض قام بزراعة ورقة من اوراق ذلك التّاج، فنمت لكّها لم تثمر، لأنّ تراب الأرض يختلف عن تراب الجنّة وإثمارها يقتصر فقط على عودتها إلى الجنّة وسمّيت بالحنّاء لأنّها تحنّ الى تراب الجنّة"⁴، وهذا الاعتقاد يعود الى أساطير قديمة متعلّقة بأصل النّبات وكيفية نموه في الأرض وكلّها على شاكلة أسطورة الحنّاء، لذا فهي تعتبر نباتا مباركا وله فوائد عديدة، وتقديسا لهذه النبتة فإنّ جلّ سكان المجتمع التبسي تقريبا يستعملونها في أفراحهم، كما أنّهم يستعملونها عند دخول منزل جديد حديث البناء، حيث يتمّ نثرها في أركان المنزل ووضع خليط منها مع السّكر في أعلى الجدار الأمامي للمنزل، اعتقادا منهنّ أنّها تجلب الحظ وتبعد الحسد والعين، وبما أنّها رمز للخصوبة والنّمو فإنّ صاحب المنزل سيزداد رزقا وتطويرا لمنزله، كما يحضر تناولها من قبل المرأة لأنّها تسبب العقم، وبهذا تصبح الحنّاء طقسا مانعا للخصوبة، أي أنّ استعمالها محدود خارجيا فقط لزيادة الخصوبة، وحسب اعتقاد أهل المنطقة أنّه يُحضّر التّلاعب بهذا الطّقس فلا تُرمى الحنّاء في مكان نجس كونها شيئا مقدّسا، لذا فعندما يبقى منها القليل تقوم النّساء بإذابتها في الماء ثمّ سكبها في حديقة المنزل وسقي الأشجار بها، وحسب اعتقادهم أيضا أنّ واضعة الحنّاء تنام بها ليلة كاملة بعد لفّها جيّدا لتستيقظ في صباح اليوم التالي وتقوم بنزعها، فإذا كانت حمراء أو ذات لون مقبول فإنّ صاحبها تلقى

¹المخبرة الحاجة رحيلة بوزيدة. (سبق التعريف بها)

²لطيفة دوش، راس السنة الامازيغية بين الطقوس الاحتفالية والرمزية السياسية، ص 2 / 3. (بتصرف) الرابط <http://www.hespress.com>

³طليلب نسيمة، مرجع سابق، ص 162

⁴المخبرة الحاجة سبيكة سيق التعريف بها

خيرا كثيرا وهي محظوظة في هذه السنة الجديدة، وأنها ستنال خيرا وفيرا، أما إذا كانت صفراء ولونها لا يكاد يظهر فإن صاحبها ذات حظ قليل، وخوفاً منهن من أن تكون السنة سيئة علمين، فإنهن يقمن بإضافة عدّة مكونات أخرى لتجعل لونها يسرهن قد تكون طبيعية من المنزل (السكر- قطرات من الليمون) أو كيميائية يشترينها، ممّا ينعكس على خصوبة الأرض وبذلك تكون ذات مردود جيّد، وهذا نستنج أنّ استعمال الحنّاء ليست فقط بغرض التزيّن بل لها مدلولات غيبية قد تكون استناداً إلى أساطير يجهلها الأفراد، فإرجاعها إلى عادات ومعتقدات الأجداد كافية بالنسبة لهم.

طقس تقليب الحجارة: يمكننا ان نصنّفه ضمن طقوس الخصوبة ويقوم به الرجال صبيحة أول يوم من السنة الجديدة، وهو طقس خاص بالرجال فقط دون أن تقوم به النساء دون علم الأسباب فأفراد العينة فقط أشاروا إلى أنه متوارث عن أجدادهم، حيث يخبرنا أحد سكان منطقة عين ببوش أنه يستيقظ باكراً وقبل أن يقوم بطقس الدمّ والذبح المذكور أعلاه، فإنه يتّجه إلى أرضه حيث يقوم فيها بتقليب إحدى الحجارة حيث يقول:

ولأو يعرّم ذ اللغو وننأفا حشاك لبخاش... لبخاش ذ لحد يقّر اتنايض... حد يقّر اسقاس ن ما يخال¹

أي أنّ الرجال صبيحة السنة الجديدة يقلّبون الحجارة الموجودة على أراضيهم، فإذا وجدوا تحتها الحشرات (نمل - دود) فإن هذا يفرحهم، ويتنبؤون خيراً من السنة الجديدة، وذلك بزيادة في الرزق وزيادة في عدد أفراد الأسرة بميلاد أطفال جدد، أو تزويج أحد الأبناء، لأنّ وجود كائنات حية دليل على الخصوبة والحياة الجيدة، وحسب اعتقاد أهل المنطقة فإنّ مقلب الحجارة في هذه الحالة يكون محظوظاً طيلة السنة ويحظى بعمر أطول لرؤية أحفاده وربّما حتى أحفاد أبنائه، أما إذا تمّ تقليب الحجارة وانعدمت الحشرات فإنّ السنة الجديدة تكون سنة سيئة وقليلة الخيرات، بدليل انعدام الحياة تحتها، وانعدام الخصوبة، كما أنّهم يعتقدون أنّ من يجد حفرة تحت الحجارة التي تمّ تقليبها يتنبأ بموته أو موت أحد أفراد أسرته في تلك السنة، وتلك الحفر تدلّ على القبر، فيرجع إلى بيته حزينا ويعيش تلك السنة منتظرا موته أو موت أحد أفراد أسرته.

* وهناك طقس آخر ضمن طقوس الخصوبة كانت تقوم به النساء صبيحة 12 من يناير، إلا أنّهن توقّفن عن القيام به مؤخراً، ولم يعد له أهمية بالغة في احتفالية يناير، ولاحظنا غيابها طيلة سنوات الدراسة الثلاث، حيث تقمن بإحضار نبات أخضر (اكليل الجبل) وتضعه في وسط المنزل، دليل على الخصوبة وتيمّنا بسنة خضراء ونافعة، وتبتعد النساء عن احضار نبات الشّيح لمراته، واعتقادهنّ بتأثيره السّليبي على السنة الجديدة.

* ومن خلال ملاحظتنا ومعايشتنا للشواهد الميدانية يمكننا القول بأنّ احتفالية يناير في المجتمع التّبسيّ تشكّل منظومة متكاملة من الطّقوس، كلّ طقس فيها يحاكي له دلالة معيّن.

** طقوس يناير.....الأدوار والوظائف**

إنّ المجتمع في سياق سعيه للمحافظة على بنيته وقيمه الثقافية التي من شأنها ان تساعد في مواجهة التغيرات الواسعة التي تشهدها والتي يمكن أن تهدده وتؤدي إلى بعثرته وتشتته فإنه يتّخذ طقوساً وممارسات تتحول في كثير من الأحيان إلى معتقدات وشعائر لها دورها الفعّال في الحفاظ على أهم مميزات المجتمع وآليات التمسك بها. ولا خلاف في أنّ الذاكرة الشعبية حافظت على هذا التراث المتواترتحت تأثير العادة والتكرار بحفظ أدقّ الطقوس وتجسيدها في ممارسات خلال فضاءات زمنية ومكانية محدّدة ليتمّ نقلها عبر العصور وعلى ممرّ الأجيال، واستناداً إلى ما ذكرناه في مقالنا هذا، ومن خلال تحليل شواهد الميدان واستنطاقها فقد تبين أنّ احتفالية يناير أو راس العام كما هو متعارف عليه في مجتمع البحث والتي أصبحت تشكّل ثقافة البناء الكلي للمجتمع الجزائري وليس بعض المجتمعات المحلية امثال تبسة فقط، ظاهرة ثقافية ذات تعبير صادق عن تراث هذا الشعب ومرآة تنعكس عليها صور نابضة عن حياته ظاهرة ثقافية لها وظائف وأدوار عميقة بعمق مدلولات طقوسها

¹المخبر الحاج غرماس بلقاسم بن حفيظ، 70 سنة، فلاح، منطقة عين ببوش، المزرعة، بتاريخ: 13/01/2017 على 15.30 سا

وممارساتها، ظاهرة تنطوي على دلالات رمزية ومعان اجتماعية تزداد أهميتها بعمق إدراك الأفراد لها، فيكفي أنها إحدى أهم الآليات التي أنتجها المجتمع بعد مخاض عسير، يكفي أنها نابعة من تجربته التي ميزته عن باقي المجتمعات، هي الآلية التي تعزز وحدته وتماسكه، تحافظ على استمرار وجوده وكيونته بل وتعمل على تفسير وقائعه الاجتماعية كما يشير دوركايم الذي يرى أن "أي تفسير نفساني لواقعة من الوقائع المجتمعية لا بد أن يكون تفسيراً مغلوطاً".¹

1. طقوس أمنية..... ارضاء للطبيعة والأرواح الخفية: يرى تايلور "أن الإنسان في المجتمعات الأولى كان يتمتع بقدرات خاصة نتيجة نظريته العامة إلى الكون وإيمانه بحيوية الطبيعة لدرجة تصل إلى تجسيد مظاهرها كلها على نحو رمزي، فالطقوس التي كان يؤدّيها كانت تهدف إلى أشياء أخرى غير ما تنبئ به ظواهر تلك الطقوس، بمعنى أن هذه الأخيرة كانت تجسيدا لبعض الأفكار الغامضة لديه عن وجود كائنات عليا تملأ الكون"² وحتى يتم التواصل معها واسترضائها بل وترويضها أحيانا لجأ إلى استعمال رموز وعبارات تمّ تجسيدها لتصبح طقوسا ممارسة في فضاءات محددة، وهذا يمكن معالجة الطقوس على أنها صيغ من التواصل القائم بين الناس والآلهة أو الأرواح الخفية، مع أنّ هذه الأخيرة ليست شريكة مع الإنسان في منظومة تواصل واحدة، وهذا ما يشير إليه العالم الأنثروبولوجي الاسكتلندي جيمس فريزر Frazer. James حيث يرى أنّ ثمة اعتقاد شائعي المجتمعات القديمة بأنّ هناك وسائل تمكّنهم من اتّقاء شروخ الطبيعة "وأتمّ يستطيعون أن يعجلوا في سير الفصول أو يبطئوا منه بفنّ السّحر لذا قاموا ببعض المراسم وقراءة الرّق والتعاويد ليحثوا المطر على السقوط والشمس على الاشراق والحيوانات على التكاثر وفواكه الأرض على النمو."³ وبفعل الزّمن والتكرار استطاعت الطقوس أن تكتسب سمة القدسية حتى أنّها تحوّلت بفعل الزّمن إلى معتقدات دينية ونشير في هذا المقام إلى العالم الأنثروبولوجي مالينوفسكي ودراسته حول جزر التروبرياندي حيث "وجد أن الاهالي يمارسون انماطا مختلفة من الطقوس السحرية، و بعد تعمّقه في البحث ومعايشته لهم لاحظ ان تلك الرقصات الشعائرية والطقوس الممارسة تساعدهم على تبديد مشاعر الخوف من العالم المجهول المحيط بهم"⁴

2. طقوس روتينية..... دليل بقاء واستمرارية: اهتم الزواد الاوائل من الأنثروبولوجيين في مختلف بحوثهم ودراساتهم بالكشف عن الطرق والوسائل التي تعمل من خلالها العناصر والأنساق الثقافية في ترابط وتساند مستمر، وحركة المجتمع والمحافظة على كيانه المتميز، وطقوس احتفالية ينادر من هذه الزاوية تعمل على تساند وترابط الأفراد المحتفلين، واشراكهم ضمن معتقد واحد وتاريخ واحد والافتخار به، فالطقوس هي إعادة بناء ماضي سحيق إلى زمنية الحاضر، أي إعادة بناء الماضي ضمن قواعد جديدة تتكهن بمستقبل أحسن، ويشير الباحث نور الدين طوالي إلى أنّ دعوة الطقس تكمن في اثبات الحدث التاريخي والأسطوري الشهير، فالطقس في احتفالية ينادر يميل أساسا من خلال تكرار واستدامة القواعد التي تثبته إلى تكريس ديمومة الحدث الاجتماعي والأسطوري، وطقوس ينادر لها طابع جمعي يعمل على تغيير الحالة النفسية والذهنية للأفراد، وهذا الطابع هو الذي يجنّد حماسهم ويعطيهم الإحساس بوحدة معتقداتهم وتاريخهم.

** يمكننا استقراء وظائف طقوس ينادر واستنتاج ما يلي:

- تسعى إلى تأصيل العلاقة السلمية بين الإنسان والطبيعة، والتحذير من عصيانها والتمرد عليها (اسطورة العجوز)
- تعمل على تثبيت القوى الخيرة في النفوس من خلال تعاطف وتعاون افراد المجتمع في هذه التظاهرة الاحتفالية
- التعريف بتاريخ الشعوب وبطولاته، ونلمح ذلك من خلال اسطورة شيشناق حتى وان تضاربت حوله.

¹ ايفانز برينشارد، مرجع سابق، ص 207.

² طيليب نسيمية، مرجع سابق، ص 119.

³ جيمس فريزر، 'ادونيس أو تموز' دراسة في علم الاساطير والاديان الشرقية، ت جبرا ابراهيم، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 1982، ص 15.

⁴ محمد عباس ابراهيم، الثقافة الشعبية الثبات والتغير، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، مصر، 2009، ص

- محاولة السيطرة على الظواهر الطبيعية واسترضائها، من خلال الممارسات المتعلقة بالفلاحة.
- اعادة تكرار الطقوس تسعى الى ارساء دعائم المعتقدات المشكّلة لأسس التنظيم الاجتماعي.
- كما تضمن هذه الطقوس نجاعة الاحتفالات الشعبية التي تتعلق بيناير (راس العام)
- 5. يناير..... الزمن المقدّس بين الطقوس الواقعية والأساطير الوهمية* استعادة الزمن الميثولوجي*

إنّ تكرار الأفراد لطقوس يتأير يهدف إلى إعادة إحياء الزمن الميثولوجي لمنح الحياة الاجتماعية معنى، ولتدلّ به (الطقس) على المقدّس في حياتها، في الفضاء الزمني، وبالرغم من تعددية المكان ومحدودية الزمن، لذا فإنّ فكرة قداسة الزمن الخاص ب 12 من شهر يتأير تضرب جذورها في عمق تاريخ المجتمع الجزائري على غرار المجتمعات المغاربية، فالفضاء الزمني ليتأير يحمل قيما رمزية ودلالات خفية ترايبت وظيفيا وتناسقت معنويا لتشكل منظومة من الطقوس التي أضفت على احتفالية يتأير قداستها في زمن سيطرت فيه الثقافات الدخيلة والمنطوية تحت لواء العولمة والتكنولوجيا على عقول الأفراد، ومنه فالقداسة ليست في الزمن نفسه بمعزل عن طقوسه وممارساته حيث يقول الكيلاني "ليست القداسة في الزمن نفسه بل في نتيجة تقييم نوعي للظواهر وتقييما لقدراتها على تلبية الحاجات النفسية والجمالية والقدسية والدينية".¹ وبهذا يستطيع الأفراد استعادة الزمن الميثولوجي بتكرار أحداثه عن طريق ممارسة الطقوس الممتلئة لذلك بهدف الإيحاء للطبيعة النباتية بالانبعاث بطرق وممارسات تلائم متطلبات المجتمع وتواكب سيرورة الحاضر. واستنادا الى شواهد الميدان نلاحظ أنّ لطقوس يتأير جذورا ميثولوجية توحى بالخصوبة، والهدف من الامتثال لها وتطبيقها هو اخضاع الطبيعة وارضائها عن طريق مبدا المحاكاة الذي يكمن في استرجاع الزمن المقدّس، حيث ينطلق الأفراد في تفسيراتهم للظواهر الطبيعية في كثير من الأحيان من منطلقات وهمية وخرافية، بل تفسيرات ميتافيزيقية أسطورية، وبما أنّ الأسطورة ولدت من رحم المجتمع كما يقال فهي تعكس ثقافة المجتمع الذي صنعها، وتنقلها للأجيال اللاحقة بسلبياتها وإيجابياتها، ورغم ثقافة الأفراد المحدودة سابقا، إلا أنّهم وقّفوا في توريثها للأجيال اللاحقة وصولا إلى ما نحن عليه الآن، وفي ذلك يقول كلود ليفي ستروس "أقرّ الاثنولوجيون غالبا بوجود علاقة متبادلة منتظمة بين ثقافة المجتمع وأساطيره"² وعلى غرار كلّ الطقوس السابقة التي تُنبي بسنة فلاحية جديدة، في الذاكرة الجماعية للأفراد، إلا أنّهم يذكرون الملك الأمازيغي شيشناق ويتغنّون به في شعرهم بذكر مكانته المهمة، وما لاحظناه هو أنّهم كانوا يجهلون حقيقة إرجاع احتفال يتأير الى 950 ق. م، والحرب التي دارت بين شيشناق و فرعون مصر، وتأسيس الأسرة الفرعونية الامازيغية رقم 22، إلا في سنوات قليلة مضت، ومع ذلك فهم على دراية من أجدادهم السابقين أنّ جدّهم الأمازيغي شيشناق كان يعيش في الجبال وكان شهما ومغوارا ويدافع عن أراضيه، إذ يقول أحد الأفراد شعرا بلهجتة الشاوية وهي أحد لهجات اللّغة الامازيغية يمدح فيه جد الأمازيغ دون علمه بأحداث وتفاصيل هذا المدح والتّعظيم، وبرر ذلك بأنّه سمع أجداده يردّدونه فتوارثوه شفويا:

إذْشَفِينْغُ أَيُّ أَكْدِشَفِينْغُ ذِ تَارِينْغُ نَّ جُدُودِ اِنْغُ أَتْدَكْرُ وَأَذَكْرُكَ بِتَارِينْغِ الأجداد
أَيُّ تَارِينْغُ نَّ اِنْمَازِينْغُ زِينْغُ جِدْ اِنْمُ شَيْشِنَاقُ وتاريخ الأمازيغ وجدّي شيشناق
يُرُوحُ أَر التَّيْلُ أَيُّ سَقَسُ يَتْسُو ذهب لنهر النيل ومنه شرب
شَيْشِنَاقُ اِمْقِرَانُ أَيُّ أَرْقَازُ شيشناق عظيم ورجل شهيم

¹ شمس الدين الكيلاني، رمزية المقدس الروحية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص 10 / 11 (بتصرف)

² كلود ليفي ستروس، الاثنوبولوجيا البنيوية الجزء 2، ت مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، 1983، ص 292

أي ذِفِحَالٍ أَحْرِيْشُ...ذِيْ أَدْرَارُ يُعِيْشُ بطل مغوار...وفي الجبال ترعرع

والمقصود بهذا الشعر هو الافتخار بتاريخ أجدادنا الامازيغ وتعظيم الملك شيشناق وذكر بعض خصاله ونمط عيشه.

خاتمة :

جُلَّ الطقوس الاحتفالية التي تمّ دراستها ترتبط ارتباطا وثيقا بالرموز الطبيعيّة، لتشارك في مدلول واحد مقدّس وهو الخصوبة وتقديس الأرض والفلاحة. حيث تمّ تقسيم فضاء الاحتفال بيناير من خلال الطقوس المركّبة له الى فضاء رجالي وآخر نسائي، حيث يُمنع طقس المطبخ والحناء على الرجال، بينما ينفرد الرجال بطقسي الدّبح وتقليب الحجارة دون النساء. كما لاحظنا شرعيّة الممارسة الطقوسية لدى مفردات العينة وتقبّلها دون التقصّي والبحث عن جذورها التي أغلبها ذات صبغة وثنيّة، مثل الأضحية الالزاميّة المقدّمة في عشاء يتاير، تعود جذورها إلى تقديم القرابين التي كان يرجى من ورائها توثيق الصّلة بين البشر وآلهتهم قديما. ورغم إيمان أفراد المجتمع المحلي بالقضاء والقدر وبمحدودية علم السّاعة وانفراد الله عزّ وجلّ بها إلا أنّهم يمارسون نوعا من التطبّر أو التكهّن وذلك عن طريق تقليب الحجارة وربط الحفر بالموت القريب، وربّما نرجع هذا الاعتقاد والتمسكّ به الى المستوى التعلّيمي لدى مفردات العينة

في ختام ورقتنا البحثية هذه لا يمكننا سوى القول بأنّ ثقافة يتاير تمثّل أحد أبرز الخصوصيّات المحلية التي تصبّ في رحم الوحدة الوطنيّة والتنوع الثقافي الجزائري و أحد أهم معالم التراث الرّوحي الذي يجمع شمل الأفراد في بعده الوطني الكلي، حيث كشفت شواهد الميدان ونتائجها هذا الاحتفال لا يقتصر على منطقة دون سواها، إذ تبرز مظاهره بشكل جلي في مختلف ربوع الوطن، بشكل يؤكّد أنّ الاحتفال بيناير لم يعد يقتصر على سكّان منطقة القبائل التي تعتبر الأكثر تشبّثا بالثقافة الأمازيغية، وبدأ يرتسم كعادة جزائرية في مختلف ربوع الوطن الجزائري وأضحى يمثّل عنوان الخصوبة والعطاء، بتداخل العديد من الأساطير والمرجعيات التي تقريبا جُلّها ينطوي تحت رمزيات تثمن وتقديس الأرض، بعد أن كانت العلاقة بين الإنسان والطبيعة في المجتمعات التقليدية علاقة متوترة أساسها الخوف من غدر الطبيعة.

قائمة الراجع :

1. ايفانز بريشارد، الأناسة المجتمعية ديانة البدائيين في نظر الإناسيين، ت حسن قبيسي، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت ط1، 1986.
2. إيكة هولتكرانس، قاموس مصطلحات الاثنولوجيا و الفلكلور، ت محمد الجوهري وحسن الشامي: دار المعارف، القاهرة، ط2، 1973
3. جان كوبان، المسح الاثنولوجي الميداني، ت جهيدة لاوند، معهد الدراسات الاستراتيجية، العراق، ط1، 2007
4. جيمس فريزر، "ادونيس أو تموز" دراسة في علم الأساطير والاديان الشرقية، ت جبرا ابراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1982
5. روني باصي Renet Basset، أبحاث في دين الامازيغ، ت حمو بوشخار، الناشر دفاتر وجهة نظر، ط1، 2012
6. سمير زمال، صفحات من تاريخ تبسّة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2013
7. شارلوت سيمور، موسوعة علم الانسان، ت محمد الجوهري واخرون، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2005

8. شاكور مصطفى سليم، قاموس الانثروبولوجيا، انجليزي - عربي، جامعة الكويت، ط1، 1981
9. شمس الدين الكيلاني، رمزية المقدس الروحية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005
10. عبد الحميد حوّاس، أوراق في الثقافة الشعبية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط2005، 1
11. عبد الرحمان بوزيدة وآخرون، قاموس الاساطير الجزائرية، المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2005
12. عبد العزيز فيلاي، بحوث في تاريخ المغرب الاوسط في العصر الوسيط، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، ج1، 2014
13. عبد الكريم بركة، طقوس الاحتفال بالمناسبات والأعياد بشمال افريقيا، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 19 ارشيف الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، البحرين، ، 2012.
14. الفيروز ابادي : القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج3، ط3، 1979
15. كاملي بلحاج، اثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة . منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 2004
16. كلود ليفي ستروس، الانثروبولوجيا البنيوية الجزء2، ت مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، 1983
17. مبروك بوطوقة: ظاهرة الفانطازيا في المجتمع الجزائري- مقارنة سوسيو أنثروبولوجية بولاية تيارت، أطروحة دكتوراه، جامعة مستغانم، الجزائر، 2016-2017.
18. محمد عبد الرحمان الشرنوبي، معجم مصطلحات الانثروبولوجيا، مجمع اللغة العربية، القاهرة ط1، 2013
19. محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1. 1995
20. محمد الجوهري وآخرون، التراث و التغيير الاجتماعي، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، ط1، 2002
21. محمد سعدي، الانثروبولوجيا، مفهومها وفروعها واتجاهاتها، دار الخلدونية، 2013،
22. محمد سعدي : من اجل تحديد الاطار المعرفي والاجتماعي للمعتقدات والخرافات الشعبية، مطبوعات مركز الابحاث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، د ط ، 1995
23. محمد عباس ابراهيم، الثقافة الشعبية الثبات والتغير، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، مصر، 2009
24. محمد عباس ابراهيم : الثقافة الشعبيّة الثابت والمتغير، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2009، د ط
25. نسيم طيلىب، الابعاد الاسطورية للطقوس الاحتفالية في منطقة القبائل بالجزائر، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية والاعلام، جامعة الجزائر 3، 2010-2011.

26. نهى الزيني، أيام الامازيغ اضاء على التاريخ السياسي الاسلامي، دار الشروق ، القاهرة، مصر، ط1، 2011

27. نور الدين طوالي: الدين والطقوس والتغيرات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988

28. Edmond Douuté, Magie & Religion dans l'Afrique du Nord, Alger, 1909.

29. JEAN COPANS : L'ENQUETE ETHNOLOGIQUE DE TERRAIN, Nathan- Université, Paris, 1998

30. Kamal Chehrit, Les Chachnaq; Pharaons Berbères d'Egypte, Alger– Livres Editions, Alger, 2016.

31. Marian Berlewi, Dictionnaire des Symboles, Seghers, France

32. M. chebel, Dictionnaire des Symboles musulmans, Albin Michel, 1995, Song

33. Pierre Bourdieu. Le sens pratique. Minuit .Paris. 1980.

34. Robert P. petit robert : dictionnaire de la langue françaises ; dictionnaire de robert, paris, 1967

خصائص مواد العمارة الترابية بجنوب الجزائر- دراسة مادة الطوب من قصر موغل بالجنوب الغربي -

The Characteristics of earth architecture southern Algeria

- A Study of adobe bricks from Mughel ksar in the south west –

د.قادة لبتر/جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر

ملخص :

تأثر المهتمون بتاريخ العمارة، بالإبداع الهندسي والنماذج الحية للجغرافية البشرية العمرانية للعمارة الصحراوية بجنوب الجزائر، نظرا لما تحمله القصور الصحراوية من أسرار، حيث أصبحت قبلة لهم لاستكشافها، وتميزت جميع القصور الصحراوية باستعمال مواد بناء متنوعة، متماشية مع تقنيات كانت سائدة في الفترة التي بنيت فيها، وقد خضعت هذه المواد في عملية اختيارها لعدة عوامل، بناء على وفرتها وملاءمتها للظروف الطبيعية والمناخية التي تخضع لها، واستعملت هذه المواد كل حسب الفئة التي قامت ببنائه، ولو أنها لم تختلف كثيرا بحكم تقارب فترة التشييد بينها، من أهم مواد البناء المستعملة بكثرة في العمارة الصحراوية " الطوب"، هذا الأخير تعددت تقنيات تصنيعه وخصائصه من منطقة لأخرى في القصور الصحراوية بجنوب الجزائر وخاصة الجنوب الغربي، وللدراسة أخذنا عينة من قصر موغل بولاية بشار، لكن الطوب كمادة بناء لم يأخذ حقه من البحث والدراسة.

الكلمات المفتاحية: الطوب؛ القصور الصحراوية؛ العمارة؛ مواد البناء؛ موغل.

Abstract

The engineering creativity in the living models of urban human geography of desert architecture in the south of Algeria and the uniqueness of desert ksours led history architecture specialists to bend on the study of this area of research. All desert ksours were characterized by the use of various building materials that used to be of common use in that specific period of construction time. These materials had been selected for several factors, based on their availability and suitability to the natural and climatic conditions under which they used to be exposed. These materials were used according to the construction category, although they were not significantly different due to the proximity of the construction period. One of the mostly used building material in the desert architecture used to be "adobe brick". The manufacturing techniques of this latter varied from one region to another in the Algerian southern desert ksours in general and in the south-west in particular. The study took as a sample Mughel ksar in the state of Bchar, but the adobe brick as a building material was not given its necessary amount of interest in the study.

Keywords: Adobe Brick; Desert ksours ; Architecture; Building materials ; Mughel

مقدمة:

تأثر الباحثون؛ خاصة المستشرقون منهم في القرن 19م¹ بالعمارة الصحراوية الجزائرية، وخاصة العمارة الترابية بما تحمله من مواد وتقنيات بناء متنوعة، الأمر الذي جعل الكثير منهم يحاول إعادة تشييد منازل وعمائر مشابهة لها، والعودة إلى العمارة الصديقة للبيئة، وخير دليل التجارب العالمية المعاصرة مثل الولايات المتحدة الأمريكية، المكسيك، الدول الأوروبية...، التي جسدت الفكرة بإنشاء مراكز بحث مختصة، والقيام بدراسات ميدانية إضافة إلى تنظيم ملتقيات علمية.

يعتبر الطوب مادة البناء الأساسية في العمارة الترابية الصحراوية، إذا ما اعتبرنا الطابية المادة الأساسية في الشمال والمناطق الساحلية، ولمعرفة خبايا العمارة الترابية الصحراوية يجب التعرف على مميزات وخصائص مادتها الرئيسية وتقنيات البناء بها، وكعينة لهذه الدراسة تم اختيار قصر موغل بولاية بشار بالجنوب الغربي الجزائري، حيث تم تقسيم البحث لشق نظري يتطرق إلى أهم أبحاث المراكز السابقة الذكر، وجانب تطبيقي ميداني حول مميزات وخصائص طوب قصر موغل، وفي الأخير مقارنة النتائج المتوصل إليها.

1. تعريف البناء:

البناء لغة هو وضع الشيء على الشيء بحيث يراود به الثبات كبناء الحائط، ومنه سمي كل مرتفع ثابت بناء، ويطلق البناء على الشيء المبني وكذلك على عملية البناء، حيث يمثل البناء الجانب المادي في العمارة الذي ينقل الفكر المعماري لمن يقوم بالبناء إلى حالة التحقق²، أما المواد فهي جمع مادة وهي كل جسم له امتداد ووزن ويشغل حيزا من الفراغ، ويقال مادة الشيء أي أصله وعناصره التي منها يتكون³.

2. تعريف الطوب:

أما الطوب كلمة عربية تعني الأجر غير المطهي أو النيئ، ليتم تفرقة عن أنواع الطوب المستعملة حديثا كالطوب الإسمنتي والزجاجي⁴، وتطلق عليه تسمية الطوب باللغة الفرنسية Toub و Adobe⁵، والإسبانية Ottob⁶.

وقد اختلف معنى هذا الاسم بين بعض البلدان العربية، فنذكر ما أورده ياقوت الحموي⁷ أن الأجر " هو بلغة أهل مصر الطوب وبلغة أهل الشام القرميد، ويمكن أن نضيف مصطلحا ثالثا يعرف به الأجر في العراق هو الطابوق"⁸.

1. أيوب عبد الرحمان، من قصور الجنوب التونسي: القصر القديم، النقائش والكتابات القديمة في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1988 م، ص 13.

2. مبارك قبيلة، تطور مواد وأساليب البناء في العمارة الصحراوية، مذكرة ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2009-2010، ص 14.

3. عطية شعبان وآخرون، المعجم الوسيط، الطبعة الأولى، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق، القاهرة، 2004، ص 858.

4. محمد علي بركات، مواد البناء واختباراتها القياسية، دار راتب، بيروت، 1990، ص 21.

5. Andrew Peterson, **Dictionary of Islamic Architecture**, Rout ledge, London, 1996, p299

6. Doat P, Hays A, Hauben H, Matuks, Vitoux P, **construire en terre**, par le CRA terre, France, 1979, p.106

7. الحداد محمد حمزة، المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية في ضوء كتابات الرحالة المسلمين ومقارنتها بالنصوص الأثرية والوثائقية والتاريخية، مطبعة زهراء الشرق، القاهرة، 2001 م، ص 80.

8. قاموس المنهل، ص 38.

3. تاريخ استعمال الطوب :

استعمل الطوب كمادة للبناء منذ عرف الإنسان التمدن، حيث شاع استعماله لسهولة تصنيعه وتوفير مادته الأولية، كما انتشر استعماله عند مختلف الحضارات المتعاقبة، كما تدل عليه الرسومات والكتابات والدراسات، نذكر على سبيل المثال دراسات مركز البحث في العمارة الترابية CRATERRE، الشكل أدناه يبين مشهدا لملكة فرعونية وهي تقوم بتصنيع الطوب.¹



الشكل رقم 01: بين مشهد منقوش للملكة حتشبسوت نقلا عن:

CRA Terre, Construction en Terre, 3ed, 1979, p.109.

ثم شاع استعماله وتناقلته الحضارات المتعاقبة ونخص بالذكر الفترة القديمة، فقد أعطى فيتروفس VITRUVIUS المهندس المعماري اللاتيني شرحا مفصلا حول التربة الصالحة لصناعة الطوب، وما هي أهم الخلطات والمواد المستعملة ليصبح صالحا للبناء، وكذا تقنيات التجفيف بعد المعالجة.²

عرفت الحضارة الإسلامية الطوب منذ وقت مبكر حيث يظهر استعماله في المسجد النبوي الشريف³، وعرفت هذه المادة في المغرب الإسلامي، والمناطق الصحراوية في مطلع القرن الرابع هجري/ 10م، وقد روى أبو العراب عن كيفية كسب العيش من عمل الطوب فقال "... لقد حدثني عبد الرحمان ابنه أنه كان يعمل بيده الطوب فيتصدق بثلث ما يربح فيه وينفق ثلثا على عياله ويرد ثلثا في التبن وما يصلح به عمل الطوب"⁴، وظفت عدة تسميات للطوب حسب تقنيات تجفيفه والمواد التي تضاف إليه، فسمي بالطين المطبوخ وطين اللبن، وسمي الطوب المكحول.

4. صناعة الطوب:

تختلف وتتباين صناعة الطوب من منطقة إلى أخرى في نوعية المادة الأولية والمضافات ونوعية القوالب، استخدام أو بدون استخدام القالب، شكل القالب، الخ... ولصناعته لا بد من إتباع عدة مراحل منها جلب المادة الأولية، تحضير العجينة، التشكيل والتجفيف.⁵

1. قادة لبت، تأثير الرطوبة على المعالم الأثرية بقصور الجنوب الجزائري دراسة حالات، أطروحة دكتوراه غير منشورة، مناقشة بقسم علم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، فيفري 2017، ص 194.

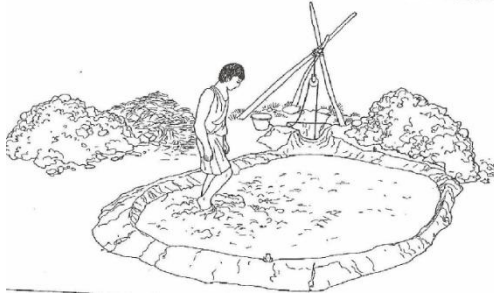
2. VITRUVIUS, les dix livres d'architecture, traduction intégrale de Claude Perrault, 1673, éd. Errance, Paris 1986, p.52.

3. وزديري يحي، العمارة الإسلامية والبيئة، دار عالم المعارف، يونيو 2004 م، ص 106.

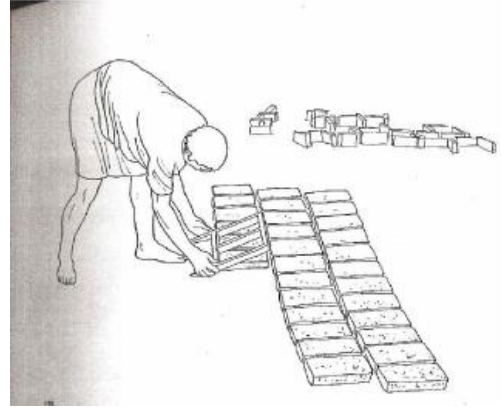
4. أبو العراب محمد بن أحمد بن تميم، كتاب طبقات علماء إفريقية وتونس، تقديم وتحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، 1968 م، ص 200، نقلا عن: أرزقي بوخونوف، تشخيص الطوب المشكل لهياكل قصري التزلة وتماسين ولاية ورقلة، دكتوراه في علم الآثار

تخصص صيانة وترميم، معهد الجزائر، 2012، ص 72

5. قادة لبت، المرجع السابق، ص 197.



الشكل رقم 03: تشكيل قوالب الطوب وتجفيفها بأشعة الشمس نقلا عن بتصرف: ADAM, J.P, Ibid. p64



الشكل رقم 02: تصور لكيفية تحضير عجينة الطوب، نقلا عن: ADAM, J.P, La construction Romaine

1.4. المواد الأولية :

المادة الأولية المستعملة في صناعة الطوب عبارة عن خليط من الطين والرمل ومواد أخرى لها دور في تحسين خواص الطوب الإنشائية وتمثل هذه المواد في:

1.1.4. الطين:

يعتبر الطين المادة الأساسية في صناعة الطوب، وهي مشكلة أساسا من سليكات الألمنيوم ممهية مثال: الكولينيت، الإليت، السمكتيت والكلوريت، الخ، وهي نادرا ما تكون نقية في الطبيعة، كما تتميز بتركيبها الكيميائية والمعدنية، يتفق الباحثون في العمارة الترابية أن الطين المكونة للطوب تمتاز بتركيبية كيميائية مميزة كما هو موضح في الجدول التالي:

الجدول رقم 1: يبين التركيبية الكيميائية للطين¹

النسبة (%)	المركب	النسبة (%)	المركب
9-3	أكسيد الحديد Fe_2O_3	85-35	أكسيد السليسيوم SiO_2
3-2	أكسيد التيتان TiO_2	25-9	أكسيد الألمنيوم Al_2O_3
3-0	أنديريد كبريتي SO_3	25-0	أكسيد الكالسيوم CaO
13-0	ثاني أكسيد الكربون CO_2	5-0	أكسيد المغنيزيوم MgO
11-5	الماء H_2O	5-1	أكسيد البوتاسيوم K_2O

¹. أرزقي بوخنوف، المرجع السابق، ص 81

أما التحليل الحبيبي للطين المناسبة لصناعة الطوب فمبين في الجدول التالي:

الجدول رقم 2: يبين التحليل الحبيبي للطين.¹

نوعية الراسب	سمك الراسب mm / μ m
الحصي	2
الرمل	63 μ m à 2 mm
الطمي	2 μ m à 63 μ m (Limon)
الطين	< 2 μ m

2.1.4. الرمل:

وهي مادة معدنية كوارتزية صغيرة الذرات نشأت من تفتت الصخور الصوانية والكلسية²، وتتراوح أبعاد حبيباتها بين 0.80 و 5 ملم، يعتبر مثبت لخليط التربة حيث لا يتأثر بالماء، فهو لا يشكل عجينة بل يعطي نوع من التلاحم الظاهري يعود إلى التوتر السطحي لحبيباته والماء الموجود بينها، وفي حالته الجافة يكون أكثر مقاومة للاحتكاك ويصعب تكسير حبيباته³.

3.1.4. المثبتات: لها دور هام في تحسين الخصائص الفيزيوميكانيكية للطوب وهي تصنف ضمن نوعين عضوية ومعدنية.

أ- المثبتات العضوية: اختلفت هذه المثبتات من منطقة إلى أخرى ومن بلد إلى آخر، وحسب CRATERre⁴ في إيران مثلا استعملت حبات الأرز، وفي المكسيك أوراق الصنوبر وفي مصر يضاف القش، أما في الجزائر فتعددت المثبتات من النباتية المتمثلة في القش، وسعف النخيل، وعلف التمر، وحبات القمح تسمى المثبتات النباتية بالألياف النباتية، حيث أن صناعة متر مكعب واحد من الطوب الجيد يتطلب ما بين 15 إلى 25 كغ من الألياف⁵، إلى الحيوانية شعر الماعز، تضاف هذه المثبتات بغرض:

- منع التشقق أثناء التجفيف وذلك بتوزيع القوى الناتجة من انكماش الطين في قوالب الطوب.

- تسريع التجفيف وذلك بتسهيل إخراج الماء بواسطة قنوات الألياف.

- تخفيف وزن قوالب الطوب وذلك لكبر حجم هذه المضافات الذي ينتج عنه الإنقاص في الكتلة الحجمية لقوالب الطوب ويحسن خاصية العزل.

¹. نفسه، ص 81

². الجوهري عبد الله العلايلي، الصحاح في اللغة والعلوم، إعداد وتصنيف نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، المجلد 1 و 2، الطبعة 1، دار الحضارة العربية، بيروت، لبنان، 1974 م، ص 511.

³. ارزقي بوخنوف، المرجع السابق، ص 82.

⁴. CRA Terre, Op cit, p.106

⁵ حسن فتحي، عمارة الفقراء، ترجمة مصطفى فهبي، الهيئة العامة للكتاب القاهرة، 2000، ص 262.

- الرفع من المقاومة الميكانيكية وهو الهدف الأساسي من إضافة الألياف إلى خليط التربة¹.

ب - المثبتات المعدنية: تتمثل غالبا في المثبتات ذات المصدر المعدني أو الصخري، مثل الجير، لكن بكميات قليلة، لكي لا تساهم في إضعاف التركيبة المعدنية لمواد وعناصر الطوب الكيميائية².

2.4. مميزات تربة الطوب :

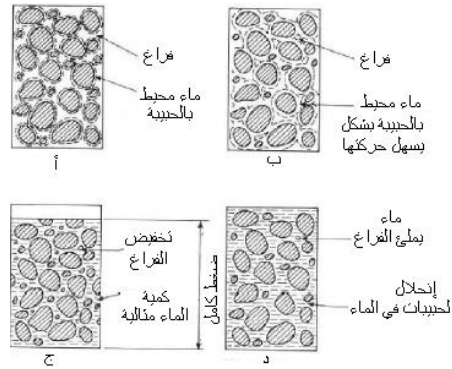
قبل خلط التربة مع الماء، لابد من التحقق أنها لا تحتوي على حصى كبيرة الحجم وجذور النباتات، يستحسن أن تكون التربة مكونة من الرمل، والطمي والطين، تكون تركيبة تربة الطوب كما يلي³:

الجدول رقم 3 تركيبة تربة الطوب

العنصر	النسبة
الرمل	55 – 75%
الطمي	10 – 28%
الطين	15 – 18%
المواد العضوية	أقل من 3%

بصفة عامة، الكتلة الخصوصية لتربة البناء والأخص الطوب تتعلق بكمية الماء المضافة إلى عجينه وطاقة الضغط

عليها أثناء تشكيله، فنميز أربع حالات كما هي مبينة في الشكل:



الشكل رقم 04: تأثير كميات الماء على عجينة الطوب، نقلا عن: أرزقي بوخنوف

¹. أرزقي بوخنوف، المرجع السابق، ص 83.

². قادة لبتير، المرجع السابق، ص 200.

³. أرزقي بوخنوف، المرجع السابق، ص 87.

أ. عندما يكون الماء المضاف إلى خليط التربة غير كاف، يكون الاحتكاك بين الحبيبات المكونة لعجينة الطوب كبير (العجينة غير لدنة)، ويكون ضغطها أثناء التشكيل غير كامل، في هذه الحالة إضافة الماء إلى العجينة يساعد في تخفيض الاحتكاك بين الحبيبات.¹

ب. وعندما تكون كمية الماء المضافة مثالية، يصبح الضغط على العجينة أثناء التشكيل كاملاً.

ج. تتحصل في هذه الحالة على طوب أكثر كثافة، ولكن عند إضافة كمية من الماء تفوق الكمية اللازمة يصبح الضغط على العجينة غير فعال لأن الماء يملأ الفراغات بين الحبيبات.

3.4. مراقبة عجينة الطوب: يتفق الباحثون على وجود طريقتين أساسيتين في مراقبة عجينة الطوب لمعرفة ملاءمتها لصناعة القوالب، وهذا ما لمسناه عند أهل القصور الصحراوية، وخاصة قصر موجل حيث كانت تتم عملية المراقبة بطرق وتقنيات خاصة:

- الطريقة الأولى: حسب CRATerre² يمكن إجراء اختبار سريع لمعرفة ما إذا كانت عجينة التربة تلاءم صناعة الطوب، ويتمثل هذا الاختبار في أخذ عينة من العجينة وتدويرها بواسطة راحة اليد للحصول على شكل اسطواني، ثم تسطيحها بحذر بين أصابع اليد للحصول على شريط بأطول قدر ممكن، ثم نقيس طوله عند الانقطاع.

- إذا انقطع عند طول يتراوح بين 5 و 15 سم فإن العجينة ملائمة لصناعة الطوب.

- إذا انقطع قبل أن يصل طوله إلى 5 سم يجب إضافة الطين.

- إذا انقطع بعد طول 15 سم يجب إضافة الرمل.



الشكل رقم 05: اختبار عجينة الطوب CRATerre, Op cit, p. 181

- الطريقة الثانية: تحضير عينة من التربة المختارة وإضافة لها الماء للحصول على عجينة، تترك في راحة لمدة ساعة، بعد ذلك نقوم بفتل العجينة للحصول على حبل قطره 3 سم وطوله 20 سم على الأقل، نقوم بالتجربة ثلاث مرات ونحسب معدل مسافة الانفصال حسب الشكل³.

_ إذا كان معدل الانكسار يقارب 5 سم فالعينة تحتوي على نسبة كبيرة من الرمل.

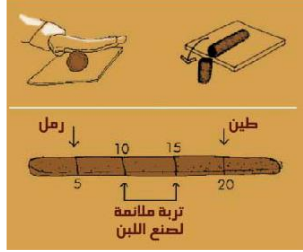
¹. قادة لبت، المرجع السابق، ص 202.

². CRA Terre, Op cit, p. 181

³. بابا نجار يونس، بوعروة نور الدين، العمارة الترابية، حماية ديوان وادي مزاب وترقيته، غرداية الجزائر، 2010، ص 7.

_ إذا كان معدل الانكسار يقارب 10 و15 سم فالعينة صالحة للبناء.

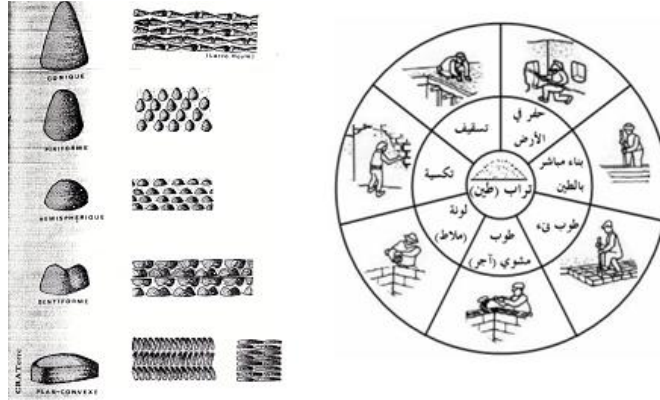
_ إذا كان معدل الانكسار أكثر من 15 سم فالعينة تحتوي على نسبة كبيرة من الطين.



الشكل رقم 06: مراقبة عجينة الطوب بتقنية الشريط المفتول، نقلا عن OPVM

4.4. أشكال الطوب:

تختلف أشكال الطوب من منطقة إلى أخرى ومن بلد إلى آخر، وقد ذكر صاحب الكتب العشرة في الفترة القديمة فترفيوس¹ أن هناك ثلاثة أشكال للطوب وذكرها باليونانية tétradoron و lydienne، pentadoron وحسب ما جاء في كتاب CRATERre فإن عالم الآثار Jose Imbelloni² اقترح تطور شكل الطوب، حيث أشار إلى أن شكله الأول كان مخروطيا، ثم بين رأس مخروطي وقاعدة أسطوانية، بعدها كروي ثم سَين الشكل إلى أن أصبح متوازي المستطيلات.



الشكل رقم 07 : يبين الأشكال المختلفة للطوب، نقلا عن: CRATERRE, Opcit, p. 107.

أما في الجزائر، فشكل الطوب المستعمل في أغلبية القصور الصحراوية متوازي المستطيلات، مع تسجيل بعض النوادير لكن بمقاسات غير ثابتة كمرحلة انتقالية بين الأساس والبناء، أو لاستحداث طريقة بناء متساوية.

5.4. إيجابيات البناء بالطوب : من بين مزايا استعمال الطوب في البناء نذكر:

- انتظام شكل الواجهات وهذا راجع لانتظام مقاس الطوب نفسه.
- سهولة نقل الطوب لموقع العمل لصغر حجمه وخفة وزنه.
- سهولة استعمال الطوب ووضعه في مكانه في أعمال البناء.

1. VITRUVÉ, Opcit, p. 53

2. CRATERre, Opcit, p.107.

- حسن التصاق الطوب بالملاط المشكل من التربة.

- مقاومة الطوب للحرائق وكونه عازل صوتي.

- مقاومة الطوب للمؤثرات الجوية.

5. أساليب وتقنيات البناء:

الأسلوب جمعها أساليب هو الطريق الممتد أو السطر من النخل وهي تشير عند استخدامها في سياق متصل بسلوك إنساني ما إلى السمات المحددة لهذا السلوك بطابع يمنحه هويته الخاصة¹، إذ المقصود بكلمة أسلوب هنا اختزال الخصائص المميزة للنشاط ومن ثم نسبتها إلى ممارسة، أي أن مفهوم أساليب البناء واسع يشمل كل ما تعلق به بداية من التخطيط واختيار مواد البناء إلى مختلف التقنيات والكيفية في الانجاز، وقد يقتصر أحيانا على التقنيات المتبعة في تشييد أنماط العناصر المعمارية كالجدران².

أما التقنية فمعناها معماریا تجميع مواد البناء إلى بعضها البعض، وكيفية تداخلها تعتبر أول عنصر يعطي للمبنى مظهره المعماري الخاص³، وما تعدد التقنيات في البناء في العمارة الصحراوية إلا لتعدد مواد البناء من طوب وحجارة ومواد أخرى مختلطة⁴، والتقنية هي الكيفية المستخدمة في إنشاء الجدران وخاصة الطوب في الصحراء، وهي كثيرة حسب طريقة رص اللبنة أو ما يعرف بشكل الأربطة⁵.

1.5. تقنية بناء الأساسات :

الأساسات هي القاعدة السفلى لمنشأة هندسية أو بناء، ومهمتها نقل حمولات البناء إلى التربة وضمان ارتكازه على الأرض ارتكازاً ثابتاً⁶، فلا بد للبناء أن يتأكد أولاً من صلاحية التربة للبناء، واختيار موقع يكون تبعاً لنوع المنشأة وأسلوب التصميم وقدرة تحمل التربة، وذلك عن طريق حفر خنادق حتى الوصول إلى الأرض الطبيعية والتي تكون على شكل طبقة واحدة من الصخور، وتكون الأساسات في العادة مدفونة في الأرض على عمق مناسب للتأسيس، الأمر الذي وضحه المهندس المعماري فيتروفوس في قوله أن الأساسات هي الجزء الأسفل من المباني ويجب أن توضع على أرض صلبة، وفي حال عدم وجودها يجب حفر الأرض تحتها للوصول إليها⁷.

يصب أولاً طبقة من الركام بحيث تكون بين 30 إلى 50 سم ثم طبقة أخرى فوقها ذات ارتفاع 30 سم مكونة من الرمل والجير مع كمية كبيرة من الماء، ثم طبقة أخرى من الحصى ذو أحجام مختلفة وتربة جافة لامتصاص مياه الطبقة السفلى، تلك هذه الطبقات بالاستعانة بمطارق خشبية لجعل البناء أكثر مقاومة وصلابة⁸.

¹. مبارك قبايلة، المرجع السابق، ص 14.

². على حملاوي، نماذج من قصور منطقة الأغواط دراسة تاريخية وأثرية، موفم للنشر، الجزائر، 2006، ص 297.

³. Martin R, *L'appareil Architecture*, encyclopédie, universel, tome 2, Paris, 1990, p 670.

⁴. Lavenu M et Mataouchek V, *Dictionnaire d'Architecture*, ed Gisserot, Paris, 1999, p 8.

⁵. مجموعة من المؤلفين، الإنشاء المعماري، المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني / الرياض، المملكة العربية السعودية، 2006، ص 10.

⁶. البقري عبد اللطيف، الموسوعة الهندسية لإنشاء المباني، عالم الكتب، القاهرة، 1984، ص 39.

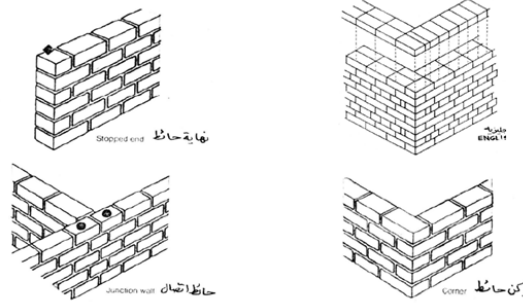
⁷. Morgan (M H), *The ten books of architecture*, Ed Plain Label Books, Havard 1914, p 86.

⁸. Laaboudi N. et Lahsini F, *Techniques de réalisation architecturale traditionnelle à Fès*, de l'inauguration à l'achèvement

du projet, mémoire de fin d'étude de l'E.N.A. Rabat, 1986, p 101-108.

2.5. تقنيات بناء الجدران:

يذكر المختص في الهندسة المعمارية فيتروفس أن الإنسان عبر التاريخ أحسن صناعة مواد بنائه، حيث نوع في استعمالها من أجل ضمان استقرار الهيكل والمنشآت وتوفير الراحة اللازمة¹. ففي الفترة الرومانية مثلا تعددت تقنيات البناء لتفوق عشر تقنيات²، هذه الأخيرة بقيت تتداول من مكان إلى آخر ومن منطقة إلى أخرى، حسب نوعية مواد البناء المتوفرة.



الشكل رقم 08: تقنيات بناء مستويات الجدران

2.5.1. تقنية السافات العمودية: تعتمد هذه التقنية على مادتي الطوب والملاط الذي يملط بالطين يقال: ملطت ملطا وملط الحائط ملطا أو ملطه: طلاه، والملاط الطين الذي يجعل بين ساقى البناء ويبلط به الحائط أي يخلط وفي الحديث "إن الإبل يمالطها الأجر" أي يخالطها³.

فالملاط عبارة عن خليط يشكل مادة صلبة تربط بين مختلف عناصر البناء وعادة ما يكون من الرمل والطين مع إضافة الماء، وأحيانا يكون مع مادتي الجبس والجير وهما مادتين يستخرجهما الإنسان من باطن الأرض على شكل كتل حجرية يقوم بحرقهما ثم يفتتهما⁴.

وهو عبارة عن خليط من التراب والرمل والجير ويعتبر الملاط مادة أساسية في البناء فهو الذي يربط بين الحجارة والمواد الأخرى، وبه تقام الجدران والأسوار يقول فيه ابن خلدون: "...فمنها البناء بالحجارة المتجدة يقام بها الجدران ملصقا بعضها إلى بعض بالطين والكلس الذي يعقد معها فيلتحم كأنهما جسم واحد..."⁵.

حيث توضع السافات عمودية وأفقية تلتحم فيما بينها بواسطة الملاط طولا، ونجد هذه التقنية في الجدران، وفي كامل العناصر الإنشائية للقصور الصحراوية بعد عملية كشط تلبس الجدران⁶.

1. VITTONÉ (René), *Bâtir : Manuel de la construction*, éd. presse polytechnique et universitaires romandes, Suisse, 2010, p 6.

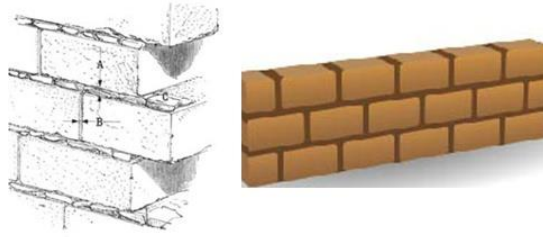
2. أرزقي بوخونوف، المرجع السابق، ص 103.

3. ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج 6، طبعة جديدة، دار الهلال، بيروت، لبنان، 1994، ص 192.

4. محمد عياش، الاستحكامات العسكرية المرينية من خلال مدينتي فاس الجديد والمنصورة بتلمسان (دراسة أثرية تاريخية). رسالة ماجستير، معهد الأثار جامعة الجزائر، 2005-2006، ص 102.

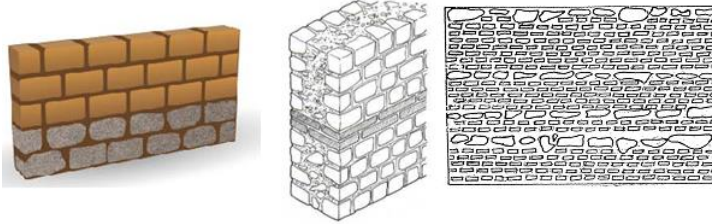
5. عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج 1، 1961، ص 726.

6. قادة لبت، المرجع السابق، ص 209..



الشكل رقم 09: رسم توضيحي لتقنية البناء بالسافات العمودية

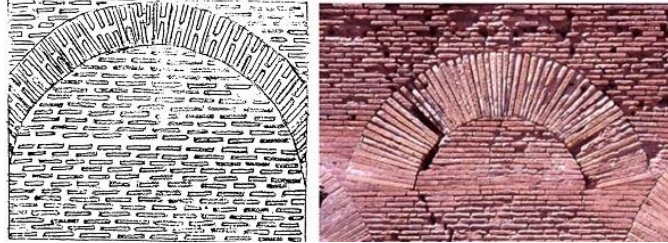
2.5. 2. تقنية الطبقات المتناوبة: يستعمل فيها الطوب ومواد مختلفة بالتناوب، أهم هذه المواد هي الحجارة، وقد جسدت هذه التقنية في الاسوار والجدران الخارجية للمنازل بقصور الصحراء.



الشكل رقم 10: تقنية البناء بالطبقات المتناوبة

2.5. 3. التقنية المزدوجة:

عبارة عن تقنيتين مندمجتين، حيث يبني أولا بتقنية السافات العمودية وعند الوصول إلى ارتفاع معين، يبني المعماري عقدا دون الاستعانة بالقوالب، يظهر مندمجا في الجدار، هذه التقنية أعطت نوعا من الزخرفة، كما لاحظناه ميدانيا وحدثنا عنه بعض من عايشوا فترة إعمار قصر موغل وخاصة في أسوار المنازل المحاذية للصور الشمالي الشرقي، التي للأسف تم هدم أغلبها وأصبحت ردما.



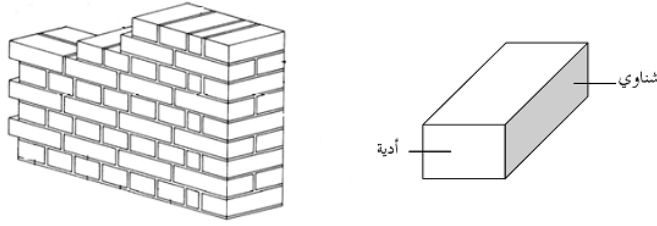
الشكل رقم 11: صورة توضيحية لتقنية البناء المزدوجة

4.1.5. تقنية وضع قطع الأجر طولاً وعرضاً:

تسمى أيضا تقنية "أدية وشناوي"¹ حيث توضع القطع وفقا للشكل المراد الحصول عليه، وتستعمل خاصة في إنشاء الدعامات بمختلف أشكالها (المستطيلة، المربعة، المتقاطعة، المشطورة)، توضع الطوبة الأولى طولاً وعلى إحدى بطنها، وبذلك لا يظهر منها للعيان سوى جانب من جانبيها، أما الثانية فتوضع طولاً على بطنها باتجاه داخل الجدار بحيث يظهر منها سوى أحد الوجهتين ومن مزايا هذا النظام في البناء أنه يضفي مظهرا سليما للوضع باستخدام كتل رشيقة²، وقد استعملت هذه التقنية بكثرة في قصر موغل.

¹. شناوي: هو الواجهة الطويلة لمادة الطوب وتتمثل في الارتفاع والطول، أدية: هي الواجهة الصغيرة في الطوب وتتمثل في الارتفاع والعرض.

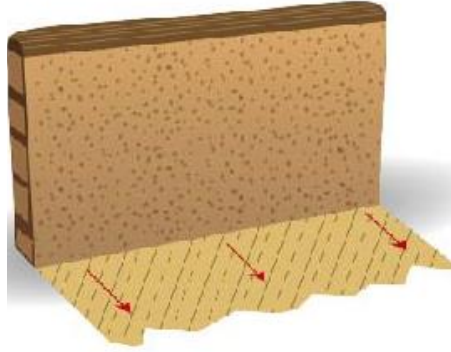
². علي حملاوي، المرجع السابق، ص 300.



الشكل رقم 12: تقنية وضع قطع الطوب طولاً وعرضاً

5.1.5. تقنية المداميك:

هذه التقنية ظهرت في القرن الرابع قبل الميلاد وعرفت عند الرومان باسم سرفيان¹ وقد ظهر استعمالها في المغرب الإسلامي، وحسب جورج مارسي فقد لوحظ استعمالها في كل من جدران القيروان والعباسة ورقادة وسفاقص بتونس²، في هذه التقنية يكون الطوب موضوعاً بطريقة متتالية وأفقية محصوراً بين طبقتي الملاط الأفقيتين، مما يعطي شكل الصف منتظماً ومتساوياً وهذا راجع إلى انتظام أشكال ومقاسات الطوب³.



الشكل رقم 13: تقنية المداميك، نقلا عن OPVM

2.5. تقنية التكسية:

اهتم أهل الصحراء بتكسية الجدران إما من الداخل أو من الخارج، وتتم العملية بطريقة بسيطة حيث يحضر الملاط إما بالطين أو الجير أو خليط بينهما ويلصق بواسطة اليد وتتم تسويته على الجدران، وتتم أحيانا جزئيا مع مراحل البناء كما هو الحال في قصر موغل.

3.5. تقنية بناء السلالم:

سعي بالدرج أو الدروج قد عرفت في حضارات سابقة ببلاد الرافدين ومصر والإغريق وغيرهم⁴، وهي عبارة عن سلسلة من الدرجات المتتالية بواسطتها يمكن التنقل عبر مستويات البناء، تستعمل السلالم في العمارة الصحراوية بشكل واسع لانتشار العمارة الرأسية⁵.

1. ADAM (J.P.), *La Construction Romaine matériaux et techniques*, deuxième édition grands manuels picard, p. 299

2. Marçais (G.), *l'architecture musulmane d'occident*, Paris, 1952, p.40.

3. أرزقي بوخنوف، المرجع السابق، ص 104

4. عبد القادر الريحاوي، *البيت في المشرق العربي*، أبحاث المؤتمر العاشر للآثار العربية، تلمسان، 1982.

5. مبارك قبالة، المرجع السابق، ص 131.

تمثل السلالم الأركان بجانب البيت أو الفضاء الرئيسي في القصور، وهي بسيطة في إنشائها، ومتوازنة في مقاساتها يتمون السلم من الواحدة وتنقسم إلى قسمين الجهة القائمة والجهة النائمة، مجموعة الدرجات تشكل قلبة¹، إضافة إلى حواجز الجانب وكذا الفضاء الفاصل، غالبا ما يمتزج الخشب مع الطوب في تشييد السلالم حيث توضع جذوع النخيل بشكل مائل بزاوية ما بين 30 و35 درجة كهيكل للسلم، مكونة مسافة مائلة مقدرة ما بين 3.5 و 4.5 متر، لتترك فضاء في نهاية الدرج يستعمل لأغراض أخرى كالتخزين أو دورات المياه (الكنيف)، كما هو الحال في قصر موغل، شيدت السلالم بطريقة حسابية بارعة توافق المعادلة المميزة لحساب الدرجة كالتالي:

$$x2 \text{ القائمة} + \text{النائمة} = 58 \text{ إلى } 62 \text{ سم}^2.$$

6. التعريف بقصر موغل:

تقع بلدية موغل في شمال ولاية بشار³ باتجاه الحدود المغربية إذ يبعد عن مقر ولاية بشار بـ 50 كلم، قصر موغل يقع جنوب شرق مقر البلدية والتجمع السكاني، ويعتبر كأخر قصر لقصور شمال الساورة، وهو يتوغل ما بين سلسلتين جبليتين (الأطلس ألتلي والصحراوي) وهذا ما يرجح أخذ تسميته من موقعه الجغرافي، فلكيا يقع على خط طول 01°30 شمالا ودائرة عرض 13°2' ويرتفع عن مستوى سطح البحر بحوالي 1170م.⁴

أما تاريخيا ذكره أبي سالم العياشي في الرحلة العياشية أثناء عودته من رحلة الحج باسمين متقاربين هما مرغل وموغل دون ذكر أي تفاصيل أخرى، حيث يقول: "...وذهبنا نحن مع أهل مكناسة وفاس باحد عشر خباء، وأخذنا عن يمين جبل عنتر، وهو أعظم جبل في تلك الناحية، وسلكتنا طريقا حرشة هنالك بين جبلين أحدهما جبل عنتر وهو عن يسارنا إلى أن خرجنا عند الثوميات، وفي الغد وصلنا إلى مرغل قبل الظهر وتجاوزناه، فلما وصلنا إلى قرية المناهبة تفقدنا صاحبنا لنا نام في وادي قبل أن نصل إلى موغل، فوقفنا ساعة ننتظره إلى أن وصلنا فسرنا وبتنا، وفي الغد جئنا لبوكايس ضحى ووجدنى وادهم ليس فيه إلا قليل ماء، وكان عهدنا به ذا ما كثير وأخبرنا أهل البلد أنه كان بأعلى الوادي غار في الجبل فيه بركة ماء طاف على شكل بركة مستديرة، لا يعلمون من أين جاء ولا إلى أين يذهب..."⁵.

1. نفسه، ص 131.

2. محمد ديس، إنشاء البيت السكني، دار الأناض للنشر والتوزيع، ص 248.

3. تقع ولاية بشار في الجنوب الغربي من التراب الوطني تبعد حوالي 980 كلم عن الجزائر العاصمة، تعد بوابة الصحراء باعتبارها همزة وصل بين الشمال والجنوب، يحدها شمالا كلا من ولايتي البيض والنعاما وغربا المملكة المغربية، أما جنوبا ولاية تندوف وشرقا ولاية أدرار، وتبعد حوالي 600 كلم عن البحر الأبيض المتوسط، تبلغ مساحتها حوالي 161400 كلم²، أي 6.8% من التراب الجزائري، حيث إن أكثر من 200 هكتار منها أراضي فلاحية، البلدية الأقرب إلى مقر الولاية هي بلدية القنادسة، أما البلدية الأبعد عنها هي بلدية لقصابي بـ 404 كلم المتواجدة قرب الحدود مع ولاية أدرار.

4. قادة لبر، قصر موغل بولاية بشار مقارنة تاريخية وأثرية، مجلة منبر التراث الأثري، العدد 5 ديسمبر 2016، ص 147-162.

5. أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، تحقيق سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، الإمارات، 2006، ص 551.

7. تعيين الخصائص الفيزيوكيميائية لعينات طوب قصر موغل:

بفضل هذه التحاليل نستطيع أن نتعرف على الخصائص الفيزيوكيميائية للمواد¹، التي من خلالها نتحصل على معطيات دقيقة وواضحة للعلاقة الموجودة بين خصائص المواد المستعملة في البناء والعوامل المتلفة في المحيط².

1.7. التحليل المعدني:

قمنا بتحضير العينات بالنسبة لقصر موغل وذلك بهرسها وسحقها ثم أخذ كمية 30 غ بميزان دقيق ووضعها على شفرات جهاز التحليل ووضعت في فرن الجهاز تحت درجة حرارة 950م⁰.

طوب قصر موغل: العينة 1 العينة 2

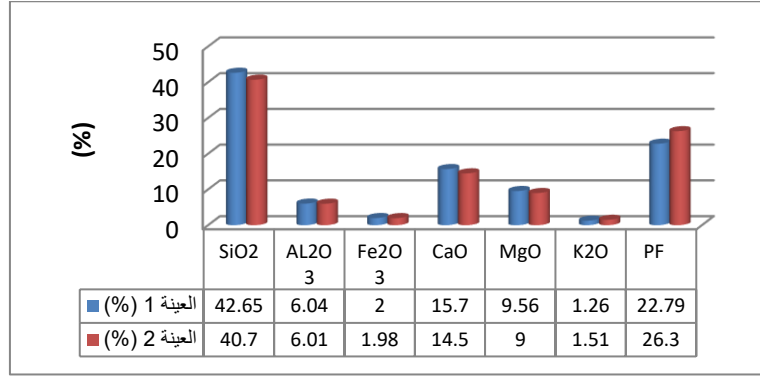
العينة 2	العينة 1	المكونات الكيميائية
% 40,70	% 42,64	SiO ₂
% 6,01	% 6,04	Al ₂ O ₃
% 1,98	% 2,00	Fe ₂ O ₃
% 14,50	% 15,70	CaO
% 9,00	% 9,55	MgO
% 1,50	% 1,26	K ₂ O
% 26,30	% 22,79	ضبياع الكتلة pf عند درجة حرارة 950م ⁰

الجدول رقم 4: التحاليل المعدنية لطوب قصر موغل

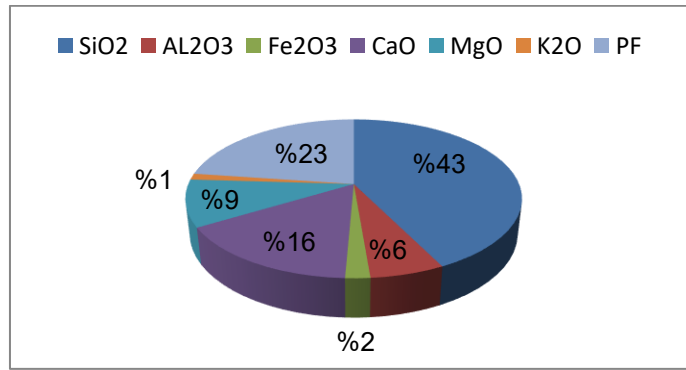
بين التحليل المعدني لطوب قصر موغل احتوائها على مجموعة من العناصر الكيميائية الأساسية في تكوين الطوب، هذه العناصر يستمد منها الطوب خصائصه الكيميائية، أما بالنسبة لفقدان الكتلة عند درجة حرارة 950م⁰ فقد بلغ 22,79% من الكتلة الإجمالية، أي أن الطين المكون للطوب يحتوي على نسبة كبيرة من الماء.

¹ .قادة لبت،

² . ROUESSAC (A.), ROUESSAC (F.), *Analyse Chimique : Méthodes et techniques instrumentales modernes*, 2ème édition, Masson, Paris, Milan, Barcelone, 1994, p. 54



أعمدة بيانية لتحليل المعدني لطوب قصر موغل



دائرة نسبة للعناصر الكيميائية المكونة للعينات

2.7. تعين نسبة كربونات الكالسيوم CaCO₃:

لحساب نسبة كربونات الكالسيوم في عينات الطوب، الذي مصدره إما التربة الطينية أو يضاف على شكل مثبتات لخليط الطوب أو من مواد أخرى، ومنه يتشكل الكالسييت التي تساهم بشكل كبير في رفع المقاومة الميكانيكية للمواد:

العينات	حجم غاز CO ₂ المنطلق ملل	النسبة المئوية للكربونات
نقي CaCO ₃	81	% 100
عينة طوب موغل	22,20	% 27,40

الجدول رقم 5: نتائج تعيين نسبة الكالسيوم

$$\text{النسبة المئوية للكربونات في العينات} = 100 \times \frac{\text{حجم غاز CO}_2 \text{ المنطلق من العينة}}{\text{حجم غاز CO}_2 \text{ المنطلق من CaCO}_3 \text{ نقي}}$$

3.7. التحليل الحبيبي لعينات الطوب:

بين التحليل الحبيبي للعينات المأخوذة من قصر موغل النتائج المبينة في الجدول التالي:

المكونات	عينة طوب من قصر موغل
الرمل Sable	61,58%
الطين Argile	16,30%
الطمي Limon	10,70%
المواد العضوية M.O	8,51%
الحصى Cailloux	2,10%

الجدول رقم 6: التحليل الحبيبي لعينات الطوب

خاتمة:

يهتم المهندس المعماري عند تصميم نماذج مسكن الإنسان اليوم باختيار أنسب مواد البناء من البيئة المحلية، والعناية بالجانب المادي، حيث تساهم الطبيعة إلى حد كبير في تحديد معالم التصميم المعماري وطبيعة منشأته، وذلك بمدى ما تقدمه عناصر البيئة المحيطة من خامات ومواد مميزة لطبيعة تلك البيئة.

النتائج المعمارية الأثرية بقصور الصحراء يدل على حداقة وذكاء وفطنة المهندس أو البناي الذي شيد تلك المعالم، رغم أنها لم تتميز في غالبيتها بطابع فني مميز، إلا أنها استجابت لمتطلبات معيشية وحتمية فرضها المجتمع وتعامل معها المعماري بنسق عمراني متميز، شكل فيها الطوب محورا معماريا وعمرايا، حيث إنه مادة مشكلة من مواد أولية طبيعية ومحلية مما يجعله أقل كلفة مقارنة مع المواد الصناعية كالإسمنت والأجر، إضافة إلى سهولة نقله واستعماله نظرا لصغر حجمه وخفة وزنه. فضلا عن ذلك، فإن تشكيل الطوب يعتمد على الطريقة التقليدية، وبالتالي فاستعماله في البناء يساهم في خلق مناصب شغل محليا، وفي خلق نشاطات اجتماعية وممارسات عرفية، إضافة إلى كونه عازلا للحرارة وبالتالي يوفر مناخا ملائما ومريحا داخل البنائات لممارسة نشاطات الحياة اليومية داخلها.

أما من ناحية خصائصه، فقد تميز الطوب بقصور الجنوب الغربي الجزائري بنفس المواصفات الفيزيائية والكيميائية، والتي قدمتها مختلف مخابر البحث في العمارة الترابية مثل CRA Terre، بدراسات شملت مناطق متفرقة عبر العالم، حسب ما تكلمنا عنه في الجزء النظري من البحث، أما من ناحية التركيب الحبيبي فهناك اختلاف في نوعية العناصر وشكلها البلوري تماشيا مع الطبيعة الجيولوجية للمنطقة، وخلصنا أيضا إلى استعمال زائد للمواد العضوية في تحضير عجينة الطوب.

قائمة المراجع:

1. ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج 6، طبعة جديدة، دار الهلال، بيروت، لبنان، 1994.
2. أبو العراب محمد بن أحمد بن تميم، كتاب طبقات علماء إفريقية وتونس، تقديم وتحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، 1968 م.
3. أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1663-1661م، تحقيق سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، الإمارات، 2006.
4. آرزقي بوخونوف، تشخيص الطوب المشكل لهياكل قصري النزلة وتماسين ولاية ورقلة، دكتوراه في علم الآثار تخصص صيانة وترميم، معهد الجزائر، 2012.
5. أيوب عبد الرحمان، "من قصور الجنوب التونسي : القصر القديم"، النقائش والكتابات القديمة في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1988 م.
6. بابا نجار يونس، بوعروة نور الدين، العمارة الترابية، ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، غرداية الجزائر، 2010.
7. البقري عبد اللطيف، الموسوعة الهندسية لإنشاء المباني، عالم الكتب، القاهرة، 1984.
8. الجوهري عبد الله العلي، الصحاح في اللغة والعلوم، إعداد وتصنيف نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، المجلد 1 و2، الطبعة 1، دار الحضارة العربية، بيروت، لبنان، 1974 م.
9. الحداد محمد حمزة، المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية في ضوء كتابات الرحالة المسلمين ومقارنتها بالنصوص الأثرية والوثائقية والتاريخية، مطبعة زهراء الشرق، القاهرة، 2001 م.
10. حسن فتحي، عمارة الفقراء، ترجمة مصطفى فهمي، الهيئة العامة للكتاب القاهرة، 2000.
11. عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج 1، 1961.
12. عبد القادر الريحاوي، البيت في المشرق العربي، أبحاث المؤتمر العاشر للآثار العربية، تلمسان، 1982.
13. عطية شعبان وآخرون، المعجم الوسيط، الطبعة الأولى، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق، القاهرة، 2004.
14. على حملاوي، نماذج من قصور منطقة الأغواط دراسة تاريخية وأثرية، موفم للنشر، الجزائر، 2006.
15. قاموس المنهل.
16. قادة لبت، تأثير الرطوبة على المعالم الأثرية بقصور الجنوب الجزائري دراسة حالات، أطروحة دكتوراه غير منشورة، مناقشة بقسم علم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، فيفري 2017.
17. قادة لبت، قصر موغل بولاية بشار مقارنة تاريخية وأثرية، مجلة منبر التراث الأثري، العدد 5 ديسمبر 2016، ص 147-162.
18. مبارك قبالة، تطور مواد وأساليب البناء في العمارة الصحراوية، مذكرة ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2010-2009.

19. مجموعة من المؤلفين، الإنشاء المعماري، المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني / الرياض ، المملكة العربية السعودية، 2006.
20. محمد دبس، إنشاء البيت السكني، دار الأونس للنشر والتوزيع.
21. محمد علي بركات، مواد البناء واختباراتها القياسية ، دار راتب، بيروت، 1990.
22. محمد عياش، الاستحكامات العسكرية المرينية من خلال مدينتي فاس الجديد والمنصورة بتلمسان (دراسة أثرية تاريخية)، رسالة ماجستير، معهد الآثار جامعة الجزائر، 2005-2006.
23. وزديري يحي، العمارة الإسلامية والبيئة، دار عالم المعارف، يونيو 2004 م.
24. ADAM (J.P.), **La Construction Romaine matériaux et techniques**, deuxième édition grands manuels picard.
25. ANDREW Peterson, **Dictionary of Islamic Architecture**, Rout ledge, London, 1996.
26. CRA Terre, **Construction en Terre**, 3ed, 1979
27. DOAT P, Hays A, Hauben H, Matuks, Vitoux P, **construire en terre**, par le CRA terre, France, 1979.
28. LAABOUDI N. et Lahsini F, **Techniques de réalisation architecturale traditionnelle à Fès**, de l'inauguration à l'achèvement du projet, mémoire de fin d'étude de l'E.N.A. Rabat, 1986.
29. LAVENU M et Mataouchek V, **Dictionnaire d'Architecture**, ed Gisserot, Paris, 1999.
30. MARÇAIS (G.), **l'architecture musulmane d'occident**, Paris, 1952.
31. MARTIN R, **L'appareil Architecture**, encyclopedia, universel, tome 2, Paris, 1990.
32. MORGAN(M H), **The ten books of architecture**, Ed Plain Label Books,Havard 1914.
33. ROUESSAC (A.), ROUESSAC (F.), **Analyse Chimique : Méthodes et techniques instrumentales modernes**, 2ème édition, Masson, Paris, Milan, Barcelone, 1994.
34. VITRUVÉ, **les dix livres d'architecture**, traduction intégrale de Claude Perrault, 1673, éd. Errance, Paris 1986.
35. VITONE (René), **Bâtir : Manuel de la construction**, éd. presse polytechnique et universitaires romandes, Suisse, 2010.

إدارة التغيير الثقافي داخل المنظمات المعاصرة

Change Culturel management in the modern organizations

د. هادف رانية / جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة الباحثة غزال حياة / جامعة قسنطينة 2

ملخص

تعد الثقافة التنظيمية إطار مرجعي يحكم السلوك الفردي والجماعي المتبنى في جميع ظروف المنظمة، فتحدد بذلك استجابات الأفراد العاملين اتجاه واقعهم التنظيمي. هذه الثقافة يتم اكتسابها عن طريق التطبيع الاجتماعي و يتم تغييرها انطلاقا من مجموعة من الاستراتيجيات و الآليات التنظيمية، و هذا سعيا لتحقيق الانسجام الداخلي و التكيف الخارجي، وتحقيقا للأهداف الخاصة بأي تغيير تنظيمي متبنى من طرف المنظمة لتكييف السلوك التنظيمي العام مع مختلف التغيرات الحادثة في متغيرات البيئة الخارجية. لذا نحاول من خلال هذا البحث تسليط الضوء على البعد الثقافي داخل المنظمة واستراتيجيات إدارة تغييره.

الكلمات المفتاحية: التغيير، الثقافة، ادارة التغيير الثقافي.

ABSTRACT

This paper attempts to highlight the cultural dimension within the Organization and the strategies for managing its different changes. It answers the question of how the organizational culture helps in determining the responses of the working individuals to their organizational reality. The study also manifests the different strategies and organizational mechanisms that realize the internal harmony and external adaptation. It inevitably taps on the notion of cultural change management. Consequently, it presents the objectives of any regulatory change adopted by the Organization to adapt the general organizational behavior to various changes occurring in the variables of the external environment.

Key words: Change, Culture, Cultural change management.

مقدمة :

إن المنظمات بمختلف أنواعها ومجالات نشاطها تعمل ضمن بيئة أعمال تتميز بالتغير و الديناميكية و التعقد ، و كذا ضمن بيئة مجتمعية و ثقافية راسخة في جذور تراثنا الفكري ، التي تمثل في مجملها السياق العام الذي تتشكل ضمنه ثقافة أي منظمة و التي تعبر عن هوية جماعية تعمل على قيادة سلوك الأفراد داخل المنظمة من خلال مجمل القيم ، الاتجاهات ، المعتقدات المشتركة كأهم عناصر الثقافة التنظيمية التي تم تطويرها و استقرت عبر الزمن و أصبحت سمة خاصة بالتنظيم و السلوك المتوقع من أعضائه، تم اكتسابها من قبل جماعة العمل أثناء تعلمها كيفية مواجهة مشكلاتها و التي أثبتت صحتها، فيتم التشجيع على تعلمها باعتبارها محدد أساسي لكيفية الإدراك و لأساليب التفكير ، و طرق انجاز العمل و اتخاذ القرارات ، فهي تحكم الأداء و ترسم الطريق نحو تحقيق الأهداف ، فتعزز الشعور بالولاء و الانتماء و الالتزام الوظيفي ، و من تم تحقيق فعالية المنظمة لأنها تمثل النسيج الفكري ، القيمي ، الانفعالي و مجمل المعتقدات.¹

فهي تساهم في تحقيق الاستقرار و التماسك الداخلي بالاعتماد على العمل الجماعي، هذا من جهة و من جهة أخرى تعمل على تحقيق التكيف الخارجي من خلال و عي أعضاء التنظيم بأهمية فهم القضايا المرتبطة بالكيفية التي يتم بها تحقيق استمرارية المنظمة، و الذي لا يتحقق إلا بالفهم الجيد لمتغيرات البيئة الخارجية و بالكيفية التي يمكن من خلالها مواجهة التغيرات الحادثة فيها ، و هذا بتبني مبدأ المرونة من خلال الإيمان بحتمية إعادة النظر في مكونات النسيج الثقافي الخاص بالمنظمة، بمعنى آخر القدرة على إحداث التغيير الثقافي الملائم، خدمة لأي مشروع تغييري قد تتبناه المنظمة، سواء ما تعلق بمجالات التغيير التنظيمي المتمثلة في تغيير استراتيجياتها ، هيكلها التنظيمي ، التكنولوجيا المستخدمة ، زيادة في حجم المنظمة أو تبعا لنوع التغيير التنظيمي، الذي تحدث عنه كل من "Véronica Hope Hamely" et "Jule Balogum" ، حيث يريان أن التغيير الثقافي يصبح حتمية في حالة كون أن التغيير التنظيمي تدريجي تطوري فيتطلب تغيير ثقافي تدريجي ، أما في حالة تغيير تنظيمي جذري ، فهذا يتطلب تغيير ثقافي جذري.²

أما عن جوانب التغيير الثقافي فنجده قد يتعلق بالتغيير في القيم ، المعتقدات، الاتجاهات ، السلوكيات ، لكن هذه المكونات حسب علماء النفس و الاجتماع أن تغيرها بطيء بسبب استقرارها و تباثها النسبي، لأنها أخذت زمنا طويلا من عمر المنظمة ، كما نجد داخل المنظمة الواحدة عدة ثقافات فرعية، حيث يوجد حسب المختصين على الأقل ثلاثة ثقافات فرعية و هي ثقافة خاصة بالإدارة العليا ، ثقافة تقنية خاصة بالمهندسين و ثقافة تشغيلية ، و هذا ما قد يحدث تناقض و صراع بين الثقافات الفرعية ، التي قد تصبح عائقا أمام أي تغيير ثقافي قد تتبناه المنظمة ، كما يتطلب التغيير الثقافي الأخذ بعين الاعتبار خصائص الثقافة المحلية الخاصة بالعاملين حتى لا يحدث أي تصادم بينها و بين ثقافة المنظمة. فنجد أن جميع هذه الأبعاد و المحددات يتطلب فعلا إدارة للتغيير الثقافي داخل المنظمة، و هذا ما نتطلع لمعالجته من خلال هذه الورقة البحثية و هذا بالإجابة على جملة الأسئلة التالية :

1- ما نغني بالثقافة التنظيمية؟

2- ماهي آليات تشكل الثقافة التنظيمية؟

1- عبد العزيز صالح بن حنبور: الإدارة الإستراتيجية - إدارة جديدة في عالم متغير، ط1، دار المسيرة ،الأردن ، 2004، ص 202.

2 Anne Dugon ,Bertrand Quillet , Christine Man Conrt et al :Le Changement Culturel d'Entreprise –Quelle contributions des Relations Sociales ,Dauphine Université ,Paris ,2014,p.18.

3-فيما تتمثل استراتيجيات و ميكانيزمات التغيير الثقافي داخل المنظمة ؟

4-ما هي أسس نجاح التغيير في ثقافة المنظمة ؟

أولاً : أهداف الدراسة

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى:

إثراء المعرفة العلمية النظرية المتعلقة بإدارة التغيير الثقافي داخل المنظمات المعاصرة ، من خلال الكشف عن ماهية الثقافة التنظيمية من حيث طبيعتها ، خصائصها ، مستوياتها ، وظائفها ، أنواعها ، آليات تشكلها ، مع العمل على تحديد استراتيجيات إدارة التغيير الثقافي داخل المنظمة .

ثانياً: أهمية الدراسة

إن هذه الدراسة تستمد أهميتها من كونها تقوم على معالجة أهم مجال من المجالات الخاصة بإدارة السلوك التنظيمي داخل المنظمة ألا و هو الثقافة التنظيمية و كيفية إدارة تغييرها ، كون أن الثقافة التنظيمية تمثل الاسمنت الذي يعمل على ترسيب الرؤى و الأهداف و الجهود الخاصة بالأطراف الفاعلة داخل المنظمة ، فإدارة هذه الثقافة بنجاحة يساعد في تصميم و تطبيق خطط المنظمة بجميع مستوياتها سواء الإستراتيجية أو التشغيلية منها ، فهي تعمل على توفير المناخ التنظيمي الملائم من خلال توحيد الاتجاهات و تفعيل عملية الاتصال و اتخاذ القرارات العقلانية ، التي تمثل حجر الأساس في إدارة المنظمة من خلال القيم المشتركة و كالإطار مرجعي محدد للسلوك ، فتحدد ما هو مقبول و ما هو غير مقبول من سلوكيات و قرارات . كما أن مرونة الثقافة التنظيمية بالقدرة على تغييرها تمثل إستراتيجية هامة في مساعدة المنظمة على التكيف مع متطلبات البيئة الخارجية الذي تتميز بالديناميكية و التعقد.

ثالثاً: مفاهيم الدراسة

1- الثقافة التنظيمية

1-1 مفهوم التنظيم¹

التنظيم بمعناه الإنساني :هو مجموعة من الأفراد ، فردان أو أكثر يعملون معا بصورة متعمدة لتحقيق هدف مشترك

التنظيم بمعنى منظمة :هو عبارة عن كيان متكامل يشمل أربعة مكونات تتمثل في

*المكونات البشرية :تتمثل في الكفاءات المتوفرة ،الاتجاهات نحو العمل ،الانتماءات .

*المكونات الهيكلية :من خلاله تتحدد المهام ،المسؤوليات و السلطة ،و كذا التنسيق بين الاعمال تكون محددة في شكل هيكل تنظيمي .

*النظام التسييري :يتمثل في نظام الأهداف ،نظام المعلومات و الاتصال ،نظام الرقابة و التقويم .

2-2 الثقافة التنظيمية²

3- المحمدي : "دراسات متقدمة في الإدارة" ،الجامعة المصرية المفتوحة ،المحاضرة الأولى (وظيفة التنظيم)، 2006.

4- نورالدين رواينية : "أنماط الثقافة التنظيمية في المؤسسات التعليمية" ، مذكرة ماجستير ،جامعة بأجي مختار -عنابة ،قسم علم الاجتماع

2006/2005 ، ص ص 76-77.

تمثل جملة الافتراضات و المعتقدات و الأفكار و التصورات التي يتبناها أو يعتقدونها مجموع الفاعلين في المنظمة، و يجسدونها في سلوكياتهم و أقوالهم و إشاراتهم، و التي يسعون وفقاً لها لتحقيق أهداف المنظمة و إنجاح رسالتها، فالثقافة التنظيمية هي طريقة للتفكير و السلوك يتقاسمها أفراد التنظيم و عليهم أن يتعلمونها و يتقبلونها.

2- التغيير في ثقافة المنظمة

نعني بها التغيير في العلاقات البينية داخل التنظيم، و تغيير القيم و المعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد. و نجد أن للتغيير الثقافي عدة مستويات، فقد يكون على مستوى القيم و المعتقدات أي المستوى الأعمق، أو على المستوى الظاهري للثقافة أي كل ما يتعلق بالتغيير في الرموز، المباني و الهياكل.

3- إدارة التغيير الثقافي

نعني بها تحديد أهداف و أسس الثقافة المستقبلية، بمعنى آخر تحديد النموذج الثقافي الجديد الذي سوف يتم تبنيه، مع تحديد الخطط و الاستراتيجيات، و كذا الإجراءات و الآليات و الأطراف التي سوف يمسها التغيير الثقافي داخل المنظمة، و التي تتحدد على أساس النموذج الثقافي و نوع التحولات الثقافية التي تصبوا المنظمة إلى تجسيدها، مع تحديد برنامج مراقبة عملية التغيير الثقافي.

رابعا: ماهية الثقافة التنظيمية

1- مكونات الثقافة التنظيمية

من خلال تعريفنا للثقافة التنظيمية يمكننا استيفاء مكوناتها بهدف فهم أوسع لها، والذي يبقى مجرد توضيح نظري، لأنه لا يمكن النظر لمكوناتها بشكل مجزأ بل كل متكامل. و تتمثل هذه المكونات في:¹

1-1 تاريخ المنظمة: و يقصد به جميع المراحل و الأطوار التي مرت بها المنظمة منذ نشأتها إلى الوقت الراهن، و تتمثل في مجمل الأحداث و التجارب و المشكلات و آليات مواجهتها للمواقف، التي تمثل رصيد و خبرة معرفية تتناقل عبر الأجيال و يتم الاهتمام بها لإدارة المنظمة. فهي تعد بمثابة الذاكرة الجماعية.

2-2 المعتقدات: تمثل تصورات عامة حول آلية العمل.

3-3 القيم: هي عبارة عن تنظيمات لأحكام عقلية انفعالية معممة نحو الأشخاص و الأشياء و المعاني، التي توجه رغباتنا و اتجاهاتنا، تحدد طبيعة ميولاتنا نحو مختلف المواضيع، فهي تمثل تفضيلات مشتركة. يتحدد دور القيم في توجيه دوافع الأفراد الذين يكونون ضمن جماعة معينة لتحقيق أهداف مشتركة، فبالنسبة للمنظمة مثلا تتمثل في قيم أخلاقية، قيم الجودة، قيمة المحافظة على البيئة كبعض أنواع القيم التي يمكن تبنيها.

4-4 المعايير: و نعني بها القواعد الخاصة و الحاكمة للسلوك و التي يتم تطبيقها على جميع أفراد الجماعة، فهي التي تحدد ما الذي يحتمل أو يجب أو يتعين أو يستطيع أفراد الجماعة القيام به من سلوك في مواقف اجتماعية مختلفة، فالمعيار يمثل مقياس لتحديد الخطأ و الصواب.

فنجد أن كل من المعتقدات، القيم و معايير السلوك تمثل أسس يهتدى بها لفهم واقع المنظمة.

5-1 الرموز: يمكننا التمييز بين نوعين من الرموز هي:

¹ المرجع السابق نفسه، ص 79.

-الرموز اللغوية: ففي كثير من المنظمات نجد ألفاظ محددة و عبارات متكررة تعكس ثقافة معينة،

خاصة في المنظمات ذات الثقافة القوية ، و هذه الرموز تعبر عن قيم الأفراد و اتجاهاتهم و مواقفهم ، فمثلا في المنظمات الفرنسية نجد عبارة « pourquoi pas essayer ? » أما في مؤسسة NIKE فنجد عبارة « Just do it » ، أما في الدول العربية نجد عبارات مغايرة تماما مثل عبارة « اخدم خدمتك و روح تروح ».

-رموز مادية: تتمثل في القواعد المكتوبة ، طريقة ترتيب التجهيزات داخل المنظمة و كيفية التعامل معها و المحافظة عليها ، الهيكل التنظيمي ، لباس الموظفين ، فنجد مؤسسة كوكا كولا تخصص لموظفيها بدلات حمراء ، أما في المستشفيات فنجد أن ألوان المآزر الخاصة بالأطباء تختلف عن ألوان مآزر الممرضين .

6-1 القصص و الأساطير: نجدها في المؤسسات ذات التاريخ الطويل و رسخت قدمها في المجال التنافسي ، فتعمل على نقل ثقافتها لموظفيها و غرس قيمها عن طريق القصص و الأساطير عن كيفية بناء المنظمة و المشاكل التي تعرضت لها و كيفية مواجهتها و جعلتها تتصدى للمنافسة ، حتى رسخت قيمها و صار لها عنوانها الخاص .

7-1 الشعائر: هي جملة أساليب للفعل تعكس قيم المؤسسة و سمو رسالتها ، فهي تعمل على زيادة تماسك الأفراد داخل المنظمة ، و من بين هذه الشعائر نجد مثلا القيام بتكريم الأفراد العاملين ذوي الكفاءة و تقديم لهم شهادات اعتراف بالمجهود ، أو إحياء حفل خاص بإحالة عامل على التقاعد.

8-1 المحرمات و الممنوعات :

وهي ترتبط بخوف المنظمة أو ما يعرف بالخوف الجماعي ، و من أجل مواجهة هذا الخوف تفضل نسيانه و عدم التحدث عنه ، لأنه في العادة يرتبط بأحداث مأساوية¹.

2- خصائص الثقافة التنظيمية

تتمثل أهم خصائص الثقافة التنظيمية كمفهوم في:²

1-2 نظام مركب: حيث تتكون من عناصر تتفاعل فيما بينها و تشمل الجانب المعنوي (نسق متكامل من القيم و الأخلاق و المعتقدات و الأفكار) و جانب سلوكي (العادات و التقاليد الممارسات العملية و المراسيم) و جانب مادي (تشمل المباني ، الأدوات و المعدات).

2-2 نظام متكامل: فهي تتميز بالانسجام بين عناصرها المختلفة فأى تغيير يطرأ على احد مكوناتها ينعكس أثره على باقي المكونات .

3-2 نظام تراكمي (مستمر و متصل): فالثقافة التنظيمية متداولة بين الأجيال المتعاقبة ، حيث يتم تعلمها و توريثها عن طريق التعلم و المحاكاة ، كما أن الأجيال تعمل على تغيير في محتواها أو مكوناتها وفق ما يتطلبه واقع المنظمة .

4-2 نظام مكتسب متغير و متطور: نجد أن ثقافة المنظمة في تغيير مستمر حيث تدخل عليها ملامح جديدة و تفقد ملامح قديمة .

¹ Jean Pierre Détrie :stratégor (politique générale de l'entreprise),4^{ème} édition Dunod, 2005, p.682.

7-مصطفى محمود أبوبكر:التنظيم الإداري في المنظمات المعاصرة ،الدار الجامعية ،مصر ،2003، ص 410.

2-5 لها خاصية التكيف: تتميز ثقافة المنظمة بالمرونة و القدرة على التكيف حسب حاجات الإنسان حتى تكون ملائمة لمتطلبات البيئة الداخلية و الخارجية.

أما عن خصائص الثقافة التنظيمية كسلوك فهي تتعلق ب: ¹

درجة وضوح الأهداف و التوقعات من العاملين ،درجة التكامل بين الوحدات التنظيمية المختلفة ،مدى دعم الإدارة العليا للعاملين ،شكل و مدى الرقابة المتمثل في الإجراءات و التعليمات و أحكام الإشراف الدقيق للعاملين ،مدى وجود ولاء للمنظمة ككل ،أنظمة الحوافز هل هي تقوم على الأداء أو الاقدمية أو الوساطة و المحسوبية .،درجة تحمل الاختلاف و السماح بالاستماع لوجهات النظر المختلفة ،طبيعة الاتصالات هل هي تقوم على الاتصال الرسمي الرأسي أو ذات طابع شبكي يسمح بتبادل المعلومات في كل الاتجاهات .

3-وظائف الثقافة التنظيمية

تتمثل أهم وظائف ثقافة المنظمة في: ²

-يؤدي وجودها إلى تنمية الشعور بالذاتية و الهوية الخاصة بالعاملين و تعطيهم تميز.

-تلعب دور في خلق روح الالتزام و الولاء بين العاملين فتستمر المصلحة العامة مع المصلحة الشخصية.

-تساهم في تحقيق الاستقرار داخل المنظمة كنظام اجتماعي متجانس و متكامل.

-تعمل على تكوين مرجعية لنشاط المنظمة ،تحدد سلوك العاملين و تمثل دليل فهم و مرشد .

-إعطاء أفراد الجماعة الشعور بالانتماء ،كما تكسيهم الضمير الذي ينبثق عن الإجماع ،فقيم الجماعة و مستوياتها يؤدي إلى امتزاجها في شخصية واحد من أفرادها ،فعند مخالفة قيمها يؤدي إلى الشعور بالذنب.

كما أن الثقافة التنظيمية تساعد الأفراد العاملين على التكيف من خلال تحديد الوسائل الضرورية للقيام بأدوارهم فهي تمثل تربة خصبة لنمو شخصية العاملين .كما نجدها تزود العاملين بمعاني الأشياء و الأحداث فيستمد منها الأفراد مفاهيم أساسية ،تحدد ما هو مقبول و ما هو غير مقبول فتعطي معنى لواقع المنظمة و الهدف من وجودها ،فتخلق بذلك دافعية للعاملين بجمعهم حول هدف مشترك من خلال الاندماج في فلسفة و قيم المنظمة. ³

4- مستويات الثقافة التنظيمية

توجد أربعة مستويات للثقافة التنظيمية المتمثلة في: ⁴

4-1 المستوى الأول: يمثل المستوى الأول و الأعمق و الغير مرئي في الثقافة التنظيمية و تتمثل في فلسفة المنظمة التي تعكس الطبيعة الأساسية و النمط السلوكي المتبنى و المعتقدات الراسخة حول الواقع، ففي بعض الشركات الرائدة نجد أن المسلمات

-محمد قاسم القريوتي: السلوك التنظيمي ،ط4، دار الشروق ،عمان ،2004، ص ص 157-168.

9- عبد العزيز صالح بن حبتور ، الإدارة الإستراتيجية -إدارة جديدة في عالم متغير ،مرجع سبق ذكره، ص 201.

10- عباس سمير : "الثقافة التنظيمية و علاقتها باستراتيجيات التغيير في الجامعة الجزائرية ،بين النظام القديم و نظام LMD" ، مذكرة ماجستير غير منشورة ،جامعة بأجي مختار عنابة ،قسم علم النفس ،2007/2008، ص 81.

4 -Don Hellerriegel ,John W Sloum ;Management des organisations ,2^{ème} éd ,de boeck, Paris, 2005,p.541.

التي تقوم عليها هو أن المدراء والعاملين هم شركاء داخل المؤسسة، و أن نجاح المنظمة يرتبط بالعمل المشترك و فلسفتها تقوم على الثقة و على أهمية الاهتمام بأفكار الآخرين.

2-4 المستوى الثاني : تتمثل في القيم الثقافية التي تمثل الافتراضات و المشاعر المشتركة حول المسائل المقبولة، الجيدة، العادية التي تتميز بالعقلانية. فنجد أن بعض المنظمات لديها اهتمام بالإبداع التقني و رفاهية العاملين كقيم يتم اكتسابها و الاحتفاظ بها مع مرور الزمن .

3-4 المستوى الثالث: تتمثل في السلوكيات المشتركة و المعايير و هي تمثل الجوانب الثقافية التي يمكن رؤيتها، و هي قابلة و سهلة للتغيير بالمقارنة مع القيم.

4-4 المستوى الرابع

و يمثل المستوى السطحي الظاهري من الثقافة التنظيمية و التي تتمثل في الرموز سواء اللغوية، الصور، الهدام الخاص بالعاملين، تصميم المباني، المكاتب و الأجهزة المستخدمة

5-أنواع الثقافات التنظيمية

إن العناصر المكونة للثقافة التنظيمية و العلاقات الموجودة بينها تعطي صورة خاصة بكل منظمة، لكن الثقافات التنظيمية تشترك في بعض الخصائص و التي يمكن تصنيفها إلى أربعة أنواع رئيسية التي يمكن أن تتبناها المنظمات بمختلف نشاطاتها، و هذا التصنيف يتم على أساس بعدين هما البعد المتعلق بالتوجه نحو الرقابة، و البعد المتعلق بالاهتمام بالبيئة الداخلية أم البيئة الخارجية. و تتمثل هذه الأنواع في:¹

1-5 الثقافة الإدارية:

تتميز هذا النوع من الثقافة في كون أن المنظمة تعطي اهتمام أكثر إلى القواعد الرسمية، و الإجراءات الإدارية المحددة، التنسيق الهرمي، ففي ثقافة تقوم على القدرة على التنبؤ، الفعالية، الاستقرار تمثل الاهتمامات الرئيسية للإدارة. أما عن تقديم المنتج أو الخدمة يكون على أساس معايير محددة، كما يقوم على تحديد معايير السلوك، ففي ثقافة تقوم على الرسمية المدراء يقومون بدور التنسيق، التنظيم و تطبيق القواعد و المعايير المكتوبة، المهام و المسؤوليات، المؤهلات الخاصة بالعاملين فهي محددة بشكل واضح، و معظم سيرورات و قواعد العمل تكون مكتوبة. فالعاملين يرون أن واجهم هو تطبيق القواعد و القوانين و الإجراءات. و هذا النوع من الثقافة نجدها في الإدارات العمومية.

2-5 الثقافة العشرية :

تتميز هذه الثقافة بالنزاهة، الاستقامة، الالتزام، كما تعتمد على التطبيع الاجتماعي و العمل الجماعي و التأثير الاجتماعي و إدارة الذات، فالأفراد العاملين داخل المنظمة يرون أن واجهم اتجاه المنظمة أكبر من أن يكون مجرد القيام بالعمل مقابل الأجر، فهم يرون أنهم مسؤولون أمام المنظمة كما يشعرون بالاعتزاز لانتمائهم لها، و هذا راجع إلى أنهم يشعرون بوجود عدالة سواء ما تعلق بالأجر، الترقيات، أو الاعتراف بالمجهود).

3-5 ثقافة المؤسسة:

¹ ibid., pp 554-558.

تتميز هذه الثقافة بدرجة عالية من المخاطرة و الديناميكية و الإبداع و الالتزام بالخبرة، فهي ثقافة لا تقوم على مبدأ الاستجابة السريعة لتطورات البيئة، لكنها تقوم على خلق التغيير، ففعاليتها تقاس بقدرتها على خلق منتجات جديدة و متميزة كما تتميز بنمو سريع. فهذا النوع من الثقافة نجدها في المؤسسات المتوسطة و الصغيرة التي تتم إدارتها من طرف مؤسسها، مثل مؤسسة Microsoft و مؤسسة Dell فالإبداع و التحسين المستمر يمثلان أهم القيم الخاصة بها .

4-5 ثقافة السوق :

تقوم هذه الثقافة على تحديد الأهداف المحددة و التي يمكن قياسها خاصة إذا كانت هذه الأهداف تتمثل في زيادة المبيعات، المردودية و الحصة السوقية. فثقافة السوق تقوم على فكرة نحن هجوميين نعمل على نهب الحصة السوقية، نعتقد أننا نملك الحق الرباني في حصة سوقية، ففي مثل هذه المنظمات نجد أن العلاقة بين العاملين و المنظمة مبنية على عقود و اتفاقيات ، فالالتزامات كل طرف تكون على أساس اتفاق مسبق حول الحقوق و الواجبات ، فكل فرد ملزم بمستوى معين من الأداء مقابل أجر من طرف المنظمة ، فالزيادة في مستوى الأداء يقابله زيادة في العوائد. فالمنظمة لا تضمن الأمن للعامل و لا العامل يضمن النزاهة للمنظمة و لا الاستقامة ، فالعقد يتم تحديد مدته لفترة زمنية محددة و يكون على أساس اتفاقيات الربط بين العائد المالي للعامل و الإنتاجية فليس هناك التزامات على المدى البعيد، فهي ثقافة مبنية على المدى القصير ، فإذا كان كل طرف ملزم بتحقيق ما تم الاتفاق عليه يتم تجديد العقد ، فكل طرف يستخدم الطرف الآخر من أجل تحقيق أهدافه. فهذه الثقافة لا تعمل على تنمية مشاعر الانتماء بل بالعكس فهي تعطي قيمة أكثر للاستقلالية و الفردانية ، و تشجيع الأفراد على العمل على تحقيق أهدافهم المالية .

خامسا: آليات تشكل الثقافة التنظيمية

إن ثقافة المنظمة تتشكل نتاج نوعين من التحديات الرئيسية و هما التكيف مع البيئة الخارجية و تحقيق استمرارية المنظمة و التحدي الثاني هو الاندماج و التكامل الداخلي، و التي يمكن إيضاحها من خلال النقاط التالية:¹
فبالنسبة للتكيف الخارجي و تحقيق الاستمرارية فهي تتمثل في الطرق التي تتبناها المنظمة لتوسيع نشاطاتها و العمل على التكيف مع التغيير المستمر و هذا بالعمل على:

- تحديد الغايات العامة و الأهداف الإستراتيجية و تحديد المهام و الاستراتيجيات الخاصة بالمنظمة و آليات تحقيقها ، بتحديد الخطط و الوسائل اللازمة لذلك كالتطوير في الهيكل التنظيمي و نظام الأجور.

- تحديد المقاييس و المعايير التي تهدف إلى تحديد مستوى الفعالية الخاصة بالأفراد و الجماعات و الأقسام ، بمعنى آخر وضع نظام متابعة مدى تحقيق الأهداف.

أما بالنسبة للتكامل و الاندماج الداخلي :و الذي نعني به العمل على إيجاد علاقات عمل فعالة بين أعضاء المنظمة و المحافظة عليها ، و يتم ذلك من خلال الاعتماد على :

- اللغة و المفاهيم و هذا بتحديد طرق الاتصال و خلق مفاهيم عامة و مشتركة داخل المنظمة.

- تحديد الإطار العام الخاص بالجماعات من خلال تحديد معايير الانتماء إلى الجماعة .

¹ Jean Pierre Détrie ,op.cit,pp 675-676

-تحديد نظام السلطة و الأنظمة الأساسية لتحديد القواعد الخاصة بالكيفية التي يتم من خلالها الحصول على السلطة داخل التنظيم و المحافظة عليها ، وكذا تحديد الأسباب و السلوكيات التي تؤدي إلى فقدانها.

-تحديد نظام متكامل خاص بالجزاءات وكذا العقوبات بهدف التشجيع على السلوكيات الايجابية و الحد من السلوكيات السلبية.

كما نجد أن المؤسسين و المسيرين داخل المنظمات يلعبون الدور الرئيسي في تشكل ثقافة المنظمة ، فنجد أن ثقافتهم ، قيمهم و ، المسلمات التي يؤمنون بها ، افتراضاتهم و معتقداتهم حول أساليب النجاح و كذا تجاربهم المعاشة تمثل محددات أساسية في تشكل ثقافة المنظمة.¹ لأنهم يعملون على توجيه نشاط المنظمة انطلاقا من هذا المخزون المعرفي .

كما أن للعاملين دور في تشكل ثقافة المنظمة فهم أيضا يحملون قيم و تقاليد و عادات ذات تأثير كبير على طرق عملهم و قيمهم المهنية.²

كما أن للثقافة المجتمعية تأثير على تشكل الهيكلية الداخلية للمنظمة ، فنجد مثلا أن الرموز الخاصة بالمنظمة فهي تستمد من الثقافة المحلية ، كما أن الإيديولوجيات الفكرية وكذا الدينية ، التربية و الأنظمة التعليمية و أيضا التشريعات و القوانين ، النظام السياسي ، و الأنظمة الاقتصادية تلعب دور جوهري في تشكل ثقافة المنظمة.³

أما عن ترسيخ ثقافة المنظمة بعد تشكلها فيكون من خلال الوسائل التالية:⁴

-إدارة الموارد البشرية و يتم ذلك بانتقاء الأشخاص المؤهلين الذين تتوافق قيمهم و مدركاتهم مع قيم المنظمة ، كما تعتمد إدارة الموارد البشرية على إجراءات و ممارسات متعلقة بتحديد مواقع العاملين و التدريب و التطوير و قياس الأداء و الاعتراف و تحديد العوائد المادية و المعنوية التي من شأنها أن تعزز ثقافة المنظمة.

-كما أن أفعال و ممارسات الإدارة العليا دور من خلال القيام بأفعال و سلوكيات ظاهرة التي من شأنها أن تعزز قيم المنظمة و اعتقاداتها و تعطي تفسيرا واضحا للعاملين حول الأحداث الجارية .

-التطبيع الاجتماعي أي تعلم قواعد اللعبة التنظيمية و توصيل عناصر الثقافة التنظيمية إلى العاملين بصفة مستمرة خاصة الجدد منهم و هذا من خلال التعريف و التدريب.

-نظم العوائد الشاملة و هي ليست مقتصرة على المال ، بل تشمل أيضا الاعتراف و التقدير و القبول.

- سادسا: إدارة التغيير الثقافي داخل المنظمة

1-أسباب التغيير الثقافي

يمكننا التمييز بين عوامل خارجية و أخرى داخلية المؤدية إلى إحداث تغيير ثقافي داخل المنظمة و المتمثلة في:⁵

¹ Don Hellriegel ,John Sloum ,op.cit,p.570.

15-عبد العزيز صالح بن حنيور ، الإدارة الإستراتيجية -إدارة جديدة في عالم متغير، مرجع سبق ذكره، ص 199.

³ Don Hellriegel ,John Sloum ,op. cit ,pp675-676.

17-حسين حريم:إدارة المنظمات (منظور كلي) ، ط2ندار الحامد ، عمان ، 2009، ص ص 264-265.

نورالدين رواينية : "أنماط الثقافة التنظيمية في المؤسسات التعليمية" ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 114-115.

1-1 العوامل الخارجية : كون أن المنظمة تمثل نسقا مفتوحا تؤثر و تتأثر بمتغيرات البيئة التي تعمل ضمنها و المتمثلة في كل من التطوير التكنولوجي ،التغير في الأنظمة الاقتصادية ،السياسية ،الإعلامية التي تدفع بالمنظمة إلى تكييف أساليب عملها ما يتطلب منها تغيير ثقافتها ،كما أن التغير في المنظومة الاجتماعية دور في تغيير ثقافة المنظمة و هذا بسبب التغير في القيم الاجتماعية و أنماط المعيشة ،مع تحسن المستوى المعيشي و التعليمي التي لها تأثير على ثقافة المنظمة .

2-1العوامل الداخلية :

إن العوامل الداخلية للتغيير الثقافي تختلف من منظمة إلى أخرى(تجارية ،خدمانية ،صناعية ،خاصة أو عمومية) و نجد أن من أهم هذه العوامل نجد:

-التغيير في قيادة المنظمة :فكما أن للقيادات داخل المنظمة دور في تشكل ثقافة المنظمة نجد لها دور في تغييرها ،فقيادة التغيير يتميزون برؤى مستقبلية و بخصائص تتمثل في الثقة بالنفس ،الحساسية للقيود البيئية .

-تغيير العاملين و تكوينهم :إن من الأطراف الفاعلة في تكوين ثقافة المنظمة لدينا العاملين ،فالتغيير في التركيبة العمالية باستقبال عاملين جدد يمكن أن يؤثر في ثقافة المنظمة خاصة إذا كانوا يمتازون بالفاعلية و الحركية .كما أن تدريب العاملين و تكوينهم من شأنه أن يغير من نظرتهم للأمور و من تم ثقافتهم .

-حجم المؤسسة :إن زيادة حجم المنظمة كالاعتماد على إستراتيجية الاندماج بين شريكتين من شأنه أن يؤدي إلى التغيير في ثقافة المنظمة.

-دورة حياة المنظمة:إن انتقال المنظمة من حالة ركود إلى حالة نمو و ارتقاء أو على العكس من حالة رقي إلى حالة ضعف و انحدار خلال مسيرة حياتها ،أو كونها حديثة النشأة ،أو أن لها تاريخ طويل في مجال الأعمال فان ذلك يؤثر على ثقافتها .

-التغيير الاستراتيجي داخل المنظمة:إن التغيير الاستراتيجي يتضمن التغيير في إستراتيجية أو مهمة المنظمة أو في رؤيتها ،و هذا التغيير الاستراتيجي ينجم عنه دائما تغييرات تنظيمية أخرى مثل التغيير التكنولوجي ،تغيير في الهيكل التنظيمي و من تم تغيير في ثقافة المنظمة ¹.

2- التشخيص الثقافي

نعني بالتشخيص الثقافي الكشف عن أهم المميزات الثقافية للمنظمة و هذا بالاعتماد على مجموعة من الأساليب و الخطوات المتمثلة في: ²

1-2.طريقة البحث الاثنوغرافي :تقوم هذه الطريقة على إجراء محادثة مع مجموعة من الأشخاص من داخل المنظمة من أجل جمع معلومات حول تاريخ المنظمة و أهم المراحل التي مرت بها في حياتها،أهم الشخصيات الذين قادوا المنظمة و ما هي أهم سلوكياتهم ،كما قد يتم الاعتماد على أشخاص من خارج المنظمة كأولئك الذين في وقت ما كانوا يعملون بها ،أو أطراف أخرى

¹ Garry Dessler, Frederick A.SLARK , Dianne J.Cyr :*Gestion des organisations (principes et tendances au xx^{ème} siècle)*, 1^{ère} éd ,édition renouveau pédagogique INC ,Canada,2004,pp 502-503

² Marc Lebeilly ,Alain Simon :*Anthropologie de l'entreprise (gérer la culture comme un actif stratégique)*, pearson éducation ,France ,2004,pp . 79-84.

كانت لهم علاقة بالمنظمة من أجل معرفة آرائهم حول ثقافة المنظمة من خلال القيام بزيارات للمنظمة ، و يستخدم في ذلك أدوات لجمع البيانات المتمثلة في الاستمارات أو دليل للمقابلة ، الاختبارات و المقاييس والذي يجب التأكد من صدقها و تباثها لتجنب الذاتية في التشخيص ، و كل هذا بعد الحصول على موافقة الإدارة العليا مع إشراكها في جميع مراحل التشخيص الثقافي .

2-2. طريقة البحث الوثائقي:

تقوم هذه الطريقة على البحث في الوثائق و السجلات التي تم إعدادها داخل المنظمة و الخاصة بكامل تاريخها ، أو ما يتعلق بقوانين و تشريعات العمل بغرض تحليلها وإعداد شبكة قراءة خاصة بهذه الوثائق ، و هي طريقة تعد نوعا ما معقدة لأنها تتعلق بمعطيات تاريخية ذات دلالات و معاني خاصة وذات طابع علني .

و من المفضل الاعتماد على أشخاص من خارج المنظمة للقيام بالتشخيص الثقافي.

و اعتمادا على هاذين الطريقتين يمكن وضع تصنيف للمنظمة على أساس ثلاثة متغيرات أساسية المتمثلة في كل من مستوى التناسق الاجتماعي ، النمط التسييري ، درجة الانفتاح على البيئة الخارجية .

بعد عملية جمع المعلومات يتم كتابة تقرير شامل مع عرض الاستنتاجات بحجج ، و التي تكون في شكل شبكة قراءة خاصة بالمنظمة تحوي على :

-الكشف عن الفرص و التهديدات الخاصة بالمنظمة التي تختلف حسب الأساليب و الدعائم الثقافية المتعلقة بالنمط التسييري ، التنظيم ، الإستراتيجية ، الموارد البشرية ، التسويق ، الاتصال ، أساليب التطوير و الشراكة .

-الكشف عن الاختلالات الثقافية التي قد تسبب مشاكل وظيفية ، مما يسمح بالتنبؤ بالنماذج الثقافية و كذا الأخطاء و الهفوات و التي يقصد بها التطورات الغير مرغوبة و التي يمكن التحكم فيها .

-الكشف عن الثقافات الضمنية أو ما يعرف بالعناصر تحت ثقافية و التي يسمى نظام الضبط الضمني المحدد ضمن ثقافة معينة ، و المتعلق بالواجبات و الممنوعات ، والتي قد لا تتوافق مع نظام الضبط الظاهري الرسمي (القواعد و المعايير) ، عدم التوافق هذا قد يسبب فوضى ثقافية

-الكشف عن مدى الترابط بين ثقافة المنظمة و الثقافات الفرعية و الترابط الخارجي أي مدى الترابط بين ثقافة المنظمة و الثقافة المجتمعية .

-مدى الترابط بين ثقافة المنظمة مع أنظمة التسيير و إستراتيجية المنظمة و هياكلها و أساليب ممارسة السلطة .

-مدى جمود أو مرونة ثقافة المنظمة .

بعد عملية التشخيص الثقافي تأتي عملية إعادة البناء الثقافي أو التجديد الثقافي (التغيير الثقافي) ، بمعنى آخر تحديد أهداف و أسس ثقافة المنظمة المستقبلية بتحديد النموذج الثقافي الذي سوف يتم تبنيه ، أي نظام المعايير و القيم ، فهي تمس الأسس العامة للمنظمة و إطارها المرجعي و الفكري و الاجتماعي .

التي يتم تجسيدها و غرسها انطلاقا من مجموعة من الخطط و الآليات و الوسائل و الأنظمة الرقابية التي تعد في مجملها وظائف عملية إدارة التغيير الثقافي .

3- استراتيجيات التغيير الثقافي

هناك عدة استراتيجيات للتعامل مع التغيير الثقافي المتبنى داخل المنظمة و تتمثل هذه الاستراتيجيات في:¹

3-1 استراتيجيات أساسها الواقع الفعلي للأعمال

-استخدام استراتيجيات الأعمال كنقطة بدأ.

-استخدام المداخل المعاصرة و المتمثلة في المداخل المتعلقة بإدارة الجودة الشاملة، إعادة الهندسة، و هي جوانب تحفز على التغيير الثقافي.

-استخدام إعادة الهيكلة و إعادة تنظيم العمل يفرض تغيير ثقافي.

-تحويل نظم الموارد البشرية و التي تشمل استخدام التدريب و الترقية لتعزيز الرسالة و تحويل الأفراد العاملين في وظائف أخرى كجزء من عملية تغيير ثقافة المنظمة.

3-2 استراتيجيات الربط بالتغيير

أ-على أساس النشاط:النشاط المباشر في مجالات جديدة متصلة مع الثقافة يمكن أن تنتج تغييرات في الثقافة تكون نتائجها متسلسلة، كإدخال خط إنتاجي جديد قد تساهم في إنتاج منتجات جديدة، فيصبح التغيير ممكنا متضمنا تغيير ثقافي.

ب-مراحل الأزمة: قد تمثل الأزمات المالية أو أي نوع من الأزمات فرصة لتغيير الثقافة، ففي فترة الأزمة يبدي الأفراد مرونة لتبني سلوكيات مختلفة و إرادة تهتم بالتغيير لتجاوز الأزمة.

ج-الهجوم إلى الإمام: يتم في هذه الحالة

-استخدام تكتيكات حرب العصابات، ومن خلال الالتفاف على المواقف تظهر إمكانية تكرار إزاحة عناصر الثقافة القديمة استخدام الأفراد بالقوة يرفضون أو يحولون .

-برنامج الهجوم الصاعق (الحملة المركزة)، ببساطة إغراق المنظمة بدورات تدريبية مكثفة عديدة ز متنوعة و برامج أخرى للترويج للقيم الجديدة، فقد تكون فعالة حتى لو كانت مكلفة، فيتم إدخال بقوة داخل النظام بواسطة إغراق ما هو قديم.

د-الرمزية:عن طريق استخدام الرموز لإبلاغ رسائل قوية قصد إزالة القديم و نشوء الجديد، تستطيع المساعدة في تغيير الثقافة.

ه-التنافر(الإزعاج الثقافي)

هو أن الثقافة المهيمنة لا تخدم الأعمال التي تصبح مزعجة للأفراد العاملين مما يضطرهم للتغيير من أجل التخلص من الإزعاج الثابت.

و- النقد المكثف

إذ يقود الأفراد بسبب توسيع الأمور الحرجة حملة للثقافة الجديدة و العمل على تشجيعهم للعمل مع الآخرين في المنظمة أولئك الذين يحتاجون إلى الاقتناع و التأكد.

ي- المقاربة الامبريالية

تتبنى القيادة موقف و الإعلان ببساطة عن ما سيكون لانجاز التغيير في الثقافة و يمكن جعل الاخرين ينتظرون للتوجه الايجابي.

4- الوسائل الخاصة بالتغيير الثقافي

تتمثل في مجمل الوسائل المستخدمة من طرف القيادة خاصة منها التحويلية التي تتميز بقدرات و مهارات تعمل على تحقيق رؤية محددة .حيث يمكننا التمييز بين مجموعتين من الوسائل التي يمكن التي يستطيع القادة من خلالها القيام بالتغيير في ثقافة المنظمة، و المتمثلة في كل من الوسائل الأساسية و الوسائل الثانوية، و التي يمكن إيضاحها في النقاط التالية:¹

4-1 الوسائل الأساسية

-إعطاء اهتمام لقضايا معينة كتأكيد المدير العام على الرقابة على الإنفاق، أو التأكيد على خدمة الزبون و يتم بموجب ذلك نقل هذا التصور كرسالة قوية حول أهمية هذا النوع من النشاط.

-طريقة القائد في ردود أفعاله اتجاه الأحداث الحساسة و الأزمات التنظيمية .

-قيام المدير بدور نموذجي كمعلم و مدرب ،فالسلك الظاهري للقائد يحمل معاني و افتراضات معينة. للأفراد ،فيستمد العاملون سلوكياتهم من مديريهم ،و يحددونها ضمن نمط سلوكي يخدم المنظمة.

-التدريب يعمل على تطوير الدقة في العمل و تهيئة مناخ عمل داعم و ذو قيمة.

-المعايير المستخدمة في اختيار العاملين و ترقيتهم و تشخيص سلوكيات العمل الأكثر ملائمة و الداعمة للتقدم في المسار الوظيفي ،و العمل على تعميق وعي العاملين المستقبين و جعل اتجاهاتهم ملائمة مع ثقافة المنظمة.

4-2 الوسائل الثانوية: تتمثل في :

-التغيير في الهياكل و النظم و الإجراءات في المنظمة لمواجهة المستقبل بثقة عالية ،و هذا التغيير يتطلب تغييرا في اتجاهات العاملين و سلوكياتهم في العمل ،و هذا ما يتطلب ضمنا تكوين ثقافة للمنظمة تتلاءم مع تلك العناصر.

-الجوانب الفنية التطبيقية و واجهات المباني و الفضاءات المادية ، الترتيب الداخلي و الأثاث و توزيع المعدات التي تعكس البيئة المادية و المستوى الظاهر للثقافة.

-القصص و الأساطير حول أهمية الأحداث و كذا الأفراد العاملين، لنقل نجاحات الأبطال في الماضي، التي قد تساعد في حل بعض الأزمات.

-القوائم الرسمية، الفلسفة و السياسة التي تشمل على قائمة لرسالة المنظمة، التي توضح توجهها المنسجم مع قيم عملها و التي تجمع بين الواقع و المثل.

5- إجراءات التغيير الثقافي¹

تتمثل أهم إجراءات التغيير الثقافي في :

1-5 إذابة الجليد عن الثقافة الحالية: بجعل العاملون يدركون و يقتنعون بأن المنظمة تواجه أزمة حقيقية تهدد وجودها. و يمكن كذلك تعيين مدير جديد للمنظمة الذي يعمل على إحداث تغييرات جوهرية، بإدخاله لنموذج سلوكي جديد ما يتطلب تبني رؤية جديدة خاصة بالمنظمة، كما قد يقوم بتعيين في الوظائف الإدارية الرئيسية أشخاص ملتزمين بهذه الرؤية.

2-5 العمل على نقل و توصيل قيم جديدة للعاملين المتعلقة بالوضع الحالي للمنظمة و نظرتها المستقبلية وكيفية الوصول إلى ذلك ، كما بالإمكان للإدارة تعديل و تغيير العناصر الظاهرية لثقافة المنظمة، التي يستخدمها الأفراد العاملون للتعبير عن المعاني و المفاهيم و نقلها ، مثل الرموز و اللغة و الحكايات و المراسيم و الاحتفالات و الطقوس و التصريحات العلنية عن الرؤية المستقبلية.

و من الإجراءات الأخرى لنقل و توصيل القيم و المعايير الثقافية الجديدة لدينا التطوير التنظيمي الذي يعتمد على التعرف على القيم الحالية ، رسم توجهات جديدة ، تحديد معايير و قيم جديدة، تحديد الفجوات الثقافية والعمل على سدها.

-إعادة تنظيم المنظمة بدمج و حداث مع وحدات أخرى ، خلق وحدات جديدة أو إلغاء وحدات قائمة.

-إعادة النظر في النظم و الإجراءات الخاصة بإدارة الموارد البشرية من تعيين و تطبيع و تقييم ، ونظم عوائد من أجل دعم العاملين الذين يلتزمون بالقيم الجديدة.

سابعاً: طرق استجابة العاملين للتغيير الثقافي²

1-قبول النشاط: في هذه الحالة يتبنى العاملون و يقتنعوا و يشاركوا في جهود التغيير .

2-انتقاء إعادة الاختراع: ينتقي العاملون العناصر المخفية من الثقافة القديمة و يتم مزجها مع الثقافة الجديدة خاصة تلك العناصر الموثوق فيها

3-إعادة الاختراع: يتلائم العاملون ظاهرياً و أكثر راديكالياً مع عناصر الثقافة القديمة و الجديدة و لكن يحصل تمويه لها تحت خصائص الثقافة الجديدة .

4-يبدي العاملون قبول عام للثقافة الجديدة لأنهم لا يستطيعوا أن ينسوا الثقافة القديمة بسبب القيم و المعتقدات التي يمتلكونها.

5-يبدي العاملون ردود فعل غير متجانسة، فيواجهون بذلك أشكال حول الثقافة الجديدة.

6-رفض عام: لا يوافق العاملون على الثقافة الجديدة، رغم أن بعض عناصرها قد يكون بسبب ضعف في بعض عناصر الثقافة القديمة.

7-إعادة التفسير: يعيد العاملون تفسير ثقافة الجديدة بطريقة تساعد في تطوير قيم و سلوكيات تتناسق مع كلا الثقافتين

حسين حريم: إدارة المنظمات (منظور كلي) ، مرجع سبق ذكره، ص 267.

24- نعمة عباس الخفاجي: ثقافة المنظمة، مرجع سبق ذكره، ص ص 124-125.

8-إعادة التفسير الانتقائي: يرفض العاملون بعض من عناصر الثقافة الجديدة، بينما يتم إعادة تفسير بعض من العناصر الأخرى.

9-رفض نشط: يرفض العاملون معرفيا و ماديا عقلانية الثقافة الجديدة و وسائلها .

ثامنا: نجاح التغيير في ثقافة المنظمة

من أجل تحقيق تغيير ثقافي يقوم على التحول النوعي و الكمي المتوازن و الجودة و كذا التميز بالتكيف الخارجي و التكامل الداخلي، يجب أن يكون هناك محددات لنجاح التغيير الثقافي تتمثل في :

-الوعي بالثقافة الحالية للمنظمة و الوعي بالثقافة المرغوبة مستقبلا للمنظمة.

-الإدارة الفعالة للصراع المتوقع بأبعاده المختلفة و توجيهه نحو مصالح أطراف متنوعة.

-أما عن متطلبات التغيير الناجح فهي:

-فهم الثقافة القديمة أولا لأنه لا يمكن تطوير ثقافة جديدة إن لم نفهم نقطة البداية.

-دعم العاملين و الفرق التي تمتلك أفكار عن الثقافة الأفضل مع توفير الإرادة اللازمة للعمل.

-إيجاد ثقافات فرعية تكون أكثر فاعلية في المنظمة و استخدامها كأمثلة يستطيع العاملون تعلمها.

-لاستخدام الهجوم الثقافي لكن من الأفضل البحث عن الطرق التي تساعد العاملين للقيام بعملهم بأكثر فعالية.

-إعطاء تصور عن الثقافة الجديدة كمبدأ يقود التغيير.

-الاعتراف بأن التغيير الواقع بثقافة المنظمة يأخذ من خمسة إلى عشرة أعوام.

خاتمة :

إن أي تغيير تتبناه المنظمة يتطلب منها ضمنا تغييرا في ثقافتها سواء الثقافة العامة أو الثقافات الفرعية الخاصة بها، لأن هذه الأخيرة تمثل إطارا مرجعيا يحكم السلوك التنظيمي، وبالتالي لا يمكن إحداث أي تغيير دون تغيير لسلوكيات الأفراد العاملين و هذا بهدف توجيه هذه السلوكيات بما يتماشى و متطلبات تحقيق الغايات والأهداف التي تسعى المنظمة لتحقيقها وراء أي تغيير تتبناه ضمانا لديمومتها، كأهم غاية تكمن وراء سر وجود أي منظمة فمهما ما قد تتميز به الآليات و الأنماط التسييرية و الوسائل التقنية من تطور لا يمكن لها أن تثبت نجاعتها في إحداث التغيير التنظيمي المنشود، دون العمل على تفعيل و تطوير القيم ، الفلسفات و المرجعيات الفكرية بصفة عامة، أو ما يعبر عنه بثقافة المنظمة حتى تكون مقوما أساسيا لإحداث الانسجام و التكامل الداخلي وكذا التكيف الخارجي.

قائمة المراجع:

باللغة العربية

1-عبد العزيز صالح بن حنبور: الإدارة الإستراتيجية -إدارة جديدة في عالم متغير-، ط1، دار المسيرة، الأردن، 2004.

2-الدكتور المحمدي: "دراسات متقدمة في الإدارة"، الجامعة المصرية المفتوحة، المحاضرة الأولى (وظيفة التنظيم)، 2006.

3مصطفى محمود أبوبكر: التنظيم الإداري في المنظمات المعاصرة، الدار الجامعية، مصر، 2003.

4-محمد قاسم القريوتي:السلوك التنظيمي ،ط4،دار الشروق ،عمان ،2004.

5-حسين حريم:إدارة المنظمات (منظور كلي) ،ط2،دار الحامد ،عمان ،2009.

6- نورالدين رواينية : "أنماط الثقافة التنظيمية في المؤسسات التعليمية" ، مذكرة ماجستير ،جامعة بأجي مختار –عنابة ،قسم علم الاجتماع ،2006/2005 .

7-عباس سمير : "الثقافة التنظيمية و علاقتها باستراتيجيات التغيير في الجامعة الجزائرية ، بين النظام القديم ونظام LMD " ، "مذكرة ماجستير غير منشورة ، جامعة بأجي مختار عنابة ، قسم علم النفس ، 2008/2007

8-Anne Dugon ,Bertrand Quillet , Christine Man Conrt et al :**Le Changement Culturel d'Entreprise –Quelle contributions des Relations Sociales** ,Dauphine Université ,Paris ,2014,p.18

9- Don Helleriegel ,John W Sloum ;**Management des organisations** ,2^{ème} éd ,de boeck, Paris, 2005,p.541.

10-Garry Dessler, Frederick A.SLARK , Dianne J.Cyr :**Gestion des organisations (principes et tendances au xx^{ème} siècle)** ,1^{ère} éd ,édition renouveau pédagogique INC ,Canada,2004,pp 502

11-Jean Pierre Détrie :**stratégor (politique générale de l'entreprise)**,4^{ème} édition Dunod, 2005, p.682.

10- Lebeilly ,Alain Simon :Anthropologie de l'entreprise (gérer la culture comme un actif stratégique) ,pearson éducation ,France

"المفارقة" المصطلح والمفاهيم

د. شريف عبيدي / جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر

The Paradox" Term and Concepts/ Dr.Cherif Abidi / Tebessa University, Algeria

ملخص :

إن المفارقة مصطلح يؤدي عدة مدلولات في النصوص الإبداعية، وقد يختلف توظيفها من مبدع لآخر من حيث الأهداف المرجوة منها، ولم يعرف هذا المصطلح استقرارا مفاهيميا فكان موازيا للتغيرات الحاصلة حوله من حوادث وأحداث، فهو ليس بمنأى وبمعزل عما يحيط به من عوامل مؤثرة في المبدع وبيئته، وتهدف هذه الدراسة إلى تتبع تطور مفهوم المصطلح وأهمية اعتماده كآلية من آليات النصوص الإبداعية.

Abstract;

The paradox is a term that leads to several meanings in the creative texts, and may vary from the creative to the other in terms of the desired objectives, and did not know the concept of stability conceptually was parallel to the changes that took place around it from accidents and events, it is not immune to the surrounding factors affecting the creator and his environment . This study aims to trace the evolution of the concept of the term and its importance as a mechanism of creative texts.

Double meaning— Tension -Contradiction The paradox-: **Keywords**

تمهيد:

إن الأصول التي أوجدت المفارقة هي فلسفية بالأساس، حيث اعتبرت نشأتها مع سقراط أو ما اشتهر "بالمفارقة السقراطية"، ثم بدأت تتطور وتنتقل شيئاً فشيئاً إلى بقية الفنون والأعمال الإبداعية الأخرى، إلى أن دخلت الجيز الأدبي: «لا تظهر كلمة المفارقة في الإنجليزية حتى عام 1502، ولم تدخل في الاستعمال الأدبي العام حتى بداية القرن الثامن عشر، فمثلاً نجد "درايدن" يستعملها مرة واحدة فقط، لكن اللغة الإنجليزية كانت غنية بعبارة سائرة في الاستعمال اللفظي، يمكن أن نُعدّها مفارقة في طور التكوين»⁽¹⁾، ونلمس المفارقة في عدة فنون مختلفة، لكن الأدب يمكنه أن يُحاكي الأعمال الفنية بطريقة ساخرة لأن لغته تساعد على ذلك: «إن مجال المفارقة في الأدب أكثر اتساعاً من ذلك، فالأدب مثل جميع الفنون يستطيع أن يُحاكي بأسلوب ساخر أسلوب فن آخر، أو حِقبة أخرى ويستطيع مثل الفنون التّخطيطيّة أن يُصوّر مواقف ساخرة، لكن لغة الأدب أكثر فُدرّة على التّعامل مع ما يقول الناس أو يُفكّرون، أو يشعرون أو يعتقدون ومن ثمّ على تناول الفرق بين ما يقول الناس وما يفكرون، وبين ما يُعتقد وما هو واقع الحال وهذا بالضبط هو المجال الذي تنشط فيه المفارقة»⁽²⁾.

تعريف المفارقة:

المفارقة لغة: في التعريف المعجمي لا نجد المفارقة كمصطلح، لكن التعريف نستمدّه من الجذر الثلاثي: (ف، ر، ق) بفتح الفاء والراء والقاف، ومصدرها (فَرَقَ) والفرق في اللغة خلاف الجمع. و"الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه" سُمي كذلك لتفريقه بين الحق والباطل⁽³⁾. وجاء في أساس البلاغة "للزمخشري": «وفرق لي الطريق فروقا وانفرق انفرقا، إذا اتجه لك طريقان فاستبان ما يجب سلوكه منهما، وطريق أفرق بيّن، وضم تفاريق متاعه أي ما تفرّق منه»⁽⁴⁾.

وفي القاموس المحيط: «فرق بينهما فرقا وفرقانا بالضم: فصل: (فِيمَا يُفَرِّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ)⁽⁵⁾؛ أي: يقضى (وَقُرْنَا فَرَقْنَا)⁽⁶⁾، فصلناه وأحكامناه: (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ)⁽⁷⁾، أي فلقناه (فَالْفَارِقَاتُ فَرَقًا)⁽⁸⁾، الملائكة تنزل بالفرق بين الحق والباطل»⁽⁹⁾.

المفارقة اصطلاحاً: إن مفهوم المفارقة مفهوم يتطور ويتغير من عصر إلى آخر، لذلك لا يُمكن الإمساك بمفهوم نهائي لها: «فكلمة مفارقة لا تعني اليوم ما كانت تعنيه في عصور سابقة، ولا تعني في قُطر بعينه كل ما يمكن أن تعنيه في قطر آخر،

(1) دي. سي. ميويك: موسوعة المصطلح النقدي، تر: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، مج: 4، ط1، 1993، ص 141.

(2) المرجع نفسه، ص 17.

(3) ابن منظور: جمال الدين مكرم بن مكرم: لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان، ط 6، 1997، مج: 10، مادة فرق، ص 299.

(4) الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، أساس البلاغة، تج: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 2، ط 1، 1997، ص 20.

(5) الدخان: الآية 4.

(6) الإسراء: الآية 106.

(7) البقرة: الآية 50.

(8) المرسلات: الآية 4.

(9) الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تج: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 3، 2005، ص 916.

ولا في الشارع ما يمكن أن تعنيه في المكتب، ولا عند باحث ما يمكن أن تعنيه عند باحث آخر، فالظواهر المختلفة التي تُطلق عليها المفارقة قد تبدو ضعيفة الارتباط ببعضها جداً»⁽¹⁾.

لذلك فإن تعريفها مُرتبط بتاريخ استعمالها: «وتاريخ استعمال المفارقة هو تاريخ طويل، فهو مفهوم مُتحرك غير ثابت، ومن هنا فإن أي تعريف لها على وجه المطلق يُعد جهلاً والأخذ به سخف، فلا بد أن يكون تعريفها تعريفاً دقيقاً من حيث ارتباطها بزمن محدد واستعمال محدد أيضاً، ويستدعي ذلك بالطبع خلفية تاريخية عامة لنشأتها ولأهمّ التنقلات الفكرية النوعية في تاريخها»⁽²⁾، وقد شبهها: "دي. سي. ميويك" (D C Muecke) بالسفينة من حيث المفهوم المتحرك والمتنقل، حسب خصائص وسمات الحقب التاريخية المؤثرة فيها: «ويمكن تشبيه مفهوم المفارقة في وقت من الأوقات بسفينة أُلقت مراسمها، لكن الرياح والتيارات وهي قوى متغيرة ودائمة تسحبها رويداً عن مراسمها»⁽³⁾.

ومن بين التعريفات المتعلقة بالمفارقة: «أصلها لاتيني إيرونيثيا، وتعني التحدث بسخرية أو ضد ما نتظر سماعه»⁽⁴⁾.

تعرفها "نبيلة إبراهيم" بقولها: «إنها لعبة لغوية ماهرة وذكية بين طرفين: صانع المفارقة وقارئها، على نحو يقدم فيه صانع المفارقة النص بطريقة تستثير القارئ وتدعوه إلى رفض معناه الحرفي وذلك لصالح المعنى الخفي الذي غالباً ما يكون المعنى الضد وهو في أثناء ذلك يجعل اللغة ترتطم بعضها ببعض، بحيث لا يهدأ للقارئ بال، إلا بعد أن يصل إلى المعنى الذي يرتضيه ليستقرّ عنده»⁽⁵⁾، فالنص يعتمد إلى إثارة القارئ ويستفزّه لرفض المعنى الحرفي في انتظار المعنى الذي يريده، وهنا تكمن قدرة صانع المفارقة على جذب انتباه القارئ نحو النص.

وفي تعريف آخر إن المفارقة: «ما تقوله ظاهرياً ليس ما يعنيه الباطن»⁽⁶⁾.

والمفارقة عند "علي عشري زايد": «تكنيك فني يستخدمه الشاعر المعاصر لإبراز التناقض بين طرفين بينهما نوع من التناقض»⁽⁷⁾.

والمفارقة تبليغ الحقيقة بطريقة ناعمة: «المفارقة تبليغ الحقيقة بالتهكم أو السخرية أو المداعبة، عكس ما نتصوره أو ما نستطيع قوله»⁽⁸⁾.

يقول "ناصر شبانة": «إن المفارقة انحراف لغوي يؤدي بالبنية إلى أن تكون مراوغة وغير مستقرة ومتعددة الدلالات، وهي بهذا المعنى تمنح القارئ صلاحيات أوسع للتصرف وفق وعيه بحجم المفارقة»⁽⁹⁾.

(1) دي. سي. ميويك: موسوعة المصطلح النقدي، ص 129.

(2) حسن حماد: المفارقة في النص الروائي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط 1، 2005، ص 21.

(3) دي. سي. ميويك: موسوعة المصطلح النقدي، ص 129.

(13) M.A –Mazure: Dictionnaire étymologique de la langue Française, Usuelle et littéraire, Paris, 1863 (Google Books), p 482.

(5) نبيلة إبراهيم: فنّ القصّ في النظرية والتطبيق، مكتبة غريب، (د.ط.)، (د.ت.)، ص 198.

(15) Berrendonner, A: Eléments de pragmatique linguistique, Minuit, 1981, P220.

(7) علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 5، 2008، ص 130.

(17) Fontanier-C-: Les figures du discours ; paris, Flammarion, 1977, P145, 146.

(9) ناصر شبانة: المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص 42.

ويعرفها "محمد العبد" بقوله: «المنطوق يرمي إلى معنى آخر، يحدّد الموقف التبليغي. وهو معنى مناقض عادة لهذا المعنى العرفي الحرفي»⁽¹⁾، والمنطوق أو الكلام المتلفظ لا يؤدي المعنى المباشر، بل إلى معنى أو معاني أخرى إذ: «لا يوجد شيء مفارقة يقرّر وجهة نظر مطلقة»⁽²⁰⁾.

وتجدر الإشارة إلى الخلط الذي وقع في الترجمة العربية: «ولا شك أن الصراع الدائر في الترجمة بين ثلاثة ألفاظ في الإنجليزية هي: **Sarcasm, Paradox, Irony**، ففي الوقت الذي تُرجمت فيه **Irony** إلى السخرية أو التهكم أو حتى الخيال، ترجمت أيضا **Paradox** إلى التناقض أو المفارقة الضدية، أو جدل الأضداد»⁽²⁾، وهذا الخلط في الترجمات يعود: «إلى أن **Irony** تحتوي في بنيتها بل في أكبر البنى على **Paradox**، ممّا يمكن لها أن تتسم به أو حتى تعرف به، أقصد الـ **Paradox**، ومن ثمة يمكن القول أنه في كلّ **Irony** يمكن أن تجد **Paradox** وليس العكس، أيضا الخلط نفسه بين **Sarcasm** و **Irony** يرجع أيضا إلى أنه في كل **Irony** يمكن أن تجد **Sarcasm** وليس العكس»⁽³⁾.

عناصر المفارقة: ترتبط المفارقة بعدة عناصر لتحقيق إكتمالها وهذه العناصر تختلف من حيث النوع والشكل، فكل عنصر له أهميته وميزاته التي تفرّقه عن غيره من بقية العناصر، وبما أن المفارقة هي في أصل توجيهها، توجّه إلى قارئ ليتمعّن فيها ويُعيد إنتاجها؛ بالتالي فإن الأعمال الإبداعية تختلف من حيث الجودة. والمبدعون دائما ما وضعوا هذا الجانب في حسابهم خلال قيامهم بهاته الإبداعات، كذلك المفارقة تختلف في بنائها ودقّتها وقوة جذبها للمتلقّين، وكبقية الأعمال الأدبية الأخرى تحتاج المفارقة إلى عناصر عامة تقوم عليها: «ويمكن ترجمة هذه العناصر العامة إلى عناصر مفارقة كما يلي:

المرسل صانع المفارقة

المستقبل متلق واع حذر يعيد إنتاج الرسالة

الرسالة البنية المفارقة / تخضع لإعادة تفسير»⁽⁴⁾، فهذه العناصر العامة تُؤطر المفارقة وتبيّن لمن تقال ومن يتلقاها.

فالمبدع أو المرسل الذي يمثّل الآن صانع المفارقة حينما يُنجز مفارقتها فإنه يضع في ذهنه متلقّي معين سيطلّع على عمله أو بالأحرى مفارقتها محاولا تفكيك نسقها، وتبيين المعنى المتضمّن في طيّاتها من خلال ما استنتجته من قراءته، التي توصله في غالب الأحيان إلى التّشكيك في المعنى الأوّلي الظاهر، وتدفعه إلى البحث عن المعنى المقصود المخفي: «فالمفارقة تفرض على المخاطب تفسيرها السليم، إنها تقوم بتبليغ **Communication** رسالة تشمل على إشارة توضّح طبيعة هذه الرسالة **Meta-Communication**، وعندئذ توازي الرسالة الأصلية رسالة أخرى توضّح الطّبيعة الصّحيحة لمغزى المفارقة، ولذلك فإن حلّ شفرة المفارقة يستلزم مهارة خاصة لفهم العلامة **Marker**، وهي مهارة ثقافية وإيديولوجية، يُشارك فيها المتكلم والمخاطب»⁽⁵⁾، فرسالة المفارقة في حقيقة الأمر تحمل رسالة أخرى تدل على المفارقة ومغزاها وتوضّح مقصودها، وتختلف مقصدية كل مبدع

(1) محمد العبد: المفارقة القرآنية، ص 15.

(2) Sperber. D- et Wilson –D: Les Ironies comme mentions, Poétique, 1978, P210

(3) سعيد شوقي: بناء المفارقة في الدراما الشعرية، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص 31، 32.

(4) المرج نفسه، ص 32.

(5) ناصر شبانة: المفارقة في الشعر العربي الحديث، أمل دنقل، سعدي يوسف، ومحمود درويش نموذجا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص 52.

(6) سيزا قاسم: "المفارقة في القص العربي المعاصر"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، مج: 2، ع: 2، 1982، ص 144.

في وضع المعنى الذي يريد إيصاله أو تبليغه. والرسالة في نفس الوقت تتطلب من المتلقي أن يمتلك مهارة وقدرة على إعادة التفسير.

ازدواج المعنى: إن هذا العنصر مهم في المفارقة وتحقيق اكتمالها، فقد ركّز أغلب الدارسين على أهميته في البناء المفارقة، وإن نجد عدة اختلافات في تسميته من باحث إلى آخر إلا أن معناها ظل متقارب، أو مطابق تقريباً عند كل الدارسين "فنبيلة إبراهيم" تُسميه: «بوجود مستويين للمعنى في التعبير الواحد وهما: المستوى السطحي والمستوى العميق»⁽¹⁾؛ وهذا يعني أن النص سيكون تكوينه من مستوى أول ظاهري ومستوى ثان باطني: «المستوى السطحي للكلام على نحو ما نعبّر به والمستوى الكامن الذي لم يعبر عنه، والذي يُلجّ القارئ على اكتشافه إثر إحساسه بتضارب الكلام»⁽²⁾، وفي النص أو الكلام هناك سمة معيّنة تُساعد القارئ على الوصول إلى المعنى الباطن، الذي لم يصرّح به مباشرة: «ومعنى هذا أنه إذا لم يمدّ المستوى السطحي للكلام، القارئ بالخيط الذي يعينه على اكتشاف المستوى الكامن للكلام الذي يقف على بُعد من المستوى الأول، فإنه لن تكون هناك مفارقة ولا نعني بذلك قارئاً محدّداً، بل القارئ القادر على قراءة النصّ بصفة عامة. وهذا يعني من ناحية أخرى أن القارئ شريك أساسي في صنع المفارقة»⁽³⁾، فالمفارقة تتطلب مستويين في التعبير أو المعنى للمساعدة في نُضجها وتُمكن المتلقي من فكّ معناها.

وتُسمي "سيزا قاسم" هذا العنصر بـ "ثنائية الدلالة": أي أن الدالّ الواحد في التعبير يشتمل على مدلولين؛ المدلول الأول ظاهر، والثاني خفيّ: «وينشأ تعقيد المفارقة نتيجة لعملية شكلها **encoding** وحلّها **decoding**، ذلك أنها تشتمل على دال واحد ومدلولين اثنين؛ الأول حرّ في ظاهر وجلي، والثاني متعلق بالمغزى، موحى به، خفي»⁽⁴⁾، وللوصول للمعنى الخفي هناك إشارة يتركها صاحب المفارقة تُسهّل العملية.

أما "سعيد شوقي" فيسمي هذا العنصر بـ "ازدواج المعنى": «ولا شك أن وجود مستويين للمعنى في التعبير الواحد لا ينهض فقط على المستوى اللفظي من الأداء. ولكنه يشتمل أيضاً أشياء أخرى غير لفظية مثل: الأفكار المجردة، المواقف والأزمنة، الأمكنة، الأشكال»⁽⁵⁾، فعلى مستوى المنطوق أو التعبير الواحد نجد معنيين في نفس الوقت.

ويضع "ناصر شبانة" لهذا العنصر تسمية "وحدة البناء وتعدّد الدلالة"، حيث تكون البنية اللغوية خزّاناً لمعنى أو معاني مخالفة لما نلاحظه: «إذ لا بدّ من خلق بنية لغوية تشعّ بدلالات مُتعددة، أو في الأقل بدلاتين، ترتبطان غالباً بعلاقة الضد، ليتسنى للقارئ أن يقوم بدوره الاستثنائي في إدراك النص بعد تنجّية النص الحاضر والمباشر»⁽⁶⁾، وبهذا المفهوم لا يشترط "ناصر شبانة" معنى واحداً، بل نستطيع أن نجد عدة دلالات في النصّ لكن هناك ارتباط بين المعاني بعنصر الضدية، المعنى الحاضر يناقض المعنى أو المعاني الغائبة.

أما "دي. سي. ميويك": فيُسميه السطح والعمق، الغشاوة والصّفاء، ففي تفريجه بين الأدب والفن الذي يشتمل على المفارقة يرى: «نحن الآن في وضع نستطيع معه أن نحدّد بعض أنواع الفن والأدب مما لا يتّصف بالمفارقة، بوصفها موضوع رؤية أحادية بالفعل، يمكن إدراكها مباشرة لأن الخصائص الشكلية، إما أن تُشكّل فوقها غشاوة كما قد يقال، وهو ما يستحوذ

(1) نبيلة إبراهيم: فنّ القصّ في النظرية والتطبيق، ص 201.

(2) المرجع نفسه، ص 201.

(3) المرجع نفسه، ص 201.

(4) سيزا قاسم: "المفارقة في القصّ العربي المعاصر"، ص 144.

(5) سعيد شوقي: بناء المفارقة في الدراما الشعرية، ص 39.

(6) ناصر شبانة: المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص 52، 53.

على اهتمامنا جميعاً، أو أنها تغيب أمام المحتوى الذي تكشف عنه بصفاء وهو ما لا يقتصر عن الشكل في استحواده على انتباهنا»⁽¹⁾، فالأدب والفن المشتعلان على مفارقة، يمكن تمييزهما من خلال الغشاوة والصفاء الموجودة فيهما وهو ما يسترعي اهتمامنا: «لذلك يجب أن يكون الفن والأدب المتميز بالمفارقة مشتتلاً على السطح والعمق. الغشاوة والصفاء، كما يجب أن يستحوذ على انتباهنا على مستوى الشكل إذ يوجهنا على مستوى المحتوى»⁽²⁾. المفارقة تكون مشترطة السطح والعمق، الغشاوة والصفاء في الفن والأدب المشتعلان عليهما.

وتجدر الإشارة إلى أن "سعيد شوقي" خالف في التسمية كل من "سيزا قاسم"، و"خالد سليمان"، اللذان وضعوا لهذا العنصر تسمية "ثنائية الدلالة": «ولقد اتفق جميع باحثي المفارقة على أهمية هذا العنصر في بناء المفارقة، وإن اختلفوا في تسميته، فتسميه "د.سيزا قاسم" ثنائية الدلالة، ويتبعها في ذلك "د. خالد سليمان"، وأخالفهما في التسمية»⁽³⁾، ويضيف "سعيد شوقي": «فلا شك أن هناك فرقاً بين المعنى والدلالة فالمعنى يظهر في إشراك القارئ في فعل تكوينه (أي تكوين الفعل)، أما الدلالة فتربط بالمعنى في اللحظة التي نهم فيها بترجمته إلى معرفة، وهذا السعي المحتوم وراء الدلالة يبين أننا باستجماعنا للمعنى ندرك نحن أنفسنا أن شيئاً قد حدث لنا. ومن ثم فنحن نحاول العثور على دلالة، فالمعنى والدلالة ليس شيئاً واحداً، ولا يمكن أن تتأكد دلالة المعنى إلا عندما يربط المعنى بإشارة خاصة، تجعله قابلاً للترجمة في العبارات المألوفة»⁽⁴⁾.

التناقض: ويعني التضاد بين المستويين: المستوى السطحي والمستوى العميق، وهو شرط تقام عليه المفارقة وبرغم اختلاف تسمية المصطلح إلا أننا نجد على المستوى المفاهيمي ثباتاً يدل على الاتفاق في الرؤية، ففي المفارقة نجد أن العلاقة بين المعنى الأول الظاهر والمعنى الثاني المخبوء الباطن هي علاقة تناقض؛ أي التصريح بشيء والمراد نقيضه، وهذا العنصر ذا أهمية بالغة في بناء المفارقة: «وقد نقول بعبارة أخرى إن الكشف عن المعنى الحقيقي الذي يسوقه الكاتب لا ينتج عنه إلغاء قوة المعنى الظاهر، وقد يعني هذا أيضاً أن المفارقة لا تتميز بالغموض فحسب الذي يكتنف القول، بل الإحساس الغريب كذلك الذي يولده اشتغالها على عناصر متعارضة، وتكمن الطبيعة الإشكالية في حل دلالة المفارقة في هذا النوع من الغموض، ومن ثم فإنّ المفارقة يتحقق حين يُقال الشيء دون أن يُقال. وحين يكون القصد مفهوماً دون أن يكون جلياً»⁽⁵⁾، فحسب "سيزا قاسم" فإن المعنى الحقيقي لا يُلغي المعنى الظاهر والمفارقة تتحقق حين نكتشف قصدية المعنى الذي هو ظاهر وغير ظاهر في نفس الوقت، فهي تشتمل على عناصر متعارضة يُطلب منّا تفكيكها.

والتناقض يكون موجوداً في ثنايا النص، وهو عنصر أساسي لتحقيق المفارقة، ودور القارئ الكشف عنه: «لا يتم الوصول إلى إدراك المفارقة إلا من خلال إدراك التعارض أو التناقض بين الحقائق على المستوى الشكلي للنص، وقد يحدث هذا الإدراك لدى القارئ حالة من البلبلة بخاصة إذا كانت صنعة المفارقة قد قامت على تعمّد الغموض، الأمر الذي يصل بالقارئ إلى حدّ أن يقف متردداً في قبول بعض الحقائق دون بعض»⁽⁶⁾، فإذا كانت المفارقة قريبة إلى الغموض أو تتعمّده، يقع القارئ في لبس يصعب معه الوصول إلى المعنى المراد تبليغه فتكثر في ذهنه المعاني وتختلط عليه. لذلك فإنه مُطالب بالخروج من حالة البلبلة لفهم مقصدية المفارقة: «ويتحقق هذا التناقض على مستوى النص، بعرض مستويين من التماسك النصي يحتويان على توتر

(1) دي.سي.ميويك: موسوعة المصطلح النقدي، ص 14.

(2) المرجع نفسه، ص 14

(3) سعيد شوقي: بناء المفارقة في الدراما الشعرية، ص 39.

(4) المرجع نفسه، ص 39.

(5) سيزا قاسم: "المفارقة في القص العربي المعاصر"، ص 144.

(6) نبيلة إبراهيم: فنّ القصّ في النظرية والتطبيق، ص 201.

بينهما، بحيث يؤسس المستوى الأول شيئا ما ربما يكون فكرًا شائعًا أو اعتقادًا راسخًا، وربما تعتقده أنت المخاطب أنه اليقين الوحيد، أما المستوى الثاني فإنه يؤسس إلى تأويل جديد، أو إمكانية أخرى محتملة تكون مختلفة عن ما هو سائد أو ما هو معقد»(1)، والنص المفارق يزرع الشك وحالة من اللأيقين في نفسية المتلقي، فتجعله يريد الخروج منها إلى أفق جديد، وهو كسر للتمطية السائدة فصاحب المفارقة هو من يقوم بتدوير الموقف وإخراجه: «ويبدو أن صاحب المفارقة يقول شيئا لكنه في الحقيقة يقول شيئا آخرًا مختلفًا تمامًا، وضحية المفارقة مطمئن أن الأمور هي على ما تبدو عليه، ولا يحسن أنها في الحقيقة مختلفة تمامًا»(2)، والتناقض هنا يفعل فعلته في ذهن المتلقي فيقع ضحية لتصوره لحقيقة المعنى من القراءة الأولى.

ويضع "سعيد شوقي" مصطلح "تنافر الإدراك" بدل مصطلح التناقض أو التضاد ويبرز ذلك بقوله: «ولقد اخترنا لفظة التنافر دون غيرها عنوانا للعنصر الثاني، لأننا شعرنا أن كل الألفاظ المترادفة مع التضاد وإن كانت تُصور حالة من المواجهة بين مستويين، لا تُبين الأثر النفسي لكل مستوى على الآخر بقدر ما تُبين لفظة التنافر»(3)، فسعيد شوقي يركز على الجانب النفسي الذي يخلفه النص من خلال القراءة فيبرز هذا الجانب مع لفظة التنافر أكثر منه في لفظة التضاد.

التظاهر: يرتبط التظاهر ارتباطًا شديدًا بالمفارقة؛ حيث أن المفارقة في النصوص والتعبير لا تخلو منه، وكما سبق وأشرنا أن سقراط اعتمد على التظاهر في محاولة خصومه للوصول إلى كسر هيمنة المسلّمات المتواضع عليها، والتي أصبحت محل شك في مصداقيتها، والمفارقة في النصوص تعتمد سمة التظاهر وحين كشف هاته المفارقة نلمس تلك السمة في طيات هاته النصوص.

ويتوجب التفريق بين النص المتظاهر والنص المخادع، كما يُورد "حسن حماد": «غير أننا في هذا السياق لا بد أن نُفرق بين النص المتظاهر والنص المخادع صحيح أن كليهما يحمل مُراوغة ما، غير أن هناك اختلافا جوهريًا وأساسيًا بينهما، فالنص المخادع يظهر في مظهر يُخفي وراءه حقيقة محجوبة لا يُراد لها أن تُتكشف، أما النص صاحب المفارقة فيحمل معنى داخليًا يُقصد له أن يُستنبط، وأن يظهر لا أن يختفي، ولعل ذلك ما سيجعله حريصًا على أن يحمل داخله دائما علامات تدلّ على أنه نص مفارقة وليس نصا مخادعا»(4)، فالنص المتظاهر يتميز بوجود إشارات لفك المعاني، أو المعنى المخبوء فيه، عكس النص المخادع الذي لا يريد للمعنى، أو المعاني داخله أن تُكشف وتظهر. ولنجاح المفارقة يجب أن تقوم بوظيفتين:

أ- **المراوغة:** وهي تكون أقرب إلى المفارقة اللغوية، وصانع المفارقة هنا يعتمد على اللغة في صنع مفارقتها، مُستندا إلى مهارته في التلاعب بها حيث يستخدم الجيل اللغوية قدر الإمكان: «والمفارقة في أخصّ خصائصها صنعة لغوية، فهي عندما تتعمد أن تقول شيئا وتعني شيئا آخر كلية، وعندما تثبت حقيقة ثم لا تلبث أن تلغيها»(5)، فالمفارقة تُعطي لنفسها حيزًا بالمراوغة كي لا تكون ثابتة بشكل مباشر.

ب- **المغافلة:** ترتبط بمفارقة الموقف، حيث يكون الأشخاص في حالة من الغفلة التي يقدمهم بها صانع المفارقة: «ومجال عمل هذه الوظيفة، هو ذلك الجانب من المفارقة الذي اصطلح النقاد على تسميته بمفارقة الموقف، ويتمثل عملها في إضفاء صفة

(1) حسن حماد: حسن حماد: المفارقة في النص الروائي، ص 70، 71.

(2) دي. سي. ميويك: موسوعة المصطلح النقدي، ص 46.

(3) سعيد شوقي: بناء المفارقة في الدراما الشعرية، ص 51.

(4) حسن حماد: المفارقة في النص الروائي، ص 62.

(5) نبيلة إبراهيم: فنّ القصّ في النظرية والتطبيق، ص 214.

الغفلة على الشخوص التي تنخرط في أداؤها»⁽¹⁾، فالتظاهر من سمات المفارقة وفي حالات كثيرة نجد لها قريبة من السذاجة في تظاهرها: «غالبًا ما ترتبط المفارقة بالتظاهر بالبراءة وقد تصل إلى حدّ التظاهر بالسذاجة أو الغفلة»⁽²⁾.

القرينة أو المفتاح: تمثل القرينة أو المفتاح الإشارات، التي يتركها المؤلف "صاحب المفارقة" لمتلقي المفارقة لحلّ المُهم فيها للوصول للمعاني المُضمرة في نصّه، وهي في الغالب تكون قرائن سياقية: «إن صانع المفارقة الذي يقوم بإغلاق البنية، أو بالأحرى فتحها على أكثر من احتمال، لا بد أن يقدم لقرائنه المفترض مفتاحا، ليتمكن من العثور على المعنى المخبأ في ثنايا البناء، وهذه المفاتيح عادة ما تكون قرائن سياقية لا قرائن لفظية، فليس من مهام صانع المفارقة أن يقدمها لجمهوره على طبق من فضّة، بل عليه أن يترك له حرية الاختيار ومن يدري؟ فربما يقع هذا القارئ ضحية إضافية من ضحايا المفارقة، أمام قارئ أشدّ ذكاء وأكثر حُبًا»⁽³⁾، فالمفتاح هو واسطة القارئ لكشف المعنى الباطن الذي لا يظهر من الوهلة الأولى.

التعدد أو عدم الإجماع: هذا العنصر يُشير إلى أن النص مُتعدد الدلالات وهو لا يخطئ اعتقاد القارئ بشكل مباشر؛ وإنما يمنحه دلالات جديد ومتعددة تخالف اعتقاده: «أما التعددية بالنسبة للنص المفارق فهي بانورامية الرؤية، وهي أيضا شكل من أشكال التذكير بالموضوعية ولكن عن طريق طرح الرّؤى المتعددة، لا يقول لك النص مباشرة بأنه يخطئ ما تعتقده أنت القارئ، بل يحاول إمّا على استحياء أو جهازًا طبقًا لنبرته في القول، أن يطرح عليك طرقًا متعددة تخالف ما تعتقده أنت، إنه يحاول أن يجد لك بدائل فيأخذ بيدك من ضيق الكائن إلى رحابة الممكن»⁽⁴⁾، فالنص المفارق يحاول خلّعة يقين القارئ وتغيير تصوّره جيل بعض المواقف: «إن النص المفارق يؤسّس في هذه الحالة، حالة التعدد لمستويات محتملة من التماسك النصي دون أن يتحدّى لأي منها، إنه يُخلخل فحسب فكرة القارئ وموقفه من اعتقاد مُعين، بطرحه بدائل ممكنة أو تصوّرات مغايرة لتصوّره وهو ما يتضح في أعلى صورته في مفارقة "اللبس" أو "اللاجزم" التي تتبناها بعض النصوص الأدبية الحديثة»⁽⁵⁾، النص لا يقودنا إلى حقائق مباشرة، وهذه ميزة النص المفارق الذي لا يميل إلى أيّ احتمال من الاحتمالات الواردة، بل يترك القارئ لحرية التي تقوده إلى ما يريده، مُقترحا بدائل معيّنة مع ترك الأبواب مفتوحة على كل الاحتمالات والاعتقادات: «وهذا يقتضي أن تُفسر رسالة المفارقة تفسيرات متفاوتة ومتباينة وهذا التفاوت هو ما يولد أشكالًا مختلفة من التلقي ويتفاوت أصحابها ما بين قارئ متميز وغافل غير»⁽⁶⁾، وهنا يقع التفاوت بين القراء في تفسير النص المفارق؛ فنجد الفروقات بين التفسيرات حسب درجة وعي كل قارئ فتختلف القراءات.

التعدد أو عدم الإجماع ضروري للمفارقة: «ويبدو أن عدم الإجماع ضروري كذلك ليمكن تمييز المفارقة عن سواها من الأجناس البلاغية»⁽⁷⁾. فقد يقع تشابك بين المفارقة وبقية الأجناس البلاغية، في حالة وجود عدم تعدد أو عدم إجماع، لذلك فوجوده مهم في النصوص المفارقة.

(1) نجلاء علي حسين الوقاد: بناء المفارقة في فن المقامات عند بديع الزمان الهمداني والحريري، دراسة أسلوبية، دار الآداب، القاهرة، مصر، (د.ط.)، 2006، ص 23.

(2) ناصر شبانة: المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص 53.

(3) المرجع نفسه، ص 53.

(4) حسن حماد: المفارقة في النص الروائي، ص 71.

(5) المرجع نفسه، ص 71.

(6) ناصر شبانة: المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص 54.

(7) المرجع نفسه، ص 54.

الضحية: وهذا العنصر ذو أهمية بالغة في عملية المفارقة، لأن النصوص ألفت وأبدعت ليستقبلها المتلقون والقراء، وهذا القارئ، أو المتلقي (الضحية)، لا بدّ من وجوده ليكون فريسة للمفارقة: وتعتبر الضحية: «مُتهمة وبرينة ولكنها في الوقت نفسه تدعي لنفسها ما هو مبالغ فيه على سبيل الافتراض فحسب، وهو ما يجعلها هشة وغير محصنة ومعرضة للهجوم ممن هو أعلى منها»⁽¹⁾.

وهناك قارئ يتمكن بوعيه من كشف المفارقة، وقارئ آخر يقع ضحية المفارقة حين لا يتمكن من فك رموزها: «فمقابل ذلك المتلقي شديد الوعي بالمفارقة ثمة من تنطلي عليه لعبة المفارقة فلا يفلح في فك الشفرة الخاصة بها، فيقع ضحية لها والذي يحدّد دور الضحية هو زاوية نظر الكاتب الذي يكتشف أن صنارته غمزت والقارئ مُكتشف المفارقة الذي قد ينظر إلى الضحية نظرة المتعاطف أو الساخر أو كليهما»⁽²⁾، وبالتالي فمكتشف المفارقة يتحول إلى ساخر أو متعاطف من الضحية الذي لم يدرك مغزى المفارقة: «وثمة سؤال يُطرح هنا، فهل يُدرك الضحية أنه كذلك؟ والواقع أنه لا يُدرك حقيقته، بل يُدركه المراقب أو صانع المفارقة ومتى أدرك ضحية المفارقة أنه كذلك كفّ عن التصرف بوصفه ضحية. وبالرغم من أنه يتحوّل إلى ضحية أمام نفسه فقط ولفترة وجيزة»⁽³⁾، ومراقب المفارقة يتعرف على الضحية ويُدرك وقوعها فريسة للمفارقة: «وهذا ما يجعل المفارقة منطوية على المضحك والمبكي في آن واحد، ولهذا فبي قد تدفع القارئ إلى البسمة التي تختفي بمجرد أن ترسم على، الشفاه وهذا مَلْمَح مُهمّ في المفارقة يُحوّل بينها وبين أن تختلط بفنّ النكتة»⁽⁴⁾، فالمفارقة تترك الضحية في حيرة من أمره لفترة وجيزة، ثم يستفيق من حيرته على وقع ابتسامة مما حدث له.

أنواع المفارقة: ليس من السهل حصر كل أنواع المفارقة فهي كثيرة وتختلف من دارس إلى آخر، فنجد عناصر ذكرها باحث ولم يذكرها آخر، فهو موضوع متّسع ومُتشعب: «قسّمت المفارقة في الدراسات الحديثة إلى أنواع عديدة، مما أصبح يصعب على الدارس حصر كل الأنواع أو الأنماط، وبعض هذه الدراسات انطلقت في تقسيمها للمفارقة من ناحية درجاتها، وبعضها انطلق من ناحية طرائقها وأساليبها، وبعضها من ناحية تأثيرها، وبعضها من ناحية موضوعها»⁽⁵⁾، فقد كان التقسيم مفتوحاً على أنماط متعددة حيث كثرت الأنواع واقتربت مفاهيمها في كثير من الأحيان.

المفارقة اللفظية: والمقصود بها أن المعنى الظاهر للفظ يُغاير ويُناقض المعنى العميق: «والمفارقة اللفظية في أبسط تعريف لها هي شكل من أشكال القول يُساق فيه معنى ما في حين يُقصد منه معنى آخر، غالباً ما يكون مخالفاً للمعنى السطحي الظاهر»⁽⁶⁾، وهي في هذه الحالة تخالف في المعنيين السطحي والظاهر، وقد اعتبر ناصر شبانة هذا النوع من المفارقة أكثر الأنواع التي درست ونالت اهتمام الباحثين: «ويبدو أن المفارقة اللفظية Verbal Irony تحظى بنصيب الأسد من تعريف المفارقة بشكل عام، ولذلك ليس من الغريب أن تبدو كالقاسم المشترك بين جميع من كتبوا عن المفارقة وأشكالها، فهي الشكل الأبرز والأشهر من أشكال المفارقة واحتلت مساحة لا بأس بها في دراسات المفارقة وأبحاثها»⁽⁷⁾، كانت المفارقة اللفظية من أهمّ المفارقات التي بحث فيها الدارسون، حيث يكون التناقض في المدلول هو ما يدفع القارئ للبحث عن المعنى المراد: «وتكون المفارقة اللفظية

(1) نبيلة إبراهيم: فنّ القصّ في النظرية والتطبيق، ص 201، 202.

(2) ناصر شبانة: المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص 53

(3) المرجع نفسه، ص 54.

(4) نبيلة إبراهيم: فنّ القصّ في النظرية والتطبيق، ص 202.

(5) خالد سليمان: المفارقة والأدب، ص 24.

(6) سيزا قاسم: "المفارقة في القص العربي المعاصر"، ص 144.

(7) ناصر شبانة: المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص 64.

حين يؤدي الدال مدلولين نقيضين: أحدهما قريب نتيجة تفسير البنية اللغوية حرفياً، والآخر سياقي خفي يجتهد القارئ في البحث عنه واكتشافه»⁽¹⁾. يعرفها "محمد العبد" بقوله: «المفارقة اللفظية في أبسط تعريف لها، هي شكل من أشكال القول، يُساق فيها معنى ما، في حين يقصد فيه معنى آخر، يخالف غالباً المعنى السطحي الظاهر»⁽²⁾.

وفي تصور آخر لمفهوم المفارقة اللفظية ما يورده نعمان "عبد السميع متولي": «المفارقة اللفظية هي التي يكون بها المعنى الظاهري واضحاً ولا يتسم بالغموض وله قوة دلالية مؤثرة، وكثيراً ما يكون المعنى فيها هجومياً وخاصة في شعر الهجاء، وهذه المفارقة يتعمدها الشاعر ويخطط لها، عبر التضاد بين المظهر والمخبر»⁽³⁾، وفي رأيه المعنى الظاهري يكون واضحاً ومبتعداً عن الغموض وغالباً ما يكون المعنى المقصود لمهاجمة خصم أو ذكر عيوبه: «المفارقة اللفظية هي تغيير في المعنى، أو تغيير للكلمة من المعنى المباشر إلى المعنى غير مباشر ولا بد من حدوث انقلاب في الدلالة»⁽⁴⁾.

ويضع: "دي.سي. ميويك": نوعين من المفارقة اللفظية:

أ- المفارقة الهادفة: وهي أن صاحب المفارقة يقدم نصّه مُنتظراً أن يفهم المعنى النقيض للمعنى الحرفي: «إن المفارقة الهادفة لعبة يقوم بها اثنان (رغم أنها أكثر من ذلك)، فصاحب المفارقة الذي يقوم بدور الغرير، يعرض نصّاً ولكن بطريقة أو سياق يدفع القارئ إلى أن يرفض ما يعبر عنه من معنى حرفي، مُفضّلاً ما لا يعبر عنه النص من معنى منقول ذي مغزى ونقيض»⁽⁵⁾، حيث أن المعبر عنه يتم رفضه بدافع يدفع القارئ إلى ذلك: «ففي المفارقة الهادفة يقول صاحب المفارقة شيئاً من أجل أن يُرفض على أنه زائف، مُساء استعماله، من جانب واحد»⁽⁶⁾.

ب- المفارقة الملحوظة: هي أقرب للمسرح: «جميع المفارقات الملحوظة "مسرحية" بحكم التعريف، من حيث أن وجود مراقب ضروري لاستكمال المفارقة»⁽⁷⁾، ووجود المراقب ضرورياً في المفارقة الملحوظة، كي يلاحظ سير الأحداث: «إنها شيء يمكن في الأقل تصوّر حدوثه. قد نقول إنه من باب المفارقة أن يتخدع شخص على يد شخص أراد الأول أن يخدعه، ولكن لأجل أن نستطيع قول ذلك، يجب أن نكون قد أقمنا مسرحاً ذهنياً نقوم فيه نحن بدور المراقب غير المراقب، نرى الموقف بوضوح كما هو عليه ونشعر بعض الشيء بقوة اللاوعي المطمئن لدى الضحية»⁽⁸⁾.

المفارقة الدرامية: ترجع جذور المفارقة الدرامية وارتباطها إلى المسرحي اليوناني سوفوكليس، وفي بعض الأحيان تسمى مفارقة سوفوكليس⁽⁹⁾. حيث الشخصية المسرحية تقول أقوالاً ولا تعرف المصير الحقيقي لواقع الحال فوعمها يكون منصباً على حوادث معينة فإذا بها النهاية تكون عكس ما كانت تعيه: «وأكثر ما نجد المفارقة الدرامية في الفنون الدرامية التي ترتفع فيها وتيرة الحدث وترتبط أكثر ما ترتبط بالفنون النثرية، ونادراً ما نجد المفارقة الدرامية في الشعر، إلا إذا كان ذا بناء درامي، وهذا يعني أن الشعر

(1) المرجع نفسه، ص 64.

(2) محمد العبد: المفارقة القرآنية، ص 54.

(3) نعمان عبد السميع متولي: المفارقة اللغوية في الدراسات الغربية والتراث العربي القديم، دراسة تطبيقية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر، (د.ط.)، 2014، ص 18.

(4) نجلاء علي حسين الوقاد: بناء المفارقة في فن المقامات عند بديع الزمان الهمذاني والحريري، ص 32.

(5) دي.سي. ميويك: موسوعة المصطلح النقدي، ص 171.

(6) المرجع نفسه، ص 195.

(7) المرجع نفسه، ص 213.

(8) المرجع نفسه، ص 223.

(9) خالد سليمان: المفارقة والأدب، ص 23.

الغنائي أكثر التصاقاً بالمفارقات اللفظية» (1)، حيث نجدتها تكثُر في المسرحيات والفنون النثرية التي تُبنى على المفارقة الدرامية، وتَقِل في الشعر لأن دور المفارقة الدرامية أساساً يكون في الفنون النثرية بأكثر دقة ووضوح وفاعلية: «عند دراسة المفارقة الدرامية **Dramatic Irony** نجد أنفسنا مباشرة أمام دراسة المفارقة في الحكمة الروائية، وعندئذ يجب أن نُفرق بين المادة الخام القصصية الأساسية **Fabula**، أي مجموع الأحداث المروية في السرد، والحبكة **syuzhet** التامة أي القصة كما تحكى بالفعل عن طريق ربط الأحداث معاً بالتقديم والتأخير، فإذا كانت المادة القصصية هي ماذا حدث، فالحبكة هي كيف أصبح القارئ واعياً بما حدث أي أن الحكمة نظام ظهور الأحداث في العمل الأدبي نفسه، سواء على النحو التقليدي من حيث الترتيب الزمني أو على نحو استرجاعي أو على نحو آخر» (2)، فالمفارقة الدرامية قريبة من الحكمة في العمل الروائي حيث يصبح القارئ أكثر وعياً بمجرى الأحداث وسيرها: «ومما لا جدال فيه أن الكاتب الذي تكمن موهبته في الصياغة اللفظية فإن أنماط المفارقة عنده ستكون في غالبيتها من أنماط المفارقة اللفظية المجردة، أما الكاتب الذي وهب خيالاً درامياً فإن المفارقة عنده ستكون مفارقة درامية» (3)، فهي تعتمد على اتساع الخيال والقدرة على تحويله درامياً.

المفارقة البنائية: تُعتبر نوعاً مهماً من أنواع المفارقة، وتتمثل في قدرة القارئ على تخيل ما يريد الكاتب أو المؤلف الوصول إليه من معنى، وفي الوقت نفسه يكون البطل أو الراوي فيها غير مُدرك للمعنى: «المفارقة البنائية هي التي تتولد منها المعاني المتعددة للنص، وتختلف حسب فكر القارئ وثقافته وبتخيل ما يقصده ويرمي إليه الكاتب، وفي هذا النوع من المفارقات الأداة الشائعة هي اختلاق البطل الساذج أو على الأقل، الراوي أو المتحدث الساذج الذي يتخفى وراء المؤلف بوجهة نظره، والمفارقة البنائية تعتمد على معرفة مقصد المؤلف الساخر الذي هو من نصيب المستمع، ولكنه مجهول عند المتكلم» (4)، حيث يكون المتلقي على علم بالأحداث عكس الشخصية (المتكلم) التي تكون غير مُدركة لمجرى الأحداث، وهي قريبة الشبه بالمفارقة اللفظية، كما يرى "ناصر شبانة": «وهي كالمفارقة اللفظية وسيلة من وسائل توكيد وظهور دلالتين ضديتين إحداهما ظاهرة والأخرى باطنة. غير أن المفارقة البنائية تحتم جهل المتكلم بما ينبغي على القارئ معرفته، من معنى خفي» (5)، والاختلاف بينهما هو أن المتكلم في المفارقة اللفظية يكون على علم بالمعنى في النص، أما في المفارقة البنائية يكون المتكلم جاهلاً بمقصديّة النص والمعنى المراد إيصاله وتبليغه للقارئ.

وبحسب "محمد العبد" فإن هذا النوع موجود في القرآن الكريم: «وفي الخطاب القرآني يمكننا أن نرى شكلاً للمفارقة هو أقرب شيء إلى المفارقة البنائية، وذلك حتى يجعل النص القرآني المحكم متكلاً آخر ينزل بغيره تهكماً، فيصير هذا التهكم ذاته وقد انقلب إلى تهكم بالمتكلم الأول نفسه، والتهكم الذي يحمله المنطوق بصياغته وبنيته الخاصة، يخفى على ذلك المتكلم بالطبع، أو هو يجهله، ولكنه مفهوم ومدرك لدى المستمع أو قارئ النص» (6)، ومن أمثلة هذه المفارقة ما يورده "محمد العبد": «ولعل من هذا النوع من المفارقات ما نجده في قوله تعالى: (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ

(1) ناصر شبانة: المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص 69.

(2) حسن حماد: المفارقة في النص الروائي، نجيب محفوظ نموذجاً، ص 194.

(3) خالد سليمان: المفارقة والأدب، ص 31.

(4) نجلاء علي حسين الوقاد: بناء المفارقة في فن المقامات عند بدیع الزمان الهمداني والحريري، ص 220.

(5) ناصر شبانة: المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص 71.

(6) محمد العبد: المفارقة القرآنية، ص 103.

في أموالنا ما نشاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ⁽¹⁾. والمفارقة هنا في التضاد الظاهر بين المنطوق الأخير: (إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) والمنطوقات السابقة عليها في الآية⁽²⁾.

مفارقة السلوك الحركي: هذه المفارقة لا تحتاج للغة في وقوع مُكوّناتها على الضحية؛ بل تظهر كسلوك وحركات تُبين كيفية تعامل من وقعت عليه (الضحية): «ترسم هذه المفارقة صورًا للسلوك الحركي، لمن تقع منه أو عليه عناصرها ومكوّناتها، وهي حركة عضوية أو حركة جسمية عامة، تبرز فيها عناصر خاصة مثيرة للغرابة والسخرية»⁽³⁾، فالضحية هنا تقوم بعدة حركات جسمية عامة مثيرة للسخرية نتيجة وقوعها فريسة لهاته المفارقة.

مفارقة السلوك الحركي تكون قنوات الاتصال فيها جسمية حركية، وهذا الجانب له أهميته في سياق المنظومة الاجتماعية: «إذا كان الاتصال اللفظي يؤدي دورًا مهمًا في مواقف اجتماعية متعددة، فإن نمط الاتصال غير اللفظي، يؤدي هو الآخر دورًا مهمًا، سواء أكان مُصاحبًا ومُكملاً للنمط الأول، أم مستقلاً»⁽⁴⁾، ومن الأمثلة التي تدل على ذلك من القرآن الكريم ما يورده محمد العبد: «في ضوء ما تقدّم يمكننا أن نرى من هذا النوع من المفارقات القرآنية، في قوله تعالى: (يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ)⁽⁵⁾، في هذه المفارقة نلاحظ أن "من" تفيد التقليل»⁽⁶⁾، وهذه الآية تُبين لنا صورة المنافقين وهو يجعلون الأصابع في الآذان في مفارقة يوضّحها سلوكهم.

وهذا النوع من المفارقات يلعب فيه المراقب دورًا مهمًا، شريطة عدم علم الضحية بوجوده ليكون ردّ فعله وسلوكه عفويًا، وغير مُتكلّف أثناء وقوع المفارقة عليه: «هذا الضرب من المفارقات يحتاج إلى مراقب خفي لا ينتبه إلى وجوده الشخص ضحية المفارقة، الذي لن يقوم بمثل هذه الحركات لو علم بمن يراقبه»⁽⁷⁾.

مفارقة النغمة: هي ما يظهر في المنطوق من تضاد وجب تفسيره: «ومفارقة النغمة Irony of tone تعني أداء المنطوق - على الكلية- بنغمة تهكمية يُعوّل عليها في إظهار التعارض أو التضاد، بين ظاهر المنطوق وباطنه، بين سطحه وعمقه، بحيث تفتلح هذه النغمة التهكمية محتوى ذلك الظاهر لمصلحة الباطن المضاد»⁽⁸⁾، حيث تكون النغمة التهكمية مفتاح المتلقي في إدراك المعنى المقصود، والتي تُحيل دائمًا أو في غالب الأحيان إلى المعنى المتناقض والمضاد للمنطوق.

ولا تختلف مفارقة النغمة عن المفارقة اللفظية كثيرًا، إذ تجمعهما خصائص عديدة: «ويبدو أن المفارقة النغمية تقترب إلى حدّ كبير من المفارقة اللفظية، فلا تختلف عنها إلا في أمرين؛ الأول: أن القرينة في المفارقة اللفظية سياقية، أما في مفارقة النغمة فهي نبرة المتكلم وطريقة تعبيره التي تُشفي بعدم جدية المتكلم فيما يقول، مما يؤدي إلى إعادة تفسير كلامه من جديد: والثاني هو أن المفارقة اللفظية تنحصر في بنية محدودة، تبدأ بالكلمة الواحدة وتنتهي بعدة كلمات، في حين تبدو مفارقة النغمة

(1) سورة هود: الآية: 87.

(2) محمد العبد: المفارقة القرآنية، ص 104.

(3) المرجع نفسه، ص 145.

(4) المرجع نفسه، ص 147.

(5) سورة البقرة: الآية 19.

(6) محمد العبد: المفارقة القرآنية، ص 148.

(7) ناصر شبانة: المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص 71.

(8) محمد العبد: المفارقة القرآنية، ص 42.

نتيجة عن الكلام المنطوق بأجمعه، مَهْمَا بلغ عدد الكلمات فيه»⁽¹⁾، ومكمن الاختلاف بينهما هو في القرنية التي تكون سياقية في المفارقة اللفظية، أما في مفارقة النغمة فنبرة المتكلمة وتهكمه، هي القرينة التي تدفع المستمع إلى كشف المعنى المضاد. وظيفة المفارقة: لقد ارتبطت المفارقة بلغة الإنسان منذ القديم، هذه اللغة التي تُعتبر من أهم العناصر التي تميّز الإنسان عن بقية الكائنات: «عرف المجتمع الإنساني اللغة في أقدم صورته، فاللغة ظاهرة تميّز الإنسان عن الكائنات الأخرى. واختصّ بها فأتاحت له أن يُكون المجتمع وأن يُقيم الحضارة»⁽²⁾، وبهذه اللغة استطاع الإنسان أن يُعبر عن أمانيه، وما يريده وما لا يريده، بطرق مختلفة، حيث نجد في التعبيرات القديمة ما يُوحى بأن الإنسان أبدع في إنتاج الفنون الكثيرة، حول العديد من القضايا التي عاشها، والتي عاصرها، والتي لا تزال إلى اليوم محل دراسات ومحل نظر، وهذا ما نجده بخاصة في الفن والأدب: «فعندما يظهر الفن والأدب نجدتهما يتوهجان بنور الإبداع الحقيقي، إذ ليس من باب المصادفة أن معالم ثقافة ما قبل التاريخ كلها تقريباً تلاقى فهماً لدى الإنسان المعاصر، ومن الوجهة الجمالية في المقام الأول، إن العلم، أي الفكر المنطقي لا يستطيع أن يستوعب التخيلات الخارقة واختلاجات الإنسان القديم اللامعقولة وخرافته، في حين يفتح الفن صدره لاستيعاب الأساطير والخرافات والافتراضات الساذجة حول الكون»⁽³⁾، فالإنسان بطبيعته يمرّ بعدة ظروف صعبة وقاهرة ومُتغيرات في غير ما يزومه تجعله بحاجة ماسة إلى ما يُعينه على تجاوز هذا الظروف النفسية، فتصبح الذات في حاجة إلى التجديد: «ولا سبيل إلى تجديد الذات الفردية والجماعية على السواء والارتفاع بمعنوياتها وتخليصها من عوامل القهر والإحباط غير العودة إلى الفطرة الإنسانية، هذه الفطرة التي ترشدنا إلى أن الإنسان لا يبكي فقط، ولكنه يضحك أيضاً»⁽⁴⁾، فالإنسان بفطرته ميّال إلى الترفيه والضحك والابتسام ولا يكتفي فقط بالبكاء والحزن.

ونجد المفارقة في الفن والأدب يكون دافعها جمالياً: «ولذلك فإن الدافع الفني والجمالي هو الذي يمارس الدور الأكبر من ضغوط صنع المفارقة، فكل ممنوع عند القارئ مرغوب، والأبعد هو الأجمَل. والغامض هو ما يسعى القارئ إلى اكتشافه، من هنا يعمل القارئ معوله في جدار البنية اللغوية بحثاً عن كنز المعنى ولا شك في أن فرحته لا توصف حينما يعثر على المعنى المفقود»⁽⁵⁾، فالسبب الذي يجعل المبدع لا يبوح مباشرة بالمعنى، بل يترك القارئ يبحث عنه هو سبب في جمالي: «دور الكلمة في القصيدة هو البوح والإحياء الكلي الإجمالي، وغير المحدّد. وأنها أي الكلمة ليست مُطالبية دائماً بالدلالة الواضحة المحدّدة الأحادية الاتجاه فاللغة الشعريّة، ذات طبيعة خاصة تعتمد اعتماداً كبيراً على الألوان والظلال المختلفة، التي تُثيرها الكلمات»⁽⁶⁾، فبالضرورة لا يكون المعنى والدلالة واضحة؛ بل هناك احتمالات تُقرب لذهن القارئ المعنى المقصود، لأن هناك دافعاً يجعل المبدع يتعدّد بنصوصه عن التصريح المباشر، فتكون كتابته تحمل غموضاً يتعين على المتلقي فكّه للوصول للمقصود، وتكثر هذه النصوص بشكل خاص في ظل اشتداد القهر السياسي. وفرض السّلطة قوانينها الغاشمة على الشعوب: «عندما يشتدّ الطغيان والقهر السياسي والاجتماعي في أمة من الأمم في عصر من العصور، فيُكبل حريات الشعب ويفرض على أصحاب الكلمة، من شعراء وكتّاب ومُفكرين ستاراً رهيباً من الصمت بقوة الحديد والنار، أو بقوة التبدّد الاجتماعي - إذا كانت

(1) ناصر شبانة: المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص 72.

(2) محمود فهبي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د.ط.)، (د.ت)، ص 9.

(3) غيورغي غاتشف: الوعي والفن، تر: نوفل نيوف، عالم المعرفة، الكويت، ع146، 1990، ص 11، 12.

(4) عبد العزيز شرف: الأدب الفكاهي، الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان، مصر، ط 3، 1992، ص 4.

(5) ناصر شبانة: المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص 73.

(6) محمد عبدو فلفل: في التشكيل اللغوي للشعر، مقاربات في النظرية والتطبيق، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، سوريا، ط1، 2013،

القوى المسيطرة قوى اجتماعية وليست سياسية»(1)، وبسبب الضغط وتقييد الحريات، يلجأ المبدعون إلى أساليبهم الفنية الخاصة التي تساعدهم على التعبير عن آرائهم، ونقد واقعهم، ومن بين هذه الأساليب "المفارقة" التي تُنتج معاني مضادة للمعاني الظاهرة: «فإن أصحاب الكلمة يلجؤون إلى رسائلهم وأدواتهم الفنية الخاصة، التي يستطيعون بواسطتها أن يُعبّروا عن آرائهم وأفكارهم بطريقة فنية غير مباشرة، لا تُعرضهم لبطش السلطة العاشمة التي غالباً ما تكون آراء هؤلاء وأفكارهم مقاومة لها، وانتقاداً لطغيانها»(2).

والمفارقة وسيلة من وسائل المقاومة حيث تولدها أحياناً البيئة المتسلطة: «إن المفارقة هي إستراتيجية الإحباط واللامبالاة وخيبة الأمل، ولكنها في الوقت نفسه تنطوي على جانب إيجابي، فقد ننظر إليها على أنها سلاح هجومي فعّال، وهذا السلاح هو الضحك، ولكنه ليس الضحك الذي يتولد عن الكوميديا بل الضحك الذي يتولد عن التوتر الحاد الذي لا بدّ أن ينفجر»(3)، ففي جوّ من الإحباط وخيبات الأمل تُنتج المفارقة الضحك، وهذا الضحك لا يؤدي إلى الترفيه؛ بل وظيفته إبلاغ وتوعية قبل الانفجار.

ومن أهمّ وظائف المفارقة كسر المسلّمات والثوابت وتبيان زيفها: «المفارقة في الشعر مفارقة لغوية، تعتمد على تشكيل خاص يُفجر في اللغة الشعرية طاقاتها الكامنة، من أجل التّوصل إلى تشكيل يواجه الضرورة في الواقع، ويكشف عن زيف كثير من مسلّمات هذا الواقع»(4)، فهذا الواقع مليء بحقائق ومسلّمات زائفة تقوم المفارقة بكشفها وفضح خداعها: «والمفارقة تهدف إلى هدم الثوابت والاشتغال على اللامتوقع واختراق العادي وتجاوزه، والجمع بين المتناقضات والمتضادات وفي أحيان أخرى بين المتشابهات في فضاء قد لا يصلح لذلك مما يعمل على توليد المفارقة»(5).

فلا بدّ لكل عمل أو صنعة من هدف أو غاية تصبو إليها، وكذلك المفارقة فهي تهدف إلى كشف المتناقضات وتعرية الواقع الإنساني لتغوص في أعماقه: «فقد تكون سلاحاً للهجوم الساخر، وقد تكون أشبه بستر رقيق يشفّ عما وراءه من هزيمة الإنسان، وربما أدارت المفارقة ظهورها لعالمنا الواقعي وقلبته رأساً على عقب، وربما كانت تهدف المفارقة إلى إخراج أحشاء قلب الإنسان الضحية، لترى ما فيه من متناقضات وتضاربات تثير الضحك»(6)، فهذا العالم الواقعي المتناقض والمهزوز، يفرض على المبدع وفقاً لرؤيته، نمطاً من الإبداع تكون اللغة فيه مُعبّرة عنه: «وينبغي النظر إلى لغة المفارقة على أنها صورة من إيمان العصر المهزوز بكل القيم والحقائق، فالحقيقة النسبية تُولّد لغة نسبية والمعادلة التي تحتلّ وجهات نظر عدّة، ينبغي أن يُعبر عنها بلغة مراوغة تقبل وجهات النظر المختلفة وتتداخل فيها الأضداد، وتتسع فيها مساحة الاجتهاد للقارئ»(7).

وللمفارقة وظيفة إصلاحية تتمّ من خلال معالجة الظواهر السلبية في المجتمع بطريقة فنية، ففي المفارقة السقراطية نلمس كيفية محاورة سقراط لخصومه، محاولاً تعديل الانحرافات في سلوكهم: «وهدهاه تفكيره إلى أن الانحراف السلوكي، إنما هو نتيجة لازمة عن الانحراف الفكري: غموض، سوء الفهم، زيف في الوعي.... إلى غير هذا أو ذلك من مظاهر المرض الفكري،

(1) علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1997، ص 33، 32.

(2) المرجع نفسه، ص 33.

(3) سيزا قاسم: "المفارقة في القص العربي المعاصر"، ص 144.

(4) حسني عبد الجليل: المفارقة في شعر عدي بن زيد، الموقف والأداة، دار الوفاء لنديا للطباعة والنشر، مصر، ط 1، 2009، ص 144.

(5) فيصل غازي محمد النعيمي: "رائحة السينما، دراسة في أنماط المفارقة ودلالاتها"، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، العراق، مج: 13، العدد 4، سنة 2006، ص 193.

(6) نبيلة ابراهيم: فنّ القصّ في النظرية والتطبيق، ص 198.

(7) ناصر شبانة: المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص 61.

بدءاً من أبسطها وأقلها خطراً، صعوداً إلى درجاتها العليا الأشد خطورة، وبالتالي فلا بدّ من تصحيح المفاهيم، لينصل إلى تلك الركائز الفكرية المكوّنة للحقّ والمتفق عليها، فهذا هو الطريق إلى الاستقامة الخلقية»⁽¹⁾، فيجب معالجة الأمراض الفكرية عن طريق الوعي بها وتفعيل الأسس الفكرية المؤدّية إلى القيم الأخلاقية، ويمكن أن تكون المفارقة أداة للتوازن: «وإذا كان من سمات العصر الأساسية أنه يذّر الإنسان في فوضى الاحتمالات، فلا أرض صلبة يقف عليها، فإن المفارقة معنية هي الأخرى بإحداث التوازن من خلال السّمة نفسها، إذ لا تهدف المفارقة إلى جعل الناس يصدّقون، بقدر ما تجعلهم يعرفون»⁽²⁾، وهذه المعرفة التي تُعطيها المفارقة للناس، هل هي معرفة مؤكّدة؟، ففي ظلّ سيادة عنصر الاحتمالية والنسبية تغيب الحقائق المطلقة، وتُصبح حقائق احتمالية: «وهم لا يعرفون حقائق بقدر ما يعرفون احتمالات لحقائق، ومن شأن الاحتمالات أنها لا تدع للإنسان أرضاً صلبة يقف عليها، وهي سمة أساسية كذلك من سمات المفارقة»⁽³⁾.

وتُساهم المفارقة في بناء وتماسك النصوص، من خلال قدرة المبدع على توظيف الألفاظ والمعاني المتضادة، توظيفاً يدخل القارئ في النسيج النصي: «وللمفارقة وظيفة مهمة في الأدب بشكل عام والشعر بشكل خاص، فهي في الشعر تتجاوز حدود الفطنة وشدّ الانتباه، إلى إيجاد التوتر الدلالي في القصيدة عبر التضاد في الأشياء، الذي قد لا يتولّد فقط من خلال الكلمات المثيرة والمروعة في السياق بل عبر إمكانات الشاعر أو الأديب البارعة في توظيف مفردات اللغة العادية واليومية، وكلما اشتدّ التضاد، ازدادت حدّة المفارقة في النص»⁽⁴⁾، فحُسن توظيف المبدع للتضاد ودقته يزيد من دقّة المفارقة، ويُثمقها ويُسهل عملية البناء والتّماسك النصي: «فالمعنى يظل ناقصاً ما لم يكتمل بنظيره ولا يتحقّق المعنى إلا بنقيضه، وهكذا يتحوّل مبدأ التضاد من مبدأ وجودي إلى مبدأ فكري مارّ من خلال اللّغة، ليدخل في حركة جدليّة تحقّق الوحدة والتّماسك»⁽⁵⁾، وقيمة المعنى المُنتج في المفارقة قيمة إقناعية، إذ تُساهم المفارقة بالمعاني المتناقضة فيها إلى إقناع المتلقي أكثر من المعاني الأخرى الجاهزة: «ويلاحظ أن المعنى الذي أعاد القارئ إنتاجه في المفارقة، سيُسمى أكثر إقناعاً وتأثيراً ممّا لو قدّمه الكاتب لقارئه على طبّق من لغة، فالإنسان يُحبّ ما يكتشفه ويؤثره ويقنع به، بل يسعى لإقناع الآخرين به»⁽⁶⁾، ولذلك تُعتبر المفارقة أحد الأساليب الاجتماعية الفعّالة إذا لم تنجح الوسائل الإبداعية الأخرى في الإقناع: «وتُستخدم المفارقة في نهاية المطاف عندما تفشل كل وسائل الإقناع. وتُستهلك كل الحجج ويخفق النقد الموضوعي، فعندئذ تظلّ المفارقة هي الطريق الوحيد المفتوح أمام الاختيار»⁽⁷⁾، ففي المفارقة يُمسي القارئ شريكاً في عملية إنتاج المعنى فهي لا تُفصح عن المعنى المقصود مباشرة، بل يقوم المتلقي بحسب قراءته في استحضار المعاني والتفسيرات: «وتكمن قيمة المفارقة في سَعَمها الدوّوب إلى تأجيل المغزى مما يُتيح للمعنى الحرّفي البقاء، وهذا بدوّره يُفضي إلى مُتوالية لا نهائية من التفسيرات للمفارقة»⁽⁸⁾.

إن تجديد الذات يُوصلها إلى مراحل اقتقادها للحقيقة، وهنا تكون المفارقة ملاذاً لها: «بُنيت نظرية المفارقة من حيث أنها تمثّل منطقة العبور من المحدود إلى اللّامحدود، ولا تصل الذات إلى هذه الحالة إلا بعد أن تمرّ بمراحل من الوعي الذي تُراجع

(1) سعيد إسماعيل علي: "فلسفات تربوية معاصرة"، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع198، 1995، ص 11.

(2) ناصر شبانة: المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص 75.

(3) نبيلة ابراهيم: فنّ القصّ في النظرية والتطبيق، ص 202.

(4) نعمان عبد السميع متولي: المفارقة اللغوية في الدراسات الغربية والتراث العربي القديم، ص 14.

(5) ميادة كامل إسبر: شعرية أبي تمام، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، سوريا، ط1، 2011، ص 107، 106.

(6) ناصر شبانة: المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص 76.

(7) سيزا قاسم: "القص العربي المعاصر"، ص 143، 144.

(8) عاصم محمد أمين بني عامر: لغة التضاد في شعر أمل دنقل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005، ص 48.

فيه نفسها حتى إذا ما افتقدت الحقيقة، إذا بها تسعى إلى ذات تجريبية أخرى في عالم أكثر جدّة وأكثر إشراقاً، لأنه عالم لا يقيده قيد السببية ولا يقيده زمان أو مكان»(1).

ويرى نعمان "عبد السميع متولي" أن: «المفارقة جوهر في الأدب لأنها تقوم على الصّراع بين الأشياء: الحياة والموت، التصور والمألوف، الفاني والأزلي، ولأنها تعكس الرؤية المزدوجة في الحياة، فهي نظرة فلسفية للوجود من حولنا، قبل أن تكون أسلوباً بلاغياً»(2).

فالمفارقة ليست: «مجرد شكل جميل ذي نُكبة معينة»(3)؛ بل هي: «نظرة إلى العالم وموقف من حقيقة الأشياء»(4)، لذلك فإنها رؤية للعالم الغامض المُهم والمتناقض، الذي لا يمكن فيه الاطمئنان للحقيقة ومهما تأخر استيعاب المتلقي للمعنى فيها، فإن وظيفتها لا بد وأن تتحقّق: «ومن غير الحكمة الغضّ من شأن هذه الأهداف التي تحقّقها المفارقة أثناء تحقّقها في العمل الأدبي، وقد تكون من تحصيل الحاصل، غير أن المفارقة لم توجد فجأة في ساح الأدب بقدر ما كانت صدى لوقوعها في الحياة، فإذا وقفنا على أهداف وجودها في الحياة كانت أهدافها في الأدب مُتحقّقة تلقائياً»(5).

فالمفارقة في النصوص الإبداعية تساهم في جذب الانتباه، وجعل المتلقين يستسلمون تلقائياً وينشغلون بما تريد هذه النصوص إيصاله من معنى في ظل احتوائها على التوتر الدلالي والتضاد في المعاني، وتمثل المفارقة رؤية للعالم من خلال تضاد وتناقض ما يأمله الإنسان مع الراهن الحالي.

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر:

القرآن الكريم

- 1- الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، أساس البلاغة، تج: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ط1، 1997.
- 2- حسن حماد: المفارقة في النص الروائي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2005.
- 3- حسني عبد الجليل: المفارقة في شعر عدي بن زيد، الموقف والأداة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، ط1، 2009.
- 4- دي. سي. ميويك: موسوعة المصطلح النقدي، تر: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، مج: 4، ط1، 1993.
- 5- سعيد شوقي: بناء المفارقة في الدراما الشعرية، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2001.
- 6- عاصم محمد أمين بني عامر: لغة التضاد في شعر أمل دنقل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005.

(1) نبيلة إبراهيم: فنّ القصّ في النظرية والتطبيق، ص 207.

(2) نعمان عبد السميع متولي: المرجع السابق، ص 77.

(3) خالد سليمان: "نظرية المفارقة"، مجلة أبحاث اليرموك، جامعة اليرموك، الأردن، مج: 13، ع: 2، 1995، ص 76.

(4) أمينة رشيد: "المفارقة الروائية والزمن التاريخي"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، مج: 11، ع: 4، 1993، ص 157.

(5) ناصر شبانة: المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص 77.

- 7- عبد العزيز شرف: الأدب الفكاهي، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، ط 3، 1992.
- 8- علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1997.
- 9- علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 5، 2008.
- 10- محمد العبد: المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 2، 2006.
- 11- محمد عبود فلفل: في التشكيل اللغوي للشعر، مقاربات في النظرية والتطبيق، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، سوريا، ط 1، 2013.
- 12- محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت).
- 13- ميادة كامل إسبر: شعرية أبي تمام، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، سوريا، ط 1، 2011.
- 14- ناصر شبانة: المفارقة في الشعر العربي الحديث، أمل دنقل، سعدي يوسف، ومحمود درويش نموذجاً، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2002.
- 15- نبيلة إبراهيم: فنّ القصّ في النظرية والتطبيق، مكتبة غريب، (د.ط)، (د.ت).
- 16- نجلاء علي حسين الوقاد: بناء المفارقة في فن المقامات عند بدیع الزمان الهمذاني والحريري، دراسة أسلوبية، دار الآداب، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2006.
- 17- نعمان عبد السميع متولي: المفارقة اللغوية في الدراسات الغربية والتراث العربي القديم، دراسة تطبيقية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر، (د.ط)، 2014.
- 18- ابن منظور: جمال الدين مكرم بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 6، 1997.
- 19- الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 3، 2005.
- 20- أمينة رشيد: "المفارقة الروائية والزمن التاريخي"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، مج: 11، ع: 4، 1993.
- 21- خالد سليمان: "نظرية المفارقة"، مجلة أبحاث اليرموك، جامعة اليرموك، الأردن، مج: 13، ع: 2، 1995.
- 22- سعيد إسماعيل علي: "فلسفات تربوية معاصرة"، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع 198، 1995.
- 23- سيزا قاسم: "المفارقة في القص العربي المعاصر"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، مج: 2، ع: 2، 1982.
- 24- غيورغي غاتشف: الوعي والفن، تر: نوفل نيوف، عالم المعرفة، الكويت، ع 146، 1990.
- 25- فيصل غازي محمد النعيمي: "رائحة السينما، دراسة في أنماط المفارقة ودلالاتها"، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، العراق، مج: 13، العدد 4، سنة 2006.

- 26– Berrendonner-A: *Eléments de pragmatique linguistique*, Minit, 1981.
- 27– Fantanier –C: *les figure des discours*, Paris. Flammarion, 1997.
- 28– M.A. Mazure: *Dictionnaire étymologique de la langue Française, Usulle et littéraire*, Paris, 1863, (Google Books).
- 29– Sperber. D et Wilson. D: *les Ironées comme mentions*, Poétique, 1978.

دور مفتش التربية في تنمية الأداء الوظيفي للمعلم

The role of the education inspector in developing the teacher's performance

د.قرساس حسين/جامعة المسيلة، الجزائر

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف دور مفتش التربية في تفعيل الأداء الوظيفي للمعلم من خلال آراء المدرسين .

وقد افترض الباحث وجود دور إيجابي للمفتش في تحسين أداء المعلمين من خلال دوره في عملية التحضير والتخطيط للدروس ، وكذلك دوره الإيجابي في تنفيذها وكذلك دوره في التحصيل الدراسي للتلاميذ. وللتحقق من صحة هذا الافتراض قام الباحث بدراسة ميدانية استخدم فيها المقياس كوسيلة لجمع البيانات لعينة عشوائية مكونة من 60 مدرسا ومدرسة بالتعليم الابتدائي بولاية المسيلة كما تم استخدام النسب المئوية و(ك2) للمعالجة الإحصائية للبيانات.

وقد توصلت الدراسة إلى أن المعلمون يتفوقون على أن للمشرف التربوي دور إيجابي في عملية تحضير الدروس وكذلك عملية تنفيذها داخل القسم من طرف المعلم حيث كانت الفروق دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (0.05) بين إجابات أفراد العينة لصالح المؤيدين لهذا الرأي غير أنهم لا يتفوقون على أن للمشرف دور إيجابي في النتائج الدراسية للتلاميذ.

الكلمات المفتاحية: مفتش التربية , الأداء الوظيفي , المعلم

Abstract :

The researcher assumed a positive role for the inspector in improving the performance of teachers through his role in the preparation and planning of lessons, as well as his positive role in their implementation, as well as his role in the achievement of students. To verify this hypothesis, the researcher conducted a field study in which the questionnaire was used as a means of collecting data for a random sample of 60 teachers and primary schools in the state of Msila. The percentages and (k2) were used for the statistical processing of data.

The study found that the teachers agree that the educational supervisor has a positive role in the preparation of the lessons as well as the process of implementation within the department by the supervisor, where the differences were statistically significant at the level of significance (0.05) among the responses of the sample in favor of supporters of this opinion, but they do not agree that The supervisor has a positive role in the students' academic results.

Keywords: Inspector of Education, Career Performance, Teacher

مقدمة:

إن الارتقاء بالعملية التعليمية يتطلب الارتقاء بكل الجوانب المكونة والداعمة لها كالتدريب، والإدارة المدرسية والتوجيه المدرسي، والإشراف التربوي، والتي تتكامل في ما بينها لتحقيق أهداف المنظومة التربوية.

ويعتبر الإشراف التربوي أو ما يصطلح عليه بالتفتيش في بعض الدول ومنها الجزائر على سبيل المثال أحد الجوانب الهامة في العملية التعليمية التعلمية فهو يهدف أساسا إلى تحسين العملية التعليمية وجعلها أكثر فاعلية من خلال التفاعل مع مكوناتها الأساسية المتمثلة في المعلم والمتعلم والمتعلم والمناهج.

وتنظر التربية اليوم إلى دور المشرف التربوي على أنه ركن أساسي من أركان العملية التربوية التعليمية في أي نظام تعليمي ذلك أن عمل المشرف يرتبط مباشرة بعمل المعلم المسئول عن تربية النشء وتعليمهم. ويسهم المشرف التربوي بدوره في الإشراف على المعلم وتدريبه بما يتناسب مع متغيرات العصر ومتطلباته ومساعدته في خلق بيئة تعليمية مناسبة، وتحقيق ظروف تعلم أفضل.

وأصبح المشرف يكتسب أهمية خاصة في النظام التعليمي بحكم مسؤولياته عن تقويم العمل التربوي، والعمل على تنفيذ السياسة التعليمية وإنجاحها حيث أن المشرف التربوي يهتم بتطوير التدريس ونوعيته داخل الفصول الدراسية، من خلال تزويد المعلمين بالتوجيهات اللازمة، وتقديم يد العون لهم، وتذليل الصعوبات التي تواجههم فيما يتعلق بتحضير الدروس أو تنفيذها، وكذلك في عملية التقويم من حيث بناء الاختبارات التحصيلية بما يتناسب مع مستوى وقدرات المتعلمين بغية تحقيق أفضل النتائج الدراسية.

وتبقى الدراسات التي تناولت الإشراف التربوي ودوره في العملية التعليمية عموما، ودوره في الأداء التدريسي قليلة خاصة على المستوى المحلي في حدود علم الباحث إذا ما قورنت بالدراسات التي تناولت الإدارة المدرسية مثلا، لذا جاءت هذه الدراسة كمساهمة في هذا الجانب وللكشف عن الدور الذي يمكن أن يلعبه المشرف التربوي في تفعيل الأداء التدريسي للمعلم.

ويعد الإشراف التربوي (التفتيش) أحد العوامل الهامة والرئيسية التي لها علاقة بأداء المعلم باعتبار أن من مهام المشرف التربوي أو مفتش التربية والتعليم كما يصطلح عليه في الجزائر الإشراف على عمل المعلمين وتنميتهم مهنيًا لتحقيق أفضل أداء لديهم بما يحقق أفضل تحصيل دراسي للتلاميذ.

والدراسة التي بين أيدينا هي محاولة التعرف على الدور الذي يلعبه المشرف التربوي من خلال آراء المعلمين في تفعيل أدائهم وتنمية إنتاجيتهم.

1. إشكالية الدراسة:

يحتل الأداء الوظيفي مكانة خاصة داخل أي مؤسسة كانت اقتصادية أو تربوية أو اجتماعية باعتباره الناتج النهائي لمحصلة الأنشطة بها، وذلك على مستوى الفرد والمؤسسة والدولة. وتسعى كل مؤسسة إلى تطوير أدائها وتحسين إنتاجها مستغلة كل الإمكانيات المادية والبشرية التي تمتلكها.

ويعتبر تطوير الأداء التدريسي للمعلمين من أهم الأهداف التي تسعى المنظومات التربوية والقائمين عليها إلى تحقيقه من خلال توفير الإمكانيات وتحسين الظروف والتعامل مع كل العوامل المباشرة وغير المباشرة التي يمكن أن تؤثر في أداء المعلمين وإنتاجيتهم.

والمشرف التربوي أو مفتش التربية باعتباره المسئول المباشر على عملية الإشراف تلقى على عاتقه مسؤولية تنمية الأداء الوظيفي للمعلمين من خلال إشباع حاجاتهم المهنية ومتطلباتهم الوظيفية.

ولكي ينجح المشرف التربوي في مهمته، عليه التعرف إلى قدرات المعلمين الذين يتعامل معهم وطاقاتهم، والعمل على إبرازها وتنميتها وتوظيفها في تحسين العمليات التعليمية، ووضع أهداف قابلة للتحقيق، وعدم تجاهل حاجات المعلمين ومشكلاتهم.¹

وقد اقترح كاتز katz في مقال له عام 1972 أن للمعلمين حاجات تختلف باختلاف مراحل تطویرهم المهني. ففي المرحلة الأولى والتي اسمها مرحلة البقاء (survival stage) يحتاج المعلم إلى الفهم والطمأنة والتشجيع ثم تبدأ ما يسمى بفترة الاندماج (consolidation)، ففي هذه المرحلة ينصح بالاستفادة من خبرة المعلمين المقيمين والعمل على إيجاد فرص لتعاون المعلمين في نشاطات مختلفة. وقد يصل المعلمون إلى فترة تالية تسمى بفترة التجديد (renewal stage) وهنا يحتاج المعلمون إلى الاستثارة (stimulation) عن طريق الاجتماعات المهنية، والزيارات الصفية، والمجلات المهنية ومراكز المعلمين.²

وقد تناولت العديد من الدراسات الإشراف التربوي ودوره في الأداء الوظيفي للمعلمين، فعلى المستوى العربي:

أجرى غنيمين (2004) دراسة هدفت إلى التعرف على دور المشرف في تحسين الأداء التعليمي. لمعالي المدارس الثانوية الحكومية في منطقة جنوب الأردن كما يدرکها المعلمون، وتكونت عينة الدراسة من (948) معلما ومعلمة وأظهرت نتائج الدراسة: أن فاعلية المشرف التربوي في تحسين الأداء التعليمي للمعلمين، كما يراها المعلمون، منخفضة وغير مرضية.

وأجرى أبو شملة (2009) دراسة هدفت إلى التعرف على فاعلية بعض الأساليب الإشرافية في تحسين أداء معلمي مدارس وكالة الغوث بغزة من وجهة نظرهم وسبل وتطويرها تكونت عينة الدراسة من (120) معلما ومعلمة، وتوصلت الدراسة إلى أن فاعلية الأساليب الإشرافية في تحسين أداء معلمي وكالة الغوث كانت بدرجة عالية.

وأجرى الباحث قرساس (2016)³ دراسة هدفت إلى التعرف على أنماط الإشراف التربوي وعلاقته بكل من الأداء والرضا الوظيفي للمعلمين حيث شملت الدراسة عينة مكونة من (418) معلم ومعلمة وتوصلت إلى أن النمط الديمقراطي يحقق أفضل مستويات الأداء لدى المعلمين مقارنة بالنمط الحر والنمط التسلسلي.

وقام كل من الفريجات والقضاه (2017)⁴ بدراسة هدفت إلى التعرف على دور أساليب الإشراف التربوي في تطوير الأداء المهني للمعلمين في المدارس الثانوية في محافظة جرش من وجهة نظر المعلمين فيها، وكذلك التعرف على الفروق ذات الدلالة الإحصائية تبعا لمتغيرات الدراسة (الجنس، المؤهل العلمي، وسنوات الخبرة)، وقد تكونت عينة الدراسة من (169) معلم ومعلمة وتوصلت إلى أن دور أساليب الإشراف التربوي في تطوير الأداء المهني للمعلمين في المدارس الثانوية في محافظة جرش من وجهة نظر المعلمين كان متوسطا.

¹ صبح، باسم درويش، (2005)، تقويم التخطيط للإشراف التربوي لدى المشرفين التربويين كما يراها معلمو ومديرو المدارس الثانوية بمحافظة شمال فلسطين، رسالة ماجستير غ م، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين.

¹ إيزابيل فيفر و جين دنلاب، ترجمة محمد ديراني (1997)، الإشراف التربوي على المعلمين، الطبعة الثانية، عمان، الأردن.

³ قرساس حسين، (2016)، أنماط الإشراف التربوي وعلاقتها بالأداء والرضا الوظيفي لدى معلمي المدرسة الابتدائية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة قسنطينة 2، الجزائر.

⁴ الفريجات، هناء محمود، والقضاة، عمر عبد الرحمان، (2017)، دور أساليب الإشراف التربوي في تطوير الأداء المهني للمعلمين في المدارس الثانوية في محافظة جرش من وجهة نظر المعلمين فيها، المجلة الليبية العالمية، العدد 22.

وعلى المستوى الدولي أجرى كابوسوزغلو وبالابان (2010) KapusuzOgl & Balaban¹ دراسة هدفت إلى التعرف على أدوار مشرفي المرحلة الأساسية في تدريب المعلمين على وظائفهم، وذلك من خلال آراء المعلمين والمشرفين أنفسهم، وتكونت عينة الدراسة من (122) معلما، و (56) مشرفا، وأظهرت نتائج الدراسة أن المعلمين لا يعتقدون أنهم تلقوا دعما كافيا من المشرفين، بينما رأى المشرفون أنهم أدوا أدوارهم بشكل كبير وكبير جدا.

وأجرى كل من أنيكا وغيان وميرسي² (Anike & Gyiene & Mercy, 2015) دراسة هدفت إلى التحقق من العلاقة بين ممارسة الإشراف التعليمي وتأثيره على دور المعلم في المدارس الحكومية في نيجيريا حيث تكونت عينة الدراسة من ستة مدراء و (433) معلم، تم اختيارهم بطريقة عشوائية الدراسة وخلصت الدراسة إلى وجود علاقة طردية بين ممارسة الإشراف التربوي وبين أداء المعلمين في الصف.

وقد دفع الباحث قلة الدراسات المحلية وأهمية الدور الذي يلعبه مفتش التربية والتعليم في تحسين العملية التعليمية إلى تناول هذا الموضوع بالدراسة من خلال طرح التساؤل الرئيسي التالي:

- هل للإشراف التربوي (التفتيش) دور في تفعيل الأداء الوظيفي للمعلم من وجهة نظر المدرسين؟
وتنبثق عن هذا التساؤل تساؤلات فرعية تتمثل في:

- هل لمفتش التربية دور في تفعيل عملية تحضير المعلم للدروس من وجهة نظر المدرسين؟

- هل لمفتش التربية دور في تفعيل عملية تنفيذ المعلم للدروس داخل الصف الدراسي من وجهة نظر المدرسين؟

- هل لمفتش التربية دور في التحصيل الدراسي للتلاميذ من وجهة نظر المدرسين؟

3. فرضيات الدراسة:

الفرضية الرئيسية: لمفتش التربية دور إيجابي في تفعيل الأداء الوظيفي للمعلم من وجهة نظر المدرسين.

الفرضية الجزئية الأولى:

لمفتش التربية دور إيجابي في تفعيل عملية تحضير المعلم للدروس من وجهة نظر المدرسين.

الفرضية الجزئية الثانية:

لمفتش التربية دور إيجابي في تفعيل عملية تنفيذ المعلم للدروس داخل الصف الدراسي من وجهة نظر المدرسين.

الفرضية الجزئية الثالثة:

- لمفتش التربية دور إيجابي في التحصيل الدراسي من وجهة نظر المدرسين.

4. أهمية الدراسة: تستمد هذه الدراسة أهميتها من :

¹ KapusuzOgl, S. & Balaban, C. (2010). Roles of primary education supervisors in training candidate teachers on job European Journal of Scientific Research, 42 (1), 13-114.

² Anike, S., Eyiene, A. & Mercy, E. (2015). Instructional Supervisory Practices and Teachers' Role Effectiveness in Public Secondary Schools in Calabar South Local Government Area of Cross River State, Nigeria, Journal of Education and Practice, Vol.6, No.23, 43 - 47

- أهمية الإشراف التربوي (التفتيش) كعنصر أساسي في العملية التعليمية لا يقل أهمية عن العناصر الأخرى كالتدريس والإدارة التربوية.

- أهمية الأداء الوظيفي للمعلم لما له من تأثير في فعالية العملية التعليمية وخاصة على التحصيل الدراسي للتلاميذ كما بينته الكثير من الدراسات التي أجريت في هذا الشأن.

- أن هذه الدراسة من الدراسات المحلية القليلة في حدود علمنا التي ربطت بين عنصري الإشراف والأداء الوظيفي في الحقل التربوي.

5. أهداف الدراسة:

تتمثل الأهداف الأساسية لهذه الدراسة في:

1. الكشف عن مستوى الأداء الوظيفي للمعلمين والكشف عن جوانبه المختلفة .

2. التعرف على الدور الذي يمكن أن يلعبه المشرف التربوي او مفتش التربية والتعليم في تنمية وتحسين الأداء الوظيفي للمعلم من وجهة نظر المدرسين.

6. تحديد متغيرات الدراسة:

المشرف التربوي (مفتش التربية): ورد في معجم المصطلحات التربوية والنفسية تعريف للمشرف التربوي، حيث عرّفه شحاتة والنجار بأنه الفرد الذي له القدرة على إحداث تغيير في العملية التعليمية في المدرسة، عن طريق ممارسته للسلطة المخولة له، وهو يقضي وقتا في أداء وظائف معينة داخل المدارس¹.

وعرف رايح تركي (1990) مفتش التربية "هو مدرس خبير له من الإمكانيات العلمية والمهنية ما يؤهله للقيام بأعباء المشرف التربوي لأنه خبير في العملية التعليمية وما يحيط بها من علوم وطرائق ومضامين وتفاعلات ونتائج وغير ذلك ، فهو يملك تصورا كاملا ومدركا لأهمية الأهداف التعليمية"².

ونعرفه إجرائيا بأنه الموظف التربوي المؤهل لتقديم الخدمات الإشرافية والتوجيهية والإرشادية والتقويمية الجمعية منها والفردية لصالح المدرسين الذين ينتمون إلى المقاطعة التعليمية التي يشرف عليها.

2. الأداء الوظيفي : عرف شحاتة والنجار الأداء الوظيفي للمعلم بأنه " يشير إلى " سلوك المعلم أثناء مواقف التدريس سواء داخل الصف أو خارجه، وهو الترجمة الإجرائية لما يقوم به المعلم من أفعال أو استراتيجيات للتدريس أو إدارته للصف، أو مساهمته في الأنشطة الصفية أو غيرها من الأعمال أو الأفعال التي يمكن أن تسهم في تحقيق تقدم في تعلم الطلاب"³.

ويمكن تعريفه إجرائيا بأنه درجة قيام معلم المدرسة الابتدائية بالمهام المكلف بها والمتمثلة اساسا في عملية التدريس بجوانبها المختلفة المعبر عنها في هذه الدراسة ب:

- عملية تحضير الدروس

¹ شحاتة، حسن، والنجار، زينب، (2003). معجم المصطلحات التربوية والنفسية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة. ص242.

² تركي رايح (1974)، الإتجاه الحديث في التفتيش، مجلة همزة وصل، عدد8، الجزائر.

³ شحاتة، حسن، والنجار، زينب، (2003)، مرجع سابق. ص29.

- عملية تنفيذ الدروس أو الأداء الفعلي داخل الصف الدراسي.

- التحصيل الدراسي للتلاميذ المعبر عنه بالنتائج الدراسية

خلفية نظرية:

1. الإشراف التربوي (التفتيش التربوي):

ظهرت الإشراف التربوي (التفتيش) مفاهيم متعددة ومختلفة تبعا لاختلاف نظرة أصحابها للمشرف التربوي ولعملية الإشراف نفسها حيث ظهر تحت مسميات مختلفة فمنها التفتيش، التوجيه الفني، الإشراف الفني والإشراف التربوي.

1.1. الإشراف لغة:

الإشراف مصدر للفعل أشرف و" أشرفت عليه: اطلعت عليه من فوق¹ وقد ورد في منجد الطلاب أن "أشرف الشيء معناه على وارتفع وانتصب، و"أشرف علي: اطلع عليه من فوق و"المشرف من الأماكن هو العالي والمطل على غيره.²

2.1. الإشراف (التفتيش) اصطلاحا:

إن أول تعريف نسوقه تعريف قديم يعود إلى سنة 1931 وصادر عن دائرة ومديري التعليم في رابطة التربية القومية في الولايات المتحدة الأمريكية. وطبقا لهذا التعريف فإن الإشراف هو: "كل النشاطات التي يقوم بها مدير التعليم من أجل تحسين العملية التعليمية مثل مشاهدة الدروس وعقد اجتماعات جماعية وفردية مع المدرسين، وتطوير وتنفيذ الخطط لزيادة الفعالية في القراءة والحساب وميادين أخرى، وتنظيم وإعادة المناهج وطرق التدريب."³ وعرف جلاتورن (1997) الإشراف التربوي بأنه عبارة عن استراتيجية للنهوض بالنمو المهني للمدرسين، وذلك بتوفير تغذية راجعة لهم حول التفاعلات التي تجري في غرفة الصف، ومساعدتهم على توظيف هذه التغذية، لجعل التعليم أكثر فاعلية⁴. والمتفحص لهذا التعريف يلاحظ أنه جاء خاليا من تقييم أداء المدرس، فهو يرى أن عملية الإشراف لا بد أن تكون منفصلة عن عملية التقييم، ويرى كراج ويسكي Krag wesky (1966) عكس ذلك فهو يؤكد على أن اتقييم جزء أساسي من عملية الإشراف التربوي في قوله "الإشراف التربوي عملية إثارة دافعية المدرس وتعزيز وتقويم نموه المهني"⁵.

ويؤكد تعريف جين فرونسات (1989) Franseth jane على الديمقراطية والخدمة والتعاون فهو يرى أن الإشراف قيادة وتشجع ومشاركة جميع العاملين في المدرسة في سعي تعاوني لتحقيق أكبر البرامج المدرسية فعالية⁶.

¹ ابن منظور (1988): لسان العرب المحيط، قدمه عبد الله العلايلي، أهد بناؤه يوسف خياط، المجلد 3، دار الجيل بيروت، لبنان، ص 302 .

² فؤاد أفراد البستاني (1983): منجد الطلاب، ط 27، دار المشرق، بيروت، ص 367.

³ Goldhammer, R et al (1980), *clinical supervision*, 2nd edition, NY, McGraw, holt Rinchart and. P12. winston .

⁴ Glathorn ,A (1997) *differentiated supervision*, 2nd ed, association for supervision and curriculum development.

⁵ Krajwesky, R (1976) *clinical supervision to facilitate teacher self- development* , journal of researched development in éducation ,N° 2, vol.9

⁶ Jane Franseth (1989) ,Frances, R, *la satisfaction dans le travail et l'emploi*, paris.

3. Neagly9.,RetEvans,N,*handbookforeffectivesupervisionof instruction*, Nj ,prentice - hall Inc,1980.

كما أشار تعريف نيجليو إيفانس Evans Neaglyand إلى الطبيعة الديمقراطية للإشراف الذي يتكون من جهود ديمقراطية ديناميكية إيجابية مصممة لتحسين التعليم من خلال النمو المستمر لكل المعنيين¹. ومن الذين أكدوا على صلة الإشراف بتحسين فرص تعليم التلاميذ هاريس (1985) Harris الذي عرف الإشراف بأنه هو ما يقوم به العاملون في المدرسة لتغيير أو تعزيز المسار التعليمي بشكل يؤثر تأثيراً مباشراً على تعلم التلاميذ².

وهناك تعاريف أخرى للإشراف التربوي نوجزها فيما يلي:

عرفه تشارلز بوردمان وآخرون الإشراف التربوي بأنه المجهود الذي يبذل لاستثارة وتنسيق وتوجيه النمو المستمر للمعلمين في المدرسة، فرادى وجماعات وذلك ليفهموا وظائف التعليم فهما حسنا ويؤدونها بصورة أكثر فاعلية، حتى يصبحوا أكثر قدرة على استثارة وتوجيه النمو المستمر لكل تلميذ نحو المشاركة الذكية والعميقة في بناء المجتمع الديمقراطي الحديث³.

كما عرفته صالحه عبد الله عيسان: "الإشراف التربوي واحد من الخدمات المهنية التعليمية، يقدمها المسئولون التربويون. ويهدف إلى مساعدة المعلمين قبل وأثناء الخدمة، وإكسابهم القدرة على تنفيذ المناهج، وتوفير البيئة التعليمية المناسبة مما يزيد من كفاءة العائد التربوي، وتحقيق الأهداف التربوية للنظام التربوي"⁴

وعرف حامد محمد الأفندي الإشراف التربوي بأنه: "العملية التي من خلالها يتم النهوض بعملية التعليم والتعلم كليهما، وهذا يعني "أن نشرف هو أن ننسق وأن نحرك وأن نوجه نمو المدرسين في اتجاه يستطيعون معه، باستخدام ذكاء التلاميذ أن يحركوا نمو كل تلميذ، وأن يوجهوه إلى أغنى وأذكى مساهمة فعالة في المجتمع، وفي العالم الذي يعيشون فيه"⁵.

وكان تعريف محمد عبد الرحيم عدس وآخرون أكثر شمولاً بقوله: "هو عملية قيادية ديمقراطية منظمة، تعني بالموقف التعليمي التعليمي، بجميع عناصره من مناهج ووسائل وأساليب، وبيئة ومعلم وطالب، وتهدف دراسة العوامل المؤثرة في ذلك الموقف وتقييمها، للعمل على تحسينها وتنظيمها، من أجل تحقيق أفضل أهداف التعلم والتعليم"⁶.

ومنه فمجموع التعاريف السالفة الذكر وان اختلفت مضامينها إلا أنها تكاد تجمع على أن الإشراف التربوي عملية فنية، وقيادية، واستشارية، وإنسانية، شاملة تهدف إلى تقويم وتطوير العملية التعليمية والتربوية بكافة محاورها فهو:

- عملية فنية تهدف إلى تحسين التعليم والتعلم من خلال رعاية وتوجيه وتنشيط النمو المستمر لكل من الطالب والمعلم والمشرف وأي شخص آخر له أثر في تحسين العملية التعليمية فنياً كان أم إدارياً.

⁴Harris,B,(1985),supervisory behavior in education,3nd ed,NJ,prentice-hall,inc10.

⁵ تشارلز بوردمان وآخرون (1963، ص 38)، مرجع سابق.

⁶ 12. صالحه عبد الله يوسف عيسان (1993): واقع الإشراف التربوي للطلبة المعلمين في سلطنة عمان واتجاهات تطويره، مجلة دراسات تربوية، تصدر عن رابطة التربية الحديثة، المجلد 9، الجزء 20، العدد 60، عالم الكتب، القاهرة، ص 243.

1. صالحه عبد الله يوسف عيسان (1993): واقع الإشراف التربوي للطلبة المعلمين في سلطنة عمان واتجاهات تطويره، مجلة دراسات تربوية، تصدر عن رابطة التربية الحديثة، المجلد 9، الجزء 20، العدد 60، عالم الكتب، القاهرة، ص 243.

⁵ محمد حامد الأفندي (1976): الإشراف التربوي، عالم الكتب، الطبعة 2، القاهرة.

⁶ محمد عبد الرحيم عدس وآخرون الإدارة والإشراف التربوي، بدون طبعة ولا دار نشر، ص 67.

-عملية استشارية تقوم على احترام رأي كل من المعلمين والتلاميذ وغيرهم من المتأثرين بعملية الإشراف والمؤثرين فيه،¹ وتسعى لتهيئة فرص متكاملة لنمو كل فئة من هذه الفئات وتشجيعها على الابتكار والإبداع من ناحية والمشاركة في صناعة واتخاذ القرار من ناحية أخرى.

- عملية قيادية تتمثل في القدرة على التأثير في المعلمين والتلاميذ وغيرهم ممن لهم علاقة بالعملية التعليمية، لتنسيق جهودهم من أجل تحسين تلك العملية وتحقيق أهدافها.

- عملية إنسانية تهدف قبل كل شيء إلى الاعتراف بقيمة الفرد بصفته إنسانا لكي يتمكن من بناء صرح الثقة المتبادلة بينه وبين المعلم، ليتحكم في معرفة الطاقات الموجودة لدى كل فرد ويتعامل معه في ضوء ذلك.

- عملية شاملة تهتم بجميع العوامل المؤثرة في تحسين العملية التعليمية وتطويرها ضمن الإطار العام لأهداف التعليم في المجتمع.

2. الأداء الوظيفي:

تعني كلمة " أداء " في قاموس المنجد، إيصال الشيء إلى المرسل إليه، وعرف الأداء : بأنه " ما يصدر عن الفرد من سلوك لفظي أو مهاري وهو يستند إلى خلفية معرفية ووجدانية معينة، وهذا الأداء يكون عادة على مستوى معين يظهر منه قدرة الفرد او عدم قدرته على العمل"².

وعرفه تايلور بأنه "تحقيق أقصى إنتاجية من الفرد والآلة"³.

أما الأداء الوظيفي فيوصف بأنه "النتائج التي يحققها الموظف في المنظمة"⁴

والأداء الوظيفي يعني "قيام الفرد بالمهام والأنشطة المختلفة التي يتكون منها عمله خلال فترة محددة"⁵.

3. الأداء التدريسي:

أما الأداء التدريسي فقد عرفه العمارة بأنه "درجة قيام عضو هيئة التدريس بتنفيذ المهام التعليمية - التعليمية المناطة به وما يبذله من ممارسات وأنشطة وسلوكيات تتعلق بمهامه المختلفة تعبيراً سلوكياً"⁶.

وعرفه الفرا بأنه "وسيلة التعبير عن امتلاك المدرس للمهارات التدريسية تعبيراً سلوكياً"⁷.

¹. فؤاد أفراد البستاني(1983)، مرجع سابق

². اللقاني، احمد حسين وعلي احمد الجمل(1999)، معجم المصطلحات- التربوية المعروفة في المناهج وطرق التدريس، ، عالم الكتب، ط2، القاهرة، ص33.

³. طلال عبد الملك الشريف(2003)، مرجع سابق. ص93.

⁴. هلال محمد عبد الغني حسن(1998)، مهارات قيادة الآخرين، مركز تطوير الأداء والتنمية، القاهرة، ص12.

⁵. عاشور أحمد صقر، مهارات إدارة الأداء، مركز تطوير الأداء والتنمية، القاهرة، 1994، ص40.

⁶. العمارة، محمد حسن(2006)، تقدير أعضاء هيئة التدريس بجامعة الإسراء الخاصة بالأردن للمهام التعليمية المناطة بهم من وجهة نظر طلبتهم، مجلة العلوم التربوية والنفسية/ البحرين/ كلية التربية/ المجلد 7، العدد (3)، ص103.

⁷. الفرا، إسماعيل صالح (2004)، تقويم الأداء التدريسي اللفظي لمعلمي مرحلة التعليم الأساسي، وثيقة عمل مقدمة لمؤتمر النوعية في التعليم الجامعي الفلسطيني، جامعة القدس، ص4.

ويعرفه الباحث : كل أنواع السلوك الصادر عن المدرس والمعبر عنه بأنشطة وممارسات والتي تمكنه من أداء مهامه التعليمية والتربوية بما يحقق أهداف معدة سلفا.

4.تقييم الأداء الوظيفي

يعتبر تقييم الأداء من الأمور الهامة والرئيسية لأي مؤسسة لمعرفة مستوى الأداء الحالي لموظفيها ومحاولة تطوير وتنمية هذا الأداء مستقبلا في سبيل تحقيق الأهداف المرغوبة للمؤسسة.

ويتطلب قياس الأداء وجود معايير ومستويات محددة للأداء والأعباء الوظيفية الواجب القيام بها من طرف العامل أو الموظف.

وتعد عملية تقييم الأداء للمعلم من العوامل الرئيسة في تقييم نشاطه وتمثل المكانة الأولى في سلم الأولويات ويشمل ذلك الخطط الدراسية السنوية أو الفصلية والخطط اليومية وبما تتضمنه من محتوى دراسي يقوم المعلم بتدريسه مع جوانب الإضافة والإثراء والتطوير للمقررات أو المحتوى الدراسي الذي يقدمه، وكذلك الفعاليات والأنشطة التعليمية والتربوية التي تسهم في تحسين طرائق التدريس وزيادة فاعليتها وإمكانية استخدامه للوسائط المتعددة والتقنيات الحديثة التي تزيد من كفاءة العملية التدريس¹.

كما تعد عملية تقييم الأداء الوظيفي للمعلم المرجع الرئيس في بناء وتنفيذ برامج الإعداد والتأهيل والتطوير، وكلما كانت عملية تقييمه دقيقة وصادقة كانت مؤشراً قويا للدلالة على مدى فاعلية النظام التربوي. كما يعد توفير الأساليب العلمية المنصفة والموضوعية لتقييم الأداء الوظيفي من أهم الحاجات التربوية للمعلم، مما يضع مسؤولية كبيرة على عاتق من يقوم بإعداد تلك الأساليب وبنائها وتقييم أداء المعلم من خلالها.

فمن خلال ما سبق يمكن تحديد مفهوم تقييم الأداء الوظيفي للمعلم على أنه العملية التربوية التطويرية التي يتم من خلالها تقييم جميع الأعمال التي يقوم بها المعلم داخل غرفة الصف وخارجها ولها تأثير على تيسير وإتمام عملية التعليم، بإعطائه قيمة رقمية ووصفية، ومن ثم تعزيز الصفات الإيجابية، وتعديل السلوكات السلبية، والتغلب على المعوقات².

1.المنهج المستخدم:

تم استخدام المنهج الوصفي الذي يتناسب مع هذه الدراسة والمتمثلة في استقصاء عينة من آراء المدرسين وتحليلها.

2.عينة الدراسة :

تم اختيار عينة عشوائية حيث تم اختيار 4 مدارس ابتدائية بطريقة عشوائية من بين مجموع المدارس 22 التابعة للمقاطعة التعليمية 26 التابعة لمديرية التربية التابعة لولاية المسيلة وهو ما يمثل حوالي 19% وكان مجموع المعلمين الذين يدرسون في هذه المدارس 60 معلم ومعلمة.

¹ عبد الوهاب بن محمد النجار، أساليب تقييم أداء عضو هيئة التدريس الجامعي، الموقع: <http://www.faculty.ksu.edu.sa/aljarf>

² الشنقي، علي عبدالله سعد(2003)، تجربة تقييم الأداء الوظيفي لشاغلي الوظائف التعليمية في مدارس الهيئة الملكية للجبيل وينبع (دراسة وصفية تحليلية) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، كلية التربية، الرياض.

3. أداة الدراسة: تمثلت في مقياس مكونة من 24 مفردة مقسمة إلى ثلاثة محاور، حيث تم التأكد من خصائصها السيكمومترية من صدق وثبات وبينت النتائج معامل صدق عال نسبيا بلغ (0.91) ومعامل ثبات بلغ هو الآخر (0.82) مما سمح بتطبيقه على عينة الدراسة.

4. أساليب المعالجة الإحصائية:

تمثلت أساليب المعالجة الإحصائية في النسبة المئوية و(ك)2 للتأكد من دلالة الفروق بين إجابات أفراد العينة على بنود الاستبيان.

5. عرض ومناقشة النتائج:

1.5. النتائج المتعلقة بالفرضية الجزئية الأولى:

1.1.5. عرض النتائج:

تشير الفرضية الجزئية الأولى إلى أن لمفتش التربية دور إيجابي في فعالية تحضير المعلم للدروس حسب آراء المدرسين. والجدول رقم (1) يوضح الإجابات المتعلقة بهذه الفرضية.

جدول رقم (1) يوضح إجابات أفراد العينة على البنود المتعلقة بالمحور الأول

الدلالة	2ك	أحيانا%		لا		نعم %		البنود
		العدد %	العدد %	العدد %	العدد %			
دال**	9.7	25	15	25	15	50	30	1. يرشدني المفتش إلى أساليب التحضير الجيد للدروس.
دال**	8.4	26.7	16	26.7	16	46.7	28	2. يذكرني المفتش دائما باستعمال مصادر خارجية في التحضير غير المهجج الدراسي
دال**	9.7	20	12	28.3	17	51.7	31	3. أستفيد كثيرا من زيارات المفتش في التحضير للدروس.
غير دال	4.9	20	12	38.3	23	41.7	25	4. يرشدني المفتش إلى استخدام الوسائل الحديثة في عملية التحضير للدروس.
دال*	5.7	23.3	14	30	18	46.7	28	5. استفيد جيدا من الأيام التكوينية في التحضير الجيد للدروس.
دال**	6.2	28.3	17	21.6	13	50	30	6. يساعدي المفتش على تجاوز الصعوبات التي تعترضني أثناء التحضير للدروس.
غير دال	4.8	16.7	10	36.7	22	46.7	28	7. يرشدني المفتش إلى الاستفادة من خبرة زملائي المعلمين في التحضير
غير دال	4.8	16.7	10	36.7	22	46.7	28	8. المناقشات التي نجرها أثناء الندوات التربوية استفيد منها كثيرا في تحضير الدروس

* (دال عند مستوى 0,05) / ** (دال عند مستوى 0,01)

يتوضح من خلال الجدول رقم (1) الذي يوضح إجابات أفراد العينة على بنود المحور الأول المتعلق بفعالية تحضير المعلم للدروس مايلي:

1- أتفق 50% من أفراد العينة الستون على أن مفتش التربية يقوم بإرشاد المعلمين إلى أساليب التحضير الجيد مقابل 25% فقط أجابوا بالنفي و25% كانت إجاباتهم ب" أحيانا" حيث أن الفروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.01) لصالح الفئة التي أجابت ب "نعم" وهو ما تبينه قيمة (كا=2=9.7).

2- أكد 46.7% من أفراد العينة أن المفتش التربوي يوجههم إلى استخدام مصادر خارجية في التحضير للدروس إضافة إلى المنهاج المدرسي الرسمي. بينما أجاب 26.7% عكس ذلك و26.7% أجابوا ب " أحيانا" والفروق لها دلالة إحصائية لصالح الفئة التي أجابت ب "نعم" (كا=2=8.4). عند مستوى الدلالة (0.01).

3- أجاب 51.7% من أفراد العينة ب "نعم" على السؤال المتعلق بمدى استفادة المعلمين من الزيارات الصفية التي يقوم بها المفتش لصالحهم بينما أجاب 28.3% عكس ذلك و20% أجابوا ب " أحيانا". ونلاحظ أن الفروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (0.01) لصالح الفئة الموجبة ب "نعم" حيث أن قيمة (كا=2=9.7) أكبر من القيمة الافتراضية.

4- أكد 41.7% من أفراد العينة أن المفتش يوصي المعلمين باستعمال الوسائل الحديثة كالأترنت وغيرها في عملية التحضير للدروس بينما 38.3% نفوا ذلك و20% أجابوا ب " أحيانا". وتبين هذه النتائج ان النسبتين متقاربتين والفروق ليس لها أي دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) حيث أن قيمة (كا=2=4.9) أقل من القيمة المجدولة.

5- أجاب 46.7% من المفحوصين أنهم يستفيدون من الأيام التكوينية اثناء الخدمة في التحضير الجيد للدروس بينما أجاب 30% عكس ذلك واختار 23.3% منهم الإجابة ب" أحيانا". والفروق لها دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) لصالح المجيبين ب "نعم" وهو ما تعبر عنه قيمة (كا=2=5.7).

6- أكد 50% من الأفراد المستجوبين ان المفتش يساعدهم على تجاوز الصعوبات التي تعترضهم اثناء عملية التحضير بينما أجاب 21.3% منهم بالنفي و 28.7% قالوا بأن ذلك يحدث أحيانا. والفروق الواضحة بين إجابات المفحوصين لها دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.01) لصالح المجيبين ب "نعم" حيث كانت قيمة (كا=2=6.2).

7- أجاب 46.7% من أفراد العينة محل الدراسة بان المفتش التربوي يحثهم دائما على ضرورة الاستفادة من خبرة الزملاء في التحضير للدروس بينما أجاب 36.7% ب "لا" و 16.7% ب " أحيانا". والفروق ليس لها أي دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) حيث أن (كا=2=4.8).

8- أكد 46.7% من أفراد العينة انهم يستفيدون من المناقشات التي تتم سواء مع المفتش او مع الزملاء اثناء الندوات التربوية بينما أجاب 36.7% بالنفي و 16.7% اختاروا الإجابة ب " أحيانا". والفروق الملاحظة ليست ذات دلالة إحصائية في المستوى المقبول وهو (0.05) حيث كانت قيمة (كا=2=4.8). وهي أقل من القيمة الجدولية.

2.1.5. مناقشة النتائج:

يتبين من خلال النتائج المعروضة أعلاه ان 5 من أصل 8 بنود المشكلة للمحور الأول المتعلق بدور المفتش في فعالية تحضير المعلمين للدروس كانت الإجابات فيها ذات فروق دالة إحصائية لصالح الأفراد المجيبين ب "نعم".

وهو ما يحقق الفرضية الجزئية الأولى القائلة بوجود دور إيجابي لمفتش التربية والتعليم في تفعيل عملية التحضير للدروس من طرف المعلمين كما يراه المدرسون .

ويمكن تفسير هذه النتائج بأن المعلمين يرون أن للمفتش دور إيجابي في فعالية تحضيرهم للدروس من خلال إرشادهم إلى الأساليب الفعالة في عملية التحضير عن طريق الندوات التربوية والأيام التكوينية التي يقوم بها لصالح المعلمين بصفة دورية

أثناء الخدمة خاصة المعلمين الجدد الذين لا يملكون الخبرة الكافية في التدريس، فهم في حاجة مستمرة لتوجيهات المشرف خاصة مع بروز المناهج الجديدة وما تنطوي عليه من تعقيدات تجعل عملية التحضير أكثر صعوبة بالنسبة للمعلمين خاصة مع عدم وجود تكوين قبلي للمعلمين في بيداغوجية التدريس وتعليمية المواد وهو ما يزيد من مسئولية المفتش التربوي في مساعدة المعلمين وتقديم ما ينقصهم في هذا المجال. كما أن المشرفين التربويين، حسب آراء المعلمين، يوجهونهم إلى ضرورة الاستعانة بمصادر خارجية إذا لزم الأمر وعدم التقييد التام و الحرفي بالمناهج وهو توجه إشرافي حديث يعطي للمعلم الحرية أكثر في اختيار المضامين حسب ما يروونه مناسباً بما يتماشى مع مستوى تلاميذهم ويرى المعلمون كذلك أنهم يستفيدون بشكل جيد من الزيارات الصفية التي يقوم بها المفتشين لصالحهم بهدف إعطائهم التوجيهات والتوصيات اللازمة في عملية التدريس وهو ما يعود عليهم بالنفع والفائدة خاصة في عملية التحضير للدروس. وهو ما يؤشر كذلك على التطور الحاصل في عملية الإشراف التربوي مقارنة بالسابق أين كانت هذه الزيارات شكلية في بعض الأحيان ووسيلة لتصديد أخطاء المعلم وترهيبه أحيانا أخرى. ويرى المعلمون كذلك من خلال الإجابات المتحصل عليها أنهم يستفيدون من الأيام التكوينية التي يقوم بها المشرفون التربويون بشكل دوري لصالح المعلمين بهدف تكوينهم في جوانب النقص خاصة مع بروز المناهج الجديدة وما يعتمدها من صعوبات، وهذا ما يسهل عمل المعلم خاصة في جانب التحضير. ويرى المعلمون كذلك أن المشرفين يذلون لهم بعض العقبات التي تعترضهم في عملية التحضير سواء أثناء الندوات التربوية أو الأيام التكوينية أو خلال الزيارات الصفية، وهو ما يؤشر كذلك على أن الإشراف التربوي تجاوز مرحلة التفتيش وما تنطوي عليه من سلبيات إلى مرحلة الإشراف والتوجيه وما تتميز به من مميزات وخصائص تجعله وسيلة حقيقية لتطوير العملية التعليمية والنهوض بها. وتتفق هذه النتائج مع ما توصلت إليه دراسة كل من أنيكا وغيان وميرسي (Anike & Gyiene & Mercy 2015) و أبو شملة (2009) ودراسة الفريجات والقضاه (2017).

2.5. عرض ومناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية الجزئية الثانية: تشير الفرضية الجزئية الثانية إلى وجود دور إيجابي للمفتش التربوي في عملية تنفيذ الدروس من قبل المعلمين داخل الفصل الدراسي حسب آراء المدرسين. والجدول رقم (2) يوضح النتائج المتعلقة بهذه الفرضية.

1.2.5. عرض النتائج:

جدول رقم (2) يوضح إجابات أفراد العينة على الأسئلة المتعلقة بالمحور الثاني

**:(دال عند 0,01) / *(دال عند 0,05)

الدلالة	كا	أحيانا		لا		نعم		البنود
		النسبة	الع دد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	
غير دال	4.9	21.7	13	33.3	20	45	27	9..يساعدني المفتش على حسن إدارة الوقت.
غير دال	4.9	21.7	13	33.3	20	45	27	10.أدير الفصل الدراسي بكفاءة بفضل توجيهات المفتش
دال**	11.2	16.7	10	28.33	17	55	33	11.يساعدني المفتش على تجاوز الصعوبات التي تعترضني داخل القسم.
دال*	5.7	16.33	10	28.33	17	48.33	29	12.المناقشة التي أجريها مع المفتش بعد الزيارة ساعدتني كثيرا على تحسين أدائي التدريسي
غير دال	1.7	18.3	11	33.3	20	48.3	29	13.تقبل المفتش لأرائي ومقترحاتي شجعني على التجديد في أساليب التدريس.
دال*	5.7	18.3	11	30	18	51.6	31	14.يشجعني المفتش على استعمال الطرق الحديثة في التدريس.
دال**	13.2	13.33	08	23.33	14	63.33	38	15.يشجعني المفتش على استعمال وسائل العرض الحديثة في التدريس.
دال** 0.01	13.7	16.66	10	21.66	13	61.66	37	16.يوجهني المفتش إلى استخدام التعزيز المادي واللفضي مع التلاميذ داخل الفصل
دال*	5.7	25	15	28.33	17	46.7	28	17.يرشدني المفتش إلى الأساليب الفعالة في التعامل مع الفروق الفردية بين التلاميذ.

يتبين من الاخلال الجدول رقم (2) الذي يوضح إجابات افراد العينة على الأسئلة المتعلقة بالمحور الثالث من المقياس مايلي:

1- أجاب 45% من أفراد العينة بأن المفتش يقدم لهم المساعدة اللازمة على حسن إدارة الوقت داخل الفصل الدراسي بينما أجاب 33.3% عكس ذلك و 21.7% اجابوا ب "أحيانا". والفروق الملاحظة في إجابات المفحوصين ليس لها دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05). وهو ما تبينه قيمة (كا=2=4.9) وهي قيمة أقل من الجدولة.

2- أكد 45% من أفراد العينة أن للمفتش دور وفضل كبير في إدارتهم لفصولهم بينما أجاب 33.3% ب "لا" و 21.7% أجابوا ب "أحيانا". والفروق ليست دالة إحصائية (كا=2=4.9) عند مستوى الدلالة (0.05).

3- أجاب 55% من أفراد العينة أن المفتش يساعدهم على تجاوز الصعوبات التي تعترضهم داخل الفصل الدراسي بينما اجابت 28.33% نفس النسبة بالنفي و 16.7% أختاروا الإجابة ب "أحيانا". والملاحظ وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات افراد العينة (كا=2=11.2) عند مستوى الدلالة (0.01).

4- أكد 48.33% من المبحوثين أنهم يستفيدون بشكل جيد من المناقشة بعد الزيارات الصفية التي يقوم بها المشرف لصالحهم في عملية التحضير للدروس بينما قال 28.33% عكس ذلك و16.33% قالوا "أحيانا". والملاحظ أن الفروق لها دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) كما تبينه قيمة (كا=2=5.7) والتي هي أكبر من القيمة الجدولية.

5- اجاب 48.33% من أفراد العينة المستجوبين أن تقبل المفتش لأرائهم ومقترحاتهم شجعهم على التجديد في أساليب التدريس بينما أجاب 33.33% بالنفي و18.3% اختاروا "أحيانا". والفروق ليس لها دلالة إحصائية (كا=2=1.7). عند المستوى (0.05).

6- أجاب 51.6% من أفراد العينة أن المفتش يشجعهم على استعمال الطرق الحديثة في التدريس وقال 30% عكس ذلك و18.3% قالوا بأن ذلك يكون أحيانا. والفروق دالة إحصائية (كا=2=5.7) عند مستوى الدلالة (0.05).

7- أكد 63.3% من أفراد العينة أن المفتش يشجعهم على استعمال وسائل العرض الحديثة في التدريس بينما أجاب 23.3% عكس ذلك و13.3% اختاروا الإجابة (أحيانا). والفروق لها دلالة إحصائية (كا=2=13.2) عند مستوى الدلالة (0.01).

8- اجاب 61.66% من أفراد العينة أن المفتش يرشدهم إلى استخدام التعزيز المادي واللفظي في عملية التدريس بينما رأى 21.66% منهم عكس ذلك و16.66% اختاروا البديل الوسط (أحيانا). والفروق لها دلالة إحصائية (كا=2=13.7) عند مستوى الدلالة (0.01).

9- أكد 46.7% من العينة أن المفتش يرشدهم إلى الأساليب الفعالة في التعامل مع الفروق الفردية بين التلاميذ بينما أجاب 28.3% عكس ذلك و25% اختاروا الإجابة ب "أحيانا". والفروق لها دلالة إحصائية (كا=2=5.7) عند مستوى الدلالة (0.05).

2.2.5. مناقشة النتائج:

نلاحظ من خلال النتائج السابقة أن الفروق بين إجابات أفراد العينة على معظم البنود المكونة للمحور الثاني، عدا البنود الأول والثاني والسادس، لها دلالة إحصائية.

ومنه فالفرضية الجزئية القائلة بوجود دور إيجابي لمفتش التربية في عملية تنفيذ الدروس داخل القسم قد تحققت.

وتفسر هذه النتائج على أن المعلمين يرون أن مفتش التربية يساهم بشكل كبير في تجاوز الصعوبات التي تعترض المعلم داخل الفصل الدراسي سواء في التعامل مع المنهاج الدراسي أو التعامل مع التلاميذ ومع المشكلات التربوية التي تزداد تعقيدا يوما بعد يوم، كما يرى المعلمون المبحوثين أنهم يستفيدون بشكل جيد من المناقشات التي يجرونها مع المفتش بعد نهاية الزيارات الصفية في الأداء داخل الفصل الدراسي والتي تتمثل في الملاحظات والانتقادات التي يوجهها لهم والتوجيهات التي يقدمها لهم لتجاوز النقائص والخلل الملاحظ في الأداء داخل القسم. كما يؤكد المعلمون الذين شملتهم هذه الدراسة أن المشرفين التربويين يشجعوهم على استخدام الطرق والأساليب والوسائل الحديثة في التدريس وإلى ضرورة تجديد معارفهم وتحديثها تماشيا مع التطور العالمي الحاصل في هذا الجانب وهذا ما يسمح لهم بالإبداع والابتكار في هذه الطرق والأساليب والوسائل. ويرى هؤلاء المعلمين أيضا أن المفتشين يشجعونهم على استخدام التعزيز المادي واللفظي مع التلاميذ، كما تؤكد نظريات التعلم السلوكية منها والمعرفية، وما له من أثر في استثارة دافعية التعلم لديهم وهو ما يعود بالثر الإيجابي على الأداء التدريسي للمعلم داخل القسم. ويؤكد أفراد العينة حسب النتائج المتحصل عليها أن المشرفين التربويين يوجهونهم إلى أفضل السبل في التعامل مع الفروق الفردية بين التلاميذ التي تعتبر من المشكلات العويصة التي يعاني منها المعلمون خاصة في كيفية التعامل مع المتفوقين وضعيفي المستوى وذوي صعوبات التعلم الذين يدرسون جنبا إلى جنب في نفس الفصل الدراسي ويتعلمون نفس البرنامج وهو يشتمل منه الكثير من المعلمين مما يستدعي مساعدة المشرف على مواجهة مثل هذه المشكلات خاصة مع المعلمين المبتدئين

الدلالة	2كا	أحيانا		لا		نعم		البنود
		النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	
غير دال	0.3	31.7	19	31.7	19	36.7	22	20. النتائج الدراسية التي احققها ترجع بشكل كبير إلى مجهودات المفتش معي.
غير دال	0.0	20	12	40	24	40	24	21. مشاركة المفتش في صياغة اسئلة الامتحانات ساهم أكثر في مصداقيتها.
دال**	9.1	25	15	23.3	14	51.7	31	22. متابعة المفتش للنتائج الدراسية جعلني أبذل مجهودات أكثر لتحسينها
دال*	5.7	25	15	28.3	17	46.7	28	23. يتابع المفتش باهتمام التحصيل الدراسي للتلاميذ.
غير دال	1.3	26.7	16	35	21	38.3	23	24. اقوم بتحليل النتائج الدراسية مع المفتش بعد كل فصل دراسي.

وتتفق هذه النتائج مع ما توصلت إلي الدراسات السابقة التي أشارت إلى الدور الإيجابي للمشرف في الأداء الوظيفي للمعلم كدراسة أبو شملة (2009) ودراسة الفريجات والقضاه (2017).

3.5. النتائج المتعلقة بالفرضية الجزئية الثالثة:

1.3.5. عرض النتائج:

يتضح من الجدول اعلاه ماييلي:

1. اجاب 36.7% من أفراد العينة ان النتائج التي يحققونها مع تلاميذهم يعود الفضل فيها بشكل كبير للمفتش بينما اجاب 31.7% ب "أحيانا" وأجاب 31.7% ب "لا". والفروق كما هو واضح ليس لها دلالة إحصائية (كا=0.3) عند مستوى الدلالة (0.05).

2- أكد 40% من أفراد العينة أن مشاركة المفتش في صياغة اسئلة الامتحانات يساهم أكثر في مصداقيتها بينما كانت إجابة 40% منهم بالنفي و 20% أجابوا ب "أحيانا" والفروق منعدمة بين المؤيدين والمعارضين لهذا البند.

3- أجاب 51.7% من الأفراد المستجوبين أن متابعة المفتش للنتائج الدراسية للتلاميذ جعلهم يبذلون مجهودات لتحسينها بينما رأى 23.3% منهم عكس ذلك واختار 25% الإجابة ب "أحيانا" والفروق لها دلالة إحصائية عند المستوى (0.01) وهو ما تعبر عنه قيمة (كا=9.1).

4- اكد 46.7% من أفراد العينة أن المفتش يتابع باهتمام التحصيل الدراسي للتلاميذ بينما اجاب 28.3% بالنفي و25% اختاروا الإجابة ب "أحيانا". والفروق لها دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) حيث أن قيمة (كا=2=5.7) اكبر من الجدولية.

5- اجاب 38.3% من أفراد العينة أنهم يقومون بتحليل النتائج الدراسية مع المفتش نهاية كل فصل دراسي بينما قال 35% عكس ذلك و 26.7% اختاروا الإجابة ب " أحيانا". والفروق ليس لها دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) حيث ان قيمة (كا=2=1.3) أقل من القيمة الجدولية.

مناقشة النتائج:

يتضح من الجدول أعلاه أن لفروق بين إجابات أفراد العينة ليس لها دلالة إحصائية في اغلب البنود المكونة للمحور المتعلق بالنتائج الدراسية (3 من اصل 5 بنود).

وهذا يؤدي إلى عدم تحقق الفرضية الجزئية الثالثة القائلة بوجود دور إيجابي للمفتش في التحصيل الدراسي للتلاميذ حسب آراء المدرسين. وتتفق هذه النتائج مع ما توصلت إليه دراسة كل من غنيمين (2004) ودراسة (Kapusuzoglu & Balaban, 2010) ويمكن تفسير هذه النتائج على أن المعلمين يرون أن النتائج الدراسية التي يحققها المعلم مع تلاميذه يعود الفضل فيها للمعلم وحده دون غيره وإلى المجهودات التي يقوم بها داخل الصف الدراسي وخارجه. فرغم أن المعلمين المستجوبين يتفوقون على الدور الإيجابي للمفتش في عمليتي التحضير و تنفيذ الدروس إلا أن في النهاية يبقى المعلم هو الفاعل الرئيسي في هذه العمليات ، فبدون كفاءة ومجهودات المعلم لا يمكن تحقيق أي نتائج إيجابية مع التلاميذ مهما كانت فعالية أداء المفتش التربوي والدليل على ذلك أن المعلمين لا يحققون نفس النتائج رغم أنهم يعملون مع نفس المفتش.

استنتاج عام:

مما سبق يمكن إجمال النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة فيما يلي:

- يرى المعلمون ان لمفتش التربية والتعليم دور إيجابي في تفعيل عملية التحضير للدروس من خلال الفروق الدالة إحصائيا بين إجابات أفراد العينة عند مستوى (0.05) عموما.

- يرى المعلمون أن للمفتش دور إيجابي في تفعيل عملية تنفيذ الدروس داخل الصف الدراسي من قبل المعلم وهو ما تبينه الفروق الدالة إحصائيا بين إجابات افراد العينة عند مستوى الدلالة (0.05).

- لم يتفق المعلمون على أن للمفتش دور إيجابي في تفعيل التحصيل الدراسي للتلاميذ وهو ما تؤكدته الفروق غير الدالة إحصائيا عند المستوى (0.05).

- النتائج السابقة يمكننا من القول ان المعلمون يرون ان للمفتش دور إيجابي في تفعيل الأداء الوظيفي لدى المعلمين إلا فيما يتعلق بالتحصيل الدراسي للتلاميذ.

خاتمة:

يتبين من خلال النتائج التي تم التوصل إليها والمذكورة آنفا في هذا البحث أن لمفتش التربية والتعليم دورا محوريا في تحسين وتنمية الأداء التدريسي للمعلم من خلال التوجيهات المقدمة أثناء الزيارات الصفية التي يقوم بها المفتش لصالح المعلمين خاصة الجدد منهم وكذلك الندوات التربوية والدروس النموذجية واللقاءات الإشرافية المنعقدة اثناء السنة الدراسية

وباقى الأساليب الإشرافية الأخرى فيما يتعلق بالتخطيط والتحضير الجيد للدروس وكذلك تنفيذها بشكل فعال. ويزداد هذا الدور أهمية خاصة بالنسبة للمعلمين الجدد في ظل غياب تكوين وتدريب مسبق حيث أن أغلب هؤلاء هم من خريجي الجامعات بمختلف التخصصات الذين لم يتلقوا تكويناً متخصصاً في عملية التدريس والذين تلجأ الوزارة إلى توظيفهم كل سنة عن طريق المسابقات الخارجية لسد العجز الحاصل في تأطير العملية التعليمية خاصة مرحلة التعليم الابتدائي التي تستقطب القسط الأكبر من هؤلاء الجامعيين وهذا نتيجة قلة أعداد المعلمين المتخرجين من المدارس العليا للأساتذة التي لا تلبى حاجيات القطاع التعليمي من المعلمين وهو ما يؤثر على وجود خلل في التخطيط التربوي المتعلق بهذا الجانب الهام المتمثل في التأطير والتكوين، وتوقع الاحتياجات المستقبلية من القوى العاملة، وهو ما يزيد العبء على مفتشي التربية لحاجة هؤلاء المعلمين للتوجيه والتكوين المستمر أثناء الخدمة على مختلف مهارات التدريس التي يحتاجها المعلم للقيام بدوره على أكمل وجه.

مقترحات توصيات البحث:

على ضوء النتائج المتوصل إليها يقترح الباحث ما يلي:

1. إجراء بحث مماثل على عينة واسعة من مجتمع البحث تسمح بتعميم النتائج
2. إجراء بحوث مماثلة في هذا الموضوع في المراحل التعليمية الأخرى (المتوسط، الثانوي)
3. تسليط الضوء بشكل أفضل على دور مفتشي التربية والتعليم في العملية التعليمية.
4. الاهتمام بتكوين مفتشي التربية والتعليم على مختلف الأساليب الإشرافية
5. زيادة عدد المفتشي التربويين لتخفيف الأعباء عنهم وجعل عدد المعلمين الذين يشرف عليهم مفتش واحد مقبولاً.

قائمة المراجع:

1. ابن منظور (1988): لسان العرب المحيط، قدمه عبد الله العلايلي، أعد بناؤه يوسف خياط، المجلد 3، دار الجيل بيروت، لبنان.
2. أبو شمله، كامل عبد الفتاح، (2009) فعالية بعض الأساليب الإشرافية في تحسين أداء معلمي في مدارس وكالة الغوث بغزة من وجهة نظرهم وسبل تطويرها، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة.
3. العميرة، محمد حسن (2006)، تقدير أعضاء هيئة التدريس بجامعة الإسراء الخاصة بالأردن للمهام التعليمية المناطة بهم من وجهة نظر طلبتهم، مجلة العلوم التربوية والنفسية/البحرين/كلية التربية/المجلد 7 العدد (3).
4. الغنيم، زياد محمد، (2004)، درجة فاعلية المشرف التربوي في تحسين الأداء التعليمي لمعلمي المدارس الثانوية الحكومية في محافظات الجنوب في الأردن كما يدركها المعلمون أنفسهم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عمان العربية للدراسات العليا، عمان، الأردن.
5. الفراء، إسماعيل صالح (2004)، تقويم الأداء التدريسي اللفظي لمعلمي مرحلة التعليم الأساسي، وثيقة عمل مقدمة لمؤتمر النوعية في التعليم الجامعي الفلسطيني، جامعة القدس، ص4.
6. اللقاني، أحمد حسين وعلي أحمد الجمل (1999)، معجم المصطلحات- التربوية المعروفة في المناهج وطرق التدريس، عالم الكتب، ط2، القاهرة، ص33.

7. إيزابيل فيفر و جين دنلاب ، ترجمة محمد ديراني(1997)، الإشراف التربوي على المعلمين، الطبعة الثانية، عمان ، الأردن.
8. توكي رايح(1974) ، الإتجاه الحديث في التفتيش ،مجلة همزة وصل ، عدد8 ، الجزائر
9. حسين، قرساس(2016) ، أنماط الإشراف التربوي وفق مجال العلاقات الإنسانية وعلاقته بالأداء والرضا الوظيفي لمعلمي المدرسة الابتدائية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قسنطينة2، الجزائر.
10. طلال عبد الملك الشريف(2003): الأنماط القيادية وعلاقتها بالأداء الوظيفي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
11. محمد حامد الأفندي (1976):الإشراف التربوي ، عالم الكتب ، الطبعة 2، القاهرة .
12. محمد عبد الرحيم عدس وآخرون: الإدارة والإشراف التربوي، بدون طبعة ولا دار نشر.
13. عبد الوهاب بن محمد النجار، أساليب تقويم أداء عضو هيئة التدريس الجامعي، الموقع: <http://www.facuty.ksu.edu.sa/aljarf>
14. صالحه عبدالله يوسف عيسان(1993): واقع الإشراف التربوي للطلبة المعلمين في سلطنة عمان واتجاهات تطويره، مجلة دراسات تربوية، تصدر عن رابطة التربية الحديثة، المجلد9 ، الجزء 20 ، العدد 60 ، عالم الكتب ، القاهرة.
15. عاشور أحمد صقر، مهارات إدارة الأداء، مركز تطوير الأداء والتنمية، القاهرة، 1994.
16. فؤاد أفراد البستاني(1983): منجد الطلاب ، ط27، دار المشرق ، بيروت.
17. شحاته، حسن، والنجار، زُنب (2003) معجم المصطلحات التربوية والنفسية:الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.
18. الشنفي، علي عبدالله سعد(2003)، تجربة تقويم الأداء الوظيفي لشاغلي الوظائف التعليمية في مدارس الهيئة الملكية للجبيل وينبع (دراسة وصفية تحليلية) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، كلية التربية، الرياض.
19. هلال محمد عبد الغني حسن(1998)، مهارات قيادة الآخرين، مركز تطوير الأداء والتنمية، القاهرة.
20. Anike, S. , Eyiene, A. & Mercy, E. (2015). Instructional Supervisory Practices and Teachers' Role Effectiveness in Public Secondary Schools in Calabar South Local Government Area of Cross River State, Nigeria, Journal of Education and Practice, Vol.6, No.23.
21. Goldhammer, R et al(1980), **clinical supervision**, 2nd edition, NY, Megraw, holt Rinchart and. winston .
22. Glathorn, A(1997) **differnntiated supervision**, 2nd ed, association for supervision and curriculum development.
23. Harris, B, (1985), **supervisory behavior in education**, 3rd ed, NJ, prentice-hall, inc 10.
24. Jane Franseth, R. Frances(1989, **la satisfaction dans le travail et l'emploi**, paris.
25. Kapsuz Ogl, S. & Balaban, C. (2010). **Roles of primary education supervisors in training candidate teachers on job European**, Journal of Scientific Research, 42 (1), 13-114.

26..Krajwesky,R(1976)**clinical supervision to facilitate teacher self-developpement**, journal of researched development in education,N°.2,vol.9

27. Neagly9.,RetEvans,N,**handbookforeffectivesupervisionof instruction**, Nj, prentice- hall Inc,1980.

واقع ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية بكلية التربية جامعة الزاوية
-دراسة ميدانية على عينة من أعضاء هيئة التدريس الجامعي-
د. سمير المختار السيد كريمة / جامعة الزاوية ليبيا

The reality of the practice of social responsibility among faculty members at the Faculty of Education, Al-Zawia University

"Field study on a sample of university faculty members"

Abstract:

The study deals with the reality of the practice of social responsibility among faculty members at the Faculty of Education, Al-Zawia University, by identifying the reality of the social responsibility of faculty members towards students, university and society. And then seeks to detect the differences of statistical significance between some variables (type, age, degree) and the reality of the exercise of social responsibility among members of the university faculty. The research sample consisted of (100) members of the teaching staff. The analytical descriptive method was followed and the questionnaire was used as a data collection tool from the research sample.

The results of the study indicated that there were statistically significant differences between the average scores of the individuals in the research sample according to the variables (gender, age, degree) and the reality of practicing social responsibility among the faculty members.

keywords: What is Social Responsibility - Its Elements - Characteristics of a socially responsible person - Areas of social responsibility for a university faculty member

ملخص :

يتناول البحث واقع ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية بكلية التربية جامعة الزاوية ، وذلك من خلال التعرف على واقع ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية نحو الطلبة ، والجامعة ، والمجتمع . ثم يسعى للكشف عن الفروقات ذات دلالة إحصائية بين بعض المتغيرات (النوع ، العمر ، الدرجة العلمية) وواقع ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء هيئة التدريس الجامعي . وتكونت عينة البحث من (100) عضو من أعضاء هيئة التدريس ، وتم اتباع المنهج الوصفي التحليلي ، وأستخدم الاستبيان كأداة جمع البيانات من عينة البحث . وأشارت نتائج البحث وجود فروق دالة إحصائية بين متوسطات درجات أفراد عينة البحث بحسب متغيرات (النوع ، العمر ، الدرجة العلمية) وواقع ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية .

الكلمات المفتاحية: ماهية المسؤولية الاجتماعية، عناصرها ، صفات الشخص المسئول اجتماعيا ، مجالات المسؤولية الاجتماعية لعضو هيئة التدريس الجامعي .

مقدمة :

تعد الجامعات في قمة المؤسسات العلمية والتربوية من حيث الإعداد والبحث والتجديد ، بالإضافة إلى دورها في تعزيز مشاركة المجتمع في كافة مجالات التنمية المستدامة ، ولا تستطيع الجامعة أن تقدم تعليما متميزا ما لم تتبع سياسة التحسين والتطوير لكوادرها والعاملين فيها في المجالات المختلفة ، مما ينعكس على تحسين نوعية التعليم المقدم للطلبة ويوفر لهم بيئة تعليمية مبدعة .⁽¹⁾

وانطلاقا من كون الجامعات مؤسسات تربوية رفيعة المستوى في إعداد الكوادر المؤهلة وإعداد البحوث العلمية التي تطلبها عملية التقدم العلمي والتكنولوجي في المجتمع وتطويره ، لذلك فإن دورها يتسم بالخطورة ، من خلال مسؤولياتها في قيادة النهضة العلمية ، وتوسيع أفاق المعرفة ونشرها والتصدي للمشكلات والتحديات التي تواجه المجتمع فضلا عن التنبؤ بالتحديات المستقبلية .

وفي فهم هذه المهام الكبيرة للجامعات يبرز دور هيئة التدريس الجامعي على أنه ركيزة من ركائز الجامعة ، وقاعدة من قواعد بنائها ، نتيجة للدور الكبير الذي يلعبه في التأثير في شخصيات الطلبة وتكوينهم العلمي ، ولم يعد دورهم مجرد نقل المعرفة فقط ، بل مساهمتهم العلمية في صنع وتطوير المعرفة من خلال الاكتشافات العلمية والإبداعات الفكرية في شتى حقولها على أهمية دورها في إثراء المعرفة الإنسانية وتطويرها ، وفي معالجة مشكلات المجتمع المختلفة .⁽²⁾

ولاشك أن مسؤولية أعضاء هيئة التدريس الاجتماعية كبيرة في ظل التغيرات الديناميكية والحياتية المستمرة ، وكذلك الوضع الخاص الذي يعيشه المجتمع الليبي ، حيث أنهم مطالبون بتحمل مسؤولياتهم الاجتماعية تجاه مجتمعهم في الحرص على مقدراته ، والدفاع عن حرمانه ، والتفاعل مع مشكلاته ، وعدم التقوقع داخل أسوار الجامعة ، والاكتفاء بالتدريس . بل يجب

¹علي بن مصلح المطرفي ، دور المعلم في تنمية المسؤولية الاجتماعية لدى طلاب المرحلة الثانوية ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 2003م .

²ندى عبد باقر ، المسؤولية الاجتماعية وعلاقتها بالأداء الوظيفي لدى أعضاء هيئة التدريسيين في كلية التربية الأساسية ، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية الأساسية ، مجلة كلية التربية الأساسية ، العدد الثالث والسبعون ، 2012م ، ص 537 .

تمكن الأستاذ الجامعي من المشاركة الفاعلة والإيجابية في الارتقاء بمجتمعه وعلاج مشكلاته بوصفه محل إجماع وثقة في المجتمع .

أولاً - مشكلة البحث :

تعد المسؤولية الاجتماعية لدى أفراد المجتمع بصورة عامة والفئة المثقفة من هيئة التدريس الجامعي بصورة خاصة أمراً في غاية الأهمية من حيث التعرف على العوامل التي ترفع من مستواها أو تخفضها عند الأفراد . حيث يسعى المجتمع الليبي إلى تحقيق خطوات واسعة في البناء والتطور شأنه شأن بقية المجتمعات الأخرى ، على الرغم من المعوقات التي فرضتها الحروب والصراعات الداخلية على السلطة عليه .

ومن عناصر هذا البناء المسؤولية الاجتماعية التي تعد الركيزة الأساسية في بناء المجتمع ، وتظهر أهمية المسؤولية الاجتماعية أكثر إذا ما درب المجتمع أبناءه عليها لكي يقوموا بأدوارهم كما ينبغي . فالثروة العلمية والمعرفة الهائلة التي يمتلكها العالم المتقدم التي مكنته من تحقيق التقدم والرفاه الاجتماعي والرقى الحضاري كان للجامعات الدور الرائد منها ، فهذا الرصيد العلمي والمعرفي الضخم قد أبدعته وطورته العقول النيرة والتي كانت للجامعات دور مهم في احتضانها وصياغتها وتهيئة الظروف الملائمة لنموها وإبداعها . من هنا برزت أهمية البحث فضلاً عما تقدم من أن مسؤوليته تحقيق الأهداف التربوية التي يسعى التعليم الجامعي إلى تحقيقها تقع على عاتق هيئة التدريس الجامعي ، إذ أن عملية التعليم ترتبط ارتباطاً وثيقاً بإعداد الطلبة للمساهمة في نمو مجتمعاتهم وتطويرها .

ثانياً - أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث من خلال ما يلي :

الأهمية العلمية :

يشكل هذا البحث حافزاً لأعضاء هيئة التدريس الجامعي ، للتعرف على واقع ممارستهم للمسؤولية الاجتماعية لديهم ، و تأصيل مفهوم المسؤولية الاجتماعية لدى الهيئة التدريسية بكلية التربية الزاوية .

الأهمية العملية :

تفعيل الوظيفة الثالثة للجامعة وهي وظيفة خدمة المجتمع ، بما يفيد القائمين على أمور التعليم العالي عموماً ، والجامعات خصوصاً ، تخطيطاً وتنفيذاً بما يصب في النهاية لصالح المجتمع .

ثالثاً - أهداف البحث :

بناء على ما سبق فإن هذه الورقة البحثية تحاول التعرف على واقع ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء هيئة التدريس في كلية التربية الزاوية من خلال المحاور التالية :

- 1- التعرف على واقع ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء هيئة التدريس نحو الطلبة .
- 2- التعرف على واقع ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء هيئة التدريس نحو الجامعة .
- 3- التعرف على واقع ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء هيئة التدريس نحو المجتمع
- 4- البحث عن العلاقات الارتباطية بين بعض المتغيرات المستقلة (النوع ، العمر ، الدرجة العلمية) وواقع ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء هيئة التدريس الجامعي .

ولتحقيق هذه الأهداف قسمت الورقة البحثية إلى المحاور الرئيسية التالية :

أولاً- ماهية المسؤولية الاجتماعية وأهميتها :

أ- مفهوم المسؤولية الاجتماعية :

1- المسؤولية الاجتماعية في اللغة : " ما يكون به الإنسان مسئولاً ومطالباً عن أمور أو أفعال أتاها " .⁽¹⁾

2- المسؤولية الاجتماعية اصطلاحاً :

تعددت تعريفات المسؤولية الاجتماعية ، واختلفت باختلاف وجهات نظر واضعها واختلاف تخصصاتهم :

بأنها " تبعة أمر ولها شروط وواجبات ويتضمن مفهوم المسؤولية الاجتماعية الحقوق والواجبات " .⁽²⁾

وتعرف بأنها " مسؤولية الفرد الذاتية عن الجماعة أمام نفسه وأمام الله كما أنها الشعور بالواجب الاجتماعي والقدرة على تحمله والقيام به " .⁽³⁾

وتعرف أيضاً بأنها " مفهوم يعبر عن استجابات الفرد نحو محاولته فهم مناقشة المشكلات الاجتماعية والسياسية العامة والتعاون مع الزملاء والتشاور معهم واحترام آراءهم وبذل الجهد في سبيلهم والمحافظة على سمعة الجماعة واحترام الواجبات الجماعية " .⁽⁴⁾

- تعرف المسؤولية الاجتماعية من منظور الجامعات بأنه " التزام الجامعة قولاً وعملاً بمجموعة مبادئ وقيم من شأنها تحسين نوعية الحياة لموظفيها وطلبتها وللمجتمع المحلي وللمجتمع بأكمله . وتنفيذها من خلال وظائفها الأساسية المتمثلة بالتعليم والبحث والإدارة المؤسسية والتفاعل المجتمعي وغير ذلك " .⁽⁵⁾

- وتعرف المسؤولية الاجتماعية إجرائياً : بأنها " الالتزام الذاتي لأعضاء هيئة التدريس في كلية التربية الزاوية نحو الطلبة والجامعة والمجتمع " .

ب- أهمية إعداد الإنسان المسؤول اجتماعياً :

تمثل المسؤولية الاجتماعية حاجة ملحة ، ومطلباً مهماً في عملية إعداد الأفراد في المجتمعات المختلفة ، لتحمل واجباتهم تجاه الجماعة التي ينتمون إليها ، والمجتمع الذي يعيشون فيه ، إذ أن الارتقاء والتقدم الحضاري بالمجتمع مرتبط ارتباطاً وثيقاً بدرجة وعي الفرد بمسؤولياته الاجتماعية ، ودرجة اهتمامه للقيام بها . كما أن المسؤولية الاجتماعية تؤدي دوراً مهماً في استقرار الحياة للأفراد والمجتمعات ، حيث تعمل على صيانة نظم المجتمع وتحفظ قوانينه وحدوده من الاعتداء ، ويقوم كل فرد بواجبه ومسؤوليته نحو نفسه ونحو مجتمعه ، ويعمل ما عليه في سبيل النهوض بأمانته الملقاة على عاتقه ، حيث أن الفرد بالنسبة

¹ حميد سالم الجبوري ، المسؤولية الاجتماعية لدى أبناء الريف والمدينة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، رسالة ماجستير غير منشورة ، 1997م .

² بدرية أحمد ، العلاقة بين المسؤولية الاجتماعية ووجهة الضبط لدى طلاب الثانوية العامة ، دراسة تربوية ، جامعة القاهرة ، المجلد الرابع ، الجزء (17) ، 1989م ، ص 289 .

³ حامد زهران ، علم النفس الاجتماعي ، ط 5 ، عالم الكتب القاهرة ، 1984م ، ص 229 .

⁴ محمود زكي جابر ، وناصر علي مهدي ، دور الجامعات في تعزيز مفاهيم المسؤولية الاجتماعية لدى طلبة الأزهر وجامعة حلوان ، مؤتمر المسؤولية الاجتماعية للجامعات الفلسطينية ، جامعة القدس المفتوحة ، 2011م ، ص 45

⁵ سفيان كمال ، الشروط الداخلية لنجاح الجامعة في القيام بمسؤولياتها المجتمعية ، مؤتمر المسؤولية المجتمعية للجامعات الفلسطينية ، جامعة القدس المفتوحة ، نابلس ، 2011م ، ص 34 .

للمجتمع كالخلية بالنسبة للبدن ، فكما أن البدن لا يكون سليماً إلا إذا سلمت جميع خلاياه ، وقامت بأداء وظائفها المنوطة بها ، فكذلك المجتمع لا يكون سليماً إلا إذا سلم جميع أفرادها ، وقاموا بأداء جميع مسؤولياتهم وواجباتهم .⁽¹⁾

ثانياً - عناصر المسؤولية الاجتماعية :

حدد المختصون في المجال الاجتماعي عناصر المسؤولية الاجتماعية في ثلاثة عناصر تتكامل فيما بينها ، ويدعم كل منهما الآخر ، ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما في ظل وجود الآخر .⁽²⁾ وهذه العناصر جاءت على النحو الآتي :

1- الاهتمام : وهو يتضمن الارتباط العاطفي بالجامعة ، وحرص الفرد على سلامتها وتماسكها واستمرارها وتحقيق أهدافها ، والاهتمام له أربع مستويات وهي :

- الانفعال مع الجماعة ، ويكون بصورة آلية ، حيث يسير الفرد حالتها الانفعالية بصورة لا إرادية ، ودون اختيار أو قصد أو إدراك ذاتي .

- الانفعال بالجماعة ، ويكون بصورة إرادية حية يدرك الفرد ذاته أثناء انفعاله بالجماعة .

- التوحد مع الجماعة ، وهو شعور الفرد بالوحدة المصيرية معها ، فخيرها وخيرها وضرها وضرها

- تعقل الجماعة ، حيث تملأ الجماعة عقل الفرد وفكره وكيانه ، وتصبح موضوع نظره وتأمله ، ويوليها قدراً كبيراً من الاهتمام المتفكر ، حيث يدرسها ويحللها ويقارنها بغيرها .

2- الفهم : مسؤولية الفهم تتضمن فهم الفرد للجماعة ، وللمغزى الاجتماعي لسلوكه ، وينقسم إلى قسمين :

- فهم الفرد للجماعة : ماضيها وحاضرها ، ومعاييرها ، والأدوار المختلفة فيها ، وعاداتها واتجاهاتها ، وقيمتها ومدى تماسكها ، وتعاملها ، وتصور مستقبلها .

- فهم الفرد للأهمية الاجتماعية لسلوكه : بمعنى فهم مغزى وأثار سلوكه الشخصي والاجتماعي على الجماعة .

3- المشاركة : ويقصد بها مشاركة الفرد مع الآخرين في عمل ما يمليه الاهتمام وما يطلبه الفهم ، من أعمال تساعد الجماعة في تحقيق أهدافها ، حين يكون مؤهلاً اجتماعياً لذلك أي أنها تقوم على الاهتمام والفهم ، وهي أيضاً تتم من خلال ما تقضيه رعاية الجماعة وهدايتها وإتقان أمورها ، والمشاركة تظهر قدرة الفرد وتبرز مكانته ، والمشاركة لها ثلاثة جوانب هي :

- التقبل : أي تقبل الفرد الدور أو الأدوار الاجتماعية التي يقوم بها ، والملائمة له في إطار فهم كامل ، بحيث يؤدي هذه الأدوار في ضوء المعايير المحددة لها .

- التنفيذ : أي المشاركة المنفذة الفعالة الإيجابية ، والعمل مع الجماعة مسيراً ومنجزاً في اهتمام وحرص ما تجمع عليه من سلوك ، في حدود إمكانيات الفرد وقدراته .

- التقييم : أي المشاركة التقييمية الناقدة المصححة والموجهة في نفس الوقت .⁽³⁾

ثالثاً - صفات الشخص المسئول اجتماعياً :

استطاع (جف وأخرون Jeff) تحديد صفات الشخص المسئول اجتماعياً ، بأنه : ذلك الشخص الذي لديه الاستعداد والرغبة بأن يتقبل نتائج سلوكه وأن يكون جديراً بالثقة والاعتماد عليه من قبل الآخرين ، والشعور بالالتزام نحو أفراد جماعته ، وليس

¹ محمد عثمان نجاتي ، الحديث النبوي وعلم النفس ، دار الشروق ، بيروت ، 2002م ، ص 291 .

² مليحان معيض الثبيتي ، الجامعات نشأتها ، مفهومها ووظائفها ، مجلة التربوية ، المجلد (14) ، العدد (54) ، 2000 م ، ص 16

³ حسن حمود إبراهيم الدليبي ، قياس المسؤولية الاجتماعية لدى طلبة الجامعة في مرحلة ما بعد الحرب ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، رسالة ماجستير غير منشورة ، 1989 م .

بالضرورة أن يكون المسئول اجتماعيا قائدا في جماعته ، أو ذكائه أعلى من المتوسط ، ولكن لديه الشعور بالالتزام نحو جماعته والأخريين ويمكن الاعتماد عليه والثقة به .⁽¹⁾

وتتمثل مظاهر المسؤولية الاجتماعية في التالي :

- المسؤولية عن الوالدين والأبناء وذي القربى والمساكين وغيرهم .
- المسؤولية المهنية والإخلاص بالعمل وإنجازه وإتقانه والتفاني فيه وبذل أقصى جهد .
- المسؤولية القانونية واحترام القانون والانضباط واحترام الوعود .
- المسؤولية الأخلاقية المتمثلة بالأمانة والعفة والإيثار والتعاون والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- الاهتمام بمشكلات مجتمعه والمساعدة في حلها .
- مسؤولية الخدمة العامة والاشترك في الجمعيات الخيرية لدعمها في رعاية المحتاجين .
- مسؤولية الحفاظ على سمعة الجماعة وممتلكاتها والدفاع عنها .

يرى الباحث : أن الشعور بالمسؤولية الاجتماعية للأفراد نحو مجتمعهم يتوقف على مدى شعورهم بالانتماء والولاء إلى مجتمعهم ، وكلما زاد الشعور بالانتماء والولاء للمجتمع كلما زاد الشعور بالمسؤولية الاجتماعية نحوه . وأن الشعور بالمسؤولية الاجتماعية يدل على مدى استعداد الفرد للقيام بما يوكل إليه من مسؤوليات في المواقف المختلفة ، وأن الشخص المسئول اجتماعيا يتميز بمواصفات أهمها : الاعتماد على النفس ، والقيام بالواجبات ، والاجتهاد ، والتفاعل والتعاون مع الآخرين ، وتحمله المسؤولية عن آرائه وأفعاله .

رابعا - مجالات المسؤولية الاجتماعية لعضو هيئة التدريس الجامعي :

أن عضو هيئة التدريس الجامعي يمثل حجر الأساس في مسيرة المؤسسة الجامعية ولا يمكن لأي جامعة أن تؤدي وظائفها ، وتحقق أهدافها بفاعلية دون توافر القوى البشرية المؤهلة ، والتي من المتوقع أن تؤدي مسؤولياتها الاجتماعية إما بصورة فردية أو جماعية ، مما يجعل مؤسسات التعليم تحقق أهدافها بنجاح ، وقد ازدادت مسؤوليات عضو هيئة التدريس الجامعي في هذا العصر ، حيث لم تعد تقتصر على توصيل المعرفة ، بل تعدت ذلك إلى العمل على ترسيخ القيم ونشر المعرفة والمهارات في المجتمع .⁽²⁾

إن مسؤوليات عضو هيئة التدريس الجامعي تتشكل على أساس طبيعة مهنته التي تجعل منه رائدا لطلابه ، وأن تحقيق احتياجات الشباب الجامعي مرهون أساسا بما يتلقاه الشباب من إعداد وتدريب في المؤسسة الجامعية بما يتوافق مع تطلعاتهم المستقبلية وطموحاتهم .⁽³⁾

وصنفت المسؤولية الاجتماعية لعضو هيئة التدريس الجامعي في المجالات الآتية :

- مسؤوليته تجاه طلابه ، وتشمل التدريس والإرشاد والتوجيه والاهتمام بتشكيل اتجاهات إيجابية لديها نحو فهم المشكلات المعاصرة ، وتشكيل اتجاهات نحو تحمل المسؤولية الأخلاقية والفردية والجامعية تجاه مجتمعاتهم .

¹رشاد علي عبدا لعزير موسى ، سيكولوجية الفروق بين الجنسين ، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1987م ، ص 357 .

² لييه أبو نوار وآخرون ، الحاجة إلى التطوير المهني إلى أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات العربية ، مجلة التربية الجديدة ، عدد (51) ، 1990م ، ص 121 .

³ عمر الرشيد ، الجودة الشاملة في التعليم ، مجلة تربوية ثقافية جامعية ، جامعة الملك سعود ، 1995م ، ص 4 .

- مسؤولياته تجاه المؤسسة التي يعمل بها ، من خلال المشاركة في لجان الأنشطة ، والهيئات العلمية والمشاركة في الاجتماعات وتمثيل المؤسسة الاجتماعية في المحافل العلمية والأدبية .
- مسؤولياته تجاه المجتمع المحيط به ، وتشمل خدمة المؤسسات ذات العلاقة بالمجتمع المحلي ونشر الثقافة المجتمعية ، وتقديم الاستشارات وإجراء الدراسات والأبحاث التي تتناول قضايا تهم المجتمع أو تسهم في معالجة مشكلاته ، والإسهام في تدعيم علاقة الجامعة بمؤسسات المجتمع المحلي .
- مسؤولياته تجاه نفسه ومكانته في مهنته وتشمل سعيه نحو تطوير ذاته مهنيا من خلال الاطلاع والبحث ، فضلا عن مسؤولياته الأسرية .
- دور الجامعة في تعزيز المسؤولية الاجتماعية لدى هيئة التدريسية :
- على الرغم من كون المسؤولية الاجتماعية قيمة ذاتية تمثل رقابة ذاتية للفرد ، إلا أنها في عملية بنائها تعد نتاجا اجتماعيا يتم تعلمه من خلال المؤسسات الاجتماعية المختلفة ، ويبدأ تعلمها منذ الصغر في الأسرة باستخدام عملية التنشئة والتربية .
- وفي المراحل التالية يتم اكتساب المسؤولية الاجتماعية من خلال التعليم في مؤسسات المجتمع المختلفة وبالتالي فهي قابلة للتعديل والإصلاح .
- إن تعزيز المسؤولية الاجتماعية وتنميتها لا يحدث من فراغ ، وإنما يتم في المؤسسات الاجتماعية وبالتحديد المؤسسات التعليمية⁽¹⁾.
- وتبرز أهمية المؤسسة الاجتماعية في دعم أدوار عضو التدريس الجامعي ومسؤولياته من خلال توظيف المقترحات الآتية :⁽²⁾
- تشجيع الأعمال البحثية والتطويرية المشتركة بين الأكاديميين والاقتصاديين والتربويين على اعتبار أن الجامعات ومؤسسات التعليم العالي الحاضنة الأساسية للبحث العلمي .
- عقد الندوات والمؤتمرات العلمية والتربوية والإنسانية على المستوى المحلي والمشاركة في الفعاليات السابقة على المستوى الإقليمي والعالمي .
- عقد لقاءات دورية بين العاملين في الجامعات للاطلاع على المستجدات والمتغيرات الدولية بهدف التحسين والتطوير المستمر لأداء أعضاء هيئة التدريس في مجال التعامل مع الطلبة وخدمة المجتمع .
- التركيز على الدور الأخلاقي لجميع العاملين في الجامعة عن طريق ترسيخ قيم تحمل المسؤولية والالتزام والعدل والمحاسبة والمشاركة الجماعية .
- تشكيل وحدات لضمان جودة التعليم في الجامعة تتولى مهمة تعزيز المسؤولية الاجتماعية من خلال الخطط الاستراتيجية للجامعات ، ومن ناحية أخرى تسعى الوحدة إلى تنسيق الجهود لدعم أدوار أعضاء هيئة التدريس ومسؤولياتهم .
- العمل على تعزيز مكانة الأستاذ الجامعي من خلال الدعم المادي والمعنوي فضلا عن التأكيد على مجال تحمل المسؤوليات الاجتماعية تجاه الطالب والجامعة والمجتمع .

¹ أشرف محمد شريت ، برنامج مقترح باستخدام الأنشطة التربوية لتنمية سلوك المسؤولية الاجتماعية لدى أطفال ما قبل المدرسة ، مجلة دراسات عربية في علم النفس ، العدد الثالث ، المجلد الثاني ، 2003م ، ص 100 .

² سهيلة الفتلاوي ، الجودة في التعليم ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2008م ، ص 195 .

خامسا - الدراسات السابقة ذات العلاقة بالمسؤولية الاجتماعية :

1- دراسة زايد بن عجير الحارثي ، و واقع المسؤولية الشخصية الاجتماعية لدى الشباب السعودي وسبل تنميتها ، الرياض ، 2014م .⁽¹⁾

هدفت الدراسة التعرف على واقع الشخصية الاجتماعية لدى الشباب السعودي وسبل تنميتها ، وقد تم تطبيق مقياس المسؤولية الاجتماعية على عينة متنوعة من فئات مختلفة من أبناء المجتمع السعودي ، وقد شمل ذلك أطباء ومعلمين وعسكريين وموظفين ، حيث بلغت عينة الدراسة (600) فرد ، وهم جميعا من الذكور ، وأستخدم المنهج الوصفي التحليلي ، كما تم استخدام استمارة استبيان كأداة جمع البيانات من عينة الدراسة .

وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

- توجد علاقة موجبة بين متغير العمر والمستوى التعليمي لأفراد العينة وبين المسؤولية الاجتماعية وأبعادها
- توجد فروق دالة إحصائية بين متغير النوع والمسؤولية الاجتماعية ولصالح أفراد العينة الذكور

2- دراسة إسلام عصام هلولو ، دور الجامعات الفلسطينية في خدمة المجتمع في ضوء مسؤوليتها الاجتماعية من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية ، فلسطين ، 2013م .⁽²⁾

هدفت الدراسة إلى التعرف على دور الجامعات الفلسطينية في خدمة المجتمع المحلي في ضوء مسؤوليتها الاجتماعية من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية ، وتكون مجتمع الدراسة من أعضاء هيئة التدريس المثبتين في جامعة الأقصى الحكومية ، وقد بلغ حجم مجتمع البحث (388) عضو هيئة التدريس ، وباستخدام أسلوب العينة الطبقية تم توزيع (158) استبانة على عينة الدراسة بنسبة 83% ، ولتحقيق هدف الدراسة تم إتباع المنهج الوصفي التحليلي ، وتم تصميم استبانة مكونة من (87) فقرة ، بحيث تغطي متغيرات الدراسة

وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

- دور الجامعة في خدمة المجتمع في ضوء مسؤوليتها الاجتماعية من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية جاءت بدرجة منخفضة .

- عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) حول دور الجامعة في خدمة المجتمع في ضوء مسؤوليتها الاجتماعية تعزى للمتغيرات (النوع ، العمر ، وسنوات الخدمة ، ومكان العمل) .

3- دراسة فايز كمال شلدان وسمية مصطفى صايمة ، المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية وسبل تفعيلها ، فلسطين ، 2014م .⁽³⁾

¹ زايد بن عجير الحارثي ، واقع المسؤولية الشخصية الاجتماعية لدى الشباب السعودي وسبل تنميتها ، رسالة ماجستير ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، 2014م .

² إسلام عصام هلولو ، دور الجامعات الفلسطينية في خدمة المجتمع في ضوء مسؤوليتها الاجتماعية من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية ، فلسطين ، 2013م .

³ فايز كمال شلدان وسمية مصطفى صايمة ، المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة الإسلامية وسبل تفعيلها ، المجلة العربية لضمان جودة التعليم الجامعي ، المجلد السابع ، العدد (18) ، 2014م ، ص 152 .

هدفت الدراسة إلى التعرف على المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية وسبل تفعيلها ، وشملت عينة الدراسة على (135) من أعضاء هيئة التدريس من أصل مجتمع الدراسة المكون من (410) ، ولتحقيق هدف الدراسة أستخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي ، وبإعداد استبانة شملت 50 فقرة ، تم بواسطتها جمع البيانات من عينة الدراسة .

وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

- أن المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء هيئة التدريس في الجامعة جاءت بدرجة كبيرة بنسبة 79.58% .
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير (النوع ، والعمر) والمسؤولية الاجتماعية .
- توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لدرجة العلمية والمسؤولية الاجتماعية ولصالح الأستاذ .

سادسا - الإجراءات المنهجية في الدراسة الميدانية :

1- مجتمع البحث : تكون مجتمع البحث من جميع أعضاء هيئة التدريس بكلية التربية الزاوية البالغ عددهم (196) للعام الجامعي 2018م - 2019م .

جدول (1) يبين عدد أعضاء هيئة لتدريس بكلية التربية الزاوية حسب إحصائية 2018 - 2019م .

ر.م	القسم	عدد أعضاء هيئة التدريس الذكور	عدد أعضاء هيئة التدريس الإناث	المجموع	طريقة اختيار العينة
1	علم الاجتماع	3	10	13	$7 = 51 \times 100 / 13$
2	الجغرافيا	9	7	16	$8 = 51 \times 100 / 16$
3	الكيمياء	3	7	10	$5 = 51 \times 100 / 10$
4	التاريخ	4	7	11	$6 = 51 \times 100 / 11$
5	الرياضيات	0	13	13	$7 = 51 \times 100 / 13$
6	الفيزياء	1	5	6	$3 = 51 \times 100 / 6$
7	حاسوب	4	1	5	$2 = 51 \times 100 / 5$
8	اللغة الإنجليزية	4	18	22	$11 = 51 \times 100 / 22$
9	اللغة العربية	6	21	27	$14 = 51 \times 100 / 27$
10	الدراسات الإسلامية	6	6	12	$6 = 51 \times 100 / 12$
11	الأحياء	4	12	16	$8 = 51 \times 100 / 16$
12	التربية وعلم النفس	16	29	45	$23 = 51 \times 100 / 45$
	المجموع			196	حجم العينة = 100

2- عينة البحث :

أ- العينة الاستطلاعية : تكونت من (30) عضوا من أعضاء هيئة التدريس في كلية التربية الزاوية ، وذلك لتقنين أداة البحث من خلال الصدق والثبات بالطرق المناسبة .

ب- العينة الأصلية للبحث : تكونت عينة البحث من (100) عضو من أعضاء هيئة التدريس بكلية التربية الزاوية بنسبة (51%) من المجتمع الكلي ، تم اختيارهم بطريقة طبقية نسبية .

الخصائص العامة للعينة البحث :

جدول (2) يبين توزيع أفراد عينة البحث حسب النوع

النسبة المئوية	التكرار	النوع
20.0	20	ذكر
80.0	80	أنثى
100.0	100	المجموع

من خلال الجدول (2) نلاحظ أن نسبة 80.0% من مجموع أفراد العينة هن من الإناث ، ونسبة 20.0% من مجموع أفراد العينة من الذكور .

جدول (3) يبين توزيع أفراد عينة البحث حسب العمر

النسبة المئوية	التكرار	العمر
30.0	30	45-35
70.0	70	56-46
100.0	100	المجموع

من خلال الجدول (3) نلاحظ أن نسبة 70.0% من مجموع أفراد العينة يتراوح أعمارهم ما بين 46-56 سنة ، ونسبة 30.0% من مجموع أفراد العينة يتراوح أعمارهم ما بين 35-45 سنة .

جدول (4) يبين توزيع أفراد عينة البحث حسب الدرجة العلمية

النسبة المئوية	التكرار	الدرجة العلمية
60.0	60	محاضر مساعد
30.0	30	محاضر
10.0	10	أستاذ مساعد
100.0	100	المجموع

من خلال الجدول (4) نلاحظ أن نسبة 60.0% من مجموع أفراد العينة درجتهم العلمية محاضر مساعد ، ونسبة 30.0% من مجموع أفراد العينة درجتهم العلمية محاضر ، ونسبة 10.0% درجتهم العلمية أستاذ مساعد .

3- حدود البحث :

أ- الحدود النظرية :

يستند البحث في تفسيره للمسؤولية الاجتماعية إلى ما ذهب إليه (آدلر Adler) والتي ترى أن الفرد لا يمكن أن يعيش حياته بأمان وهو خارج نطاق الجماعة، وهذا يتطلب منه أن يشعر كل فرد من أفراد المجتمع أنه جزء مهم ، ومن خلال هذا الشعور المتبادل تتحقق مسؤوليته أمام مجتمعه ومسؤولية المجتمع في رعاية أبنائه .

ب- الحدود المنهجية :

يعد المسح الاجتماعي من أكثر الطرق تماشياً وملائمة واستخداماً لهذا النوع من الدراسات الوصفية ، إذ يتيح هذا المسح القدرة على جمع أكبر قدر من البيانات الميدانية عن الموضوع أو الظاهرة المراد دراستها . كما أن الباحثين عادة ما يلجئون إلى إجراء مسح بالعينة للمجتمع الأصلي للبحث ، للخروج بنتائج يمكن أن تفيد في فهم صحيح للظاهرة المدروسة .

4- أداة البحث : بعد الاطلاع على الأدب السوسيولوجي والدراسات السابقة ، تم بناء استبيان وفقاً للخطوات الآتية :

1- تحديد أبعاد الرئيسية للاستبيان .

2- صياغة فقرات الاستبيان حسب انتمائه لكل بعد .

أ- صدق وثبات الأداة :

1- أعد الاستبيان بصورته الأولية ، وتم عرضه على مجموعة من المحكمين والبالغ عددهم (5) محكمين متخصصين في مجال المعرفة ، وتم إجراء التعديلات اللازمة من حيث جذف أو إضافة أو تعديل ، فأصبح عدد فقرات الاستبيان بعد التعديل (30) فقرة موزعة على ثلاث أبعاد (المسؤولية الاجتماعية لأعضاء هيئة التدريس نحو الطلبة - المسؤولية الاجتماعية لأعضاء هيئة التدريس نحو الجامعة - المسؤولية الاجتماعية لأعضاء هيئة التدريس نحو المجتمع) ، علماً بأن بدائل الإجابة عن فقراته تنحصر في (دائماً - أحياناً - أبداً) .

2- تم القيام بحساب صدق الاتساق الداخلي باستخدام مصفوفة الارتباط البسيط بيرسون .

جدول (5) ارتباط أبعاد الاستبيان بالدرجة الكلية

الارتباط	عدد الفقرات	الأبعاد
**0.971	10	المسؤولية الاجتماعية لأعضاء هيئة التدريس نحو الطلبة
**0.960	10	المسؤولية الاجتماعية لأعضاء هيئة التدريس نحو الجامعة
**0.970	10	المسؤولية الاجتماعية لأعضاء هيئة التدريس نحو المجتمع
**0.989	30	المسؤولية الاجتماعية لأعضاء هيئة التدريس ككل

يتضح من الجدول السابق أن جميع قيم معاملات ارتباط بيرسون بين درجات كل بعد من أبعاد الاستبيان والدرجة الكلية كانت دالة إحصائياً عند مستوى (0.01) الأمر الذي يؤكد صدق الاتساق الداخلي لكل بعد بالدرجة الكلية للاستبيان ، ومن ثم الوثوق فيه للاستخدام والتطبيق .

ب- حساب ثبات الاستبيان باستخدام اختبار ألفا كرو نباخ .

جدول (6) معامل ثبات الاستبيان باستخدام طريقة ألفا كرو نباخ للأبعاد والدرجة الكلية

الأبعاد	عدد الفقرات	معامل الثبات
المسؤولية الاجتماعية لأعضاء هيئة التدريس نحو الطلبة	10	0.946
المسؤولية الاجتماعية لأعضاء هيئة التدريس نحو الجامعة	10	0.955
المسؤولية الاجتماعية لأعضاء هيئة التدريس نحو المجتمع	10	0.977
المسؤولية الاجتماعية لأعضاء هيئة التدريس ككل	30	0.989

يتضح من الجدول (6) أن جميع قيم معاملات الثبات عالية ، حيث تراوحت قيم معاملات الثبات في محاور الاستبيان بين (0.946-0.977) ، وبلغ معامل الثبات الكلي (0.989) ، وتشير هذه القيم العالية من معاملات الثبات إلى صلاحية الاستبيان للتطبيق وإمكانية الاعتماد على نتائجها والوثوق بها .

سابعاً - تحليل البيانات وتفسيرها :

1- ما واقع ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية نحو الطلبة ؟

جدول (7) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وترتيب الفقرات حسب أهميتها والدرجة في بعد واقع ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية نحو الطلبة

ر . م	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	الدرجة
1	تعتمد أسلوب الحوار وتبادل الآراء مع الطلبة	2.30	0.785	7	متوسطة
2	تجنب الألفاظ القاسية والنظرات الصارمة	2.50	0.674	4	عالية
3	تعتذر عند صدور أي خطأ أو تقصير منك	2.40	0.667	5	عالية
4	توفر البيئة المناسبة والمريحة خلال المحاضرة	2.40	0.667	5	عالية
5	تخصص وقتاً للطلبة بهدف الاستماع لاستفساراتهم ومشكلاتهم	2.50	0.674	4	عالية
6	تعتقد أن بناء علاقات إيجابية مع الطلبة هو الأفضل	2.60	0.667	2	عالية
7	تقدم الدعم النفسي المطلوب لحالات الطلبة الإنسانية	2.50	0.674	4	عالية
8	توفر أنشطة صفية تساعد الطلبة على التعبير عن أنفسهم	2.65	0.575	1	عالية
9	تدعم الأنشطة الصفية التي تعزز قيم التعاون والعمل الجماعي	2.35	0.730	6	عالية
10	تربط بين المحتوى التعليمي بقضايا الطلبة الاجتماعية	2.55	0.592	3	عالية

يتضح من بيانات الواردة بالجدول السابق أن أعلى فقرة في هذا البعد كانت : الفقرة (8) والتي نصت على (توفر أنشطة صفية تساعد الطلبة على التعبير عن أنفسهم) احتلت المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (2.65) وانحراف المعياري (0.575) وجاءت

بدرجة عالية . يرجع ذلك إلى وعي أعضاء هيئة التدريس بأهمية الحوار والمناقشات الشفوية التي تتم في المحاضرة أو خارجها، وعدم تقيدهم بتدريس المقررات الدراسية التي تخلوا أحيانا من تلك الأنشطة . وكذلك لحرصهم على وجود علاقات طيبة بينهم وبين الطلبة مما ييسر سبل التعاون فيما بينهم ، كما أن التنافس بين أعضاء هيئة التدريس يتطلب مهارة عالية في اكتساب محبة الطلبة لهم ورضاهم عنهم ، وكذلك وعي أعضاء هيئة التدريس واهتمامهم بالكرامة الإنسانية ومراعاة مشاعر الطلبة وأحاسيسهم ، كما أن الأنظمة والقوانين الجامعية لا تسمح لأعضاء هيئة التدريس بإهانة أي طالب أو إذلاله أو حتى التقليل من شأنه ، وتحثهم على تعزيز العلاقات الإنسانية الجيدة بينهم وبين الطلبة .

وأن أدنى فقرة في هذا البعد كانت : الفقرة (1) والتي نصت على (تعتمد أسلوب الحوار وتبادل الآراء مع الطلبة) بمتوسط الحسابي (2.30) وانحراف المعياري (0.785) .

2- ما واقع ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية نحو الجامعة ؟

جدول (8) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وترتيب الفقرات حسب أهميتها والدرجة في بعد واقع ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية نحو الجامعة

الدرجة	الترتيب	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الفقرات	ر. م
عالية	5	0.674	2.50	تبذل قصارى جهدك لإنجاز الأعمال والمهام	1
عالية	3	0.667	2.60	تشعر بالضيق إذا تأخرت في إنجاز أي عمل	2
عالية	2	0.575	2.65	تتعامل مع المسئولين بروح الاحترام والتقدير	3
عالية	5	0.674	2.50	تعتمد أسلوب التعاون والمشاركة مع زملائك	4
عالية	2	0.575	2.65	تساعد زملائك عند طلبهم المساعدة منك	5
عالية	4	0.592	2.55	تعمل مع زملائك في المهام المشتركة بروح الفريق	6
عالية	1	0.539	2.75	تعتذر عند صدور خطأ أو تقصير من طرفك	7
عالية	3	0.667	2.60	تقدم النصيحة لزملائك بشكل مناسب	8
عالية	5	0.674	2.50	تحرص على عدم التدخل في شؤون الآخرين	9
عالية	1	0.539	2.75	تشعر بالانتماء للمؤسسة والاعتزاز لكونك أحد العاملين فيها	10

يتضح من بيانات الواردة بالجدول السابق أن أعلى فقرتين في هذا البعد كانت : الفقرة (7-10) والتي نصت على (تعتذر عند صدور خطأ أو تقصير من طرفك - تشعر بالانتماء للمؤسسة والاعتزاز لكونك أحد العاملين فيها) احتلت المرتبة الأولى بنفس

متوسط حسابي (2.75) وانحراف المعياري (0.539) جاءت بدرجة عالية . يرجع ذلك لحرص أعضاء هيئة التدريس على وجود علاقات إنسانية جيدة بينهم وبين المسئولين قائمة على الاحترام والتقدير وتبادل الآراء المختلفة ، ولإدراكهم بأهمية العلاقات الإنسانية في الارتقاء بأي مؤسسة لجودة إنتاجها وتحسينها ، كما أن اجتماعات الإدارة العليا المستمرة بأعضاء هيئة التدريس والتعرف على مشكلاتهم والمساهمة في علاجها يعزز المعاملة الإيجابية بينهم ، كما أنهم يستشعرون لمسئولياتهم نحو جامعتهم والسرعة في إنجاز الأعمال ، كما أن متابعة الإدارة العليا لأعمال أعضاء هيئة التدريس مستمرة من خلال المراسلات الورقية أو البريد الإلكتروني ، كذلك ارتباط الأعمال بجدول زمني يحدد عملية الانتهاء منها .

وأن أدنى فقرات في هذا البعد كانت: الفقرات (1-4-9) والتي نصت على (تبذل قصارى جهدك لإنجاز الأعمال والمهام - تعتمد أسلوب التعاون والمشاركة مع زملائك - تحرص على عدم التدخل في شؤون الآخرين) بمتوسط الحسابي (2.50) وانحراف المعياري (0.674) .

3-ما و اقع ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية نحو المجتمع ؟

جدول (9) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وترتيب الفقرات حسب أهميتها والدرجة في بعد واقع ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية نحو المجتمع

الدرجة	الترتيب	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الفقرات	ر م
عالية	4	0.674	2.50	تشعر أن لك دورا في خدمة المجتمع	1
عالية	3	0.667	2.60	تسهم في مجال العضوية في جمعيات خيرية وثقافية	2
عالية	5	0.744	2.45	تشارك في أنشطة الجمعيات والمؤسسات الثقافية	3
عالية	2	0.575	2.65	تبادر بالتعاون مع أفراد المجتمع ومؤسساته	4
عالية	4	0.674	2.50	تسهم بشكل شخصي بأعمال تطوعية في خدمة المجتمع	5
عالية	6	0.804	2.40	تهتم بالمشاركة في إحياء المناسبات الوطنية	6
عالية	2	0.575	2.65	تساهم بالتبرعات المادية للمحتاجين حسب استطاعتك	7
عالية	1	0.539	2.75	تجتهد في محاربة العادات والتقاليد السلبية في المجتمع	8
عالية	3	0.667	2.60	تقدم محاضرات وندوات تسهم في رفع مستوى الوعي للمجتمع	9
عالية	4	0.674	2.50	تستجيب للدعوات التي توجهها مؤسسات المجتمع	10

يتضح من بيانات الواردة بالجدول السابق أن أعلى فقرة في هذا البعد كانت : الفقرة (8) والتي نصت على (تجتهد في محاربة العادات والتقاليد السلبية في المجتمع) احتلت المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (2.75) وانحراف المعياري (0.539) وجاءت بدرجة عالية . ويرجع ذلك إلى أن استشعار أعضاء هيئة التدريس بأهمية الدور المجتمعي شعور فطري ينسجم مع كون الإنسان كائن اجتماعي بطبعه ، كما أن الثقافة المجتمعية السائدة تعزز التماسك والتلاحم الاجتماعي في ظل الأوضاع الصعبة التي يعيشها المجتمع الليبي ، مما يدفع جميع فئات المجتمع وعلى رأسهم النخبة المثقفة وأساتذة الجامعات إلى إدراك دورهم ومسئوليتهم في خدمة المجتمع والمساهمة في تلبية حاجاته .

وأن أدنى فقرة في هذا البعد كانت : الفقرة (6) والتي نصت على (تهتم بالمشاركة في إحياء المناسبات الوطنية) بمتوسط الحسابي (2.40) وانحراف المعياري (0.804) .

جدول (10) يبين المتوسط الحسابي وترتيب أبعاد واقع ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية حسب أهميتها لدى أفراد عينة البحث

الترتيب	المتوسط الحسابي	أبعاد استبيان واقع ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية	ر. م
3	24.75	المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية نحو الطلبة	1
1	26.05	المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية نحو الجامعة	2
2	25.60	المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية نحو المجتمع	3

يبين الجدول (10) ترتيب أبعاد الاستبيان حسب أهميتها لدى أفراد عينة البحث وفقاً للمتوسط الحسابي، حيث جاءت في المرتبة الأولى المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية نحو الجامعة بمتوسط الحسابي (26.05)، بينما جاءت المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية نحو المجتمع في المرتبة الثانية بمتوسط الحسابي (25.60)، وفي المرتبة الثالثة جاءت المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية نحو الطلبة بمتوسط حسابي (24.75). يعزو الباحث ذلك إلى أن هذا الترتيب منطقي باعتبار أن المسؤولية الاجتماعية لأعضاء هيئة التدريس تجاه الجامعة تأتي ضمن المهمة الأولى التي ينطلق منها إلى خدمة الطالب وخدمة المجتمع، وهي من الأدوار الأساسية التي أنشئت لأجلها الجامعات وتشمل التعليم، وخدمة المجتمع، والبحث العلمي، فإذا حقق أعضاء هيئة التدريس المسؤولية الاجتماعية تجاه الجامعة بشكل سليم، تحققت بالتالي المسؤولية الاجتماعية تجاه الطلبة وتجاه المجتمع.

وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (فايز كمال شلطان وسمية مصطفى صايمة، 2014م) والتي ترى بأن المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء هيئة التدريس في الجامعة جاءت بدرجة كبيرة بنسبة 79.58%. مما يدل على ممارسة أعضاء هيئة التدريس للمسؤولية الاجتماعية جاءت بدرجة عالية مما يؤكد وعي أعضاء هيئة التدريس وحرصهم الشديد بما يستشعرون به من مسؤولية تجاه الجامعة وتجاه الطلبة وتجاه المجتمع. وهذا ما أكدته نظرية (أدلر) والتي ترى أن الفرد لا يمكن أن يعيش حياته بأمان وهو خارج نطاق الجماعة، وهذا يتطلب منه أن يشعر كل فرد من أفراد المجتمع أنه جزء مهم، ومن خلال هذا الشعور المتبادل تتحقق المسؤولية أمام مجتمعه ومسؤولية المجتمع في رعاية أبنائه.

4- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) بين بعض المتغيرات (النوع - العمر - الدرجة العلمية) في درجة ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية؟

جدول (11) يبين التوصيف الإحصائي لأفراد عينة البحث لاختبار دلالة الفروق بين متوسطات فئات متغير النوع ودرجة ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية.

الأبعاد	النوع	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	مستوى الدلالة
المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية نحو الطلبة	ذكر	20	30.0000	.00000	4.463	.000
	أنثى	80	23.4375	6.55038	8.961	.000
المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية نحو الجامعة	ذكر	20	30.0000	.00000	3.585	.000
	أنثى	80	25.0625	6.13631	7.197	.000
المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية نحو المجتمع	ذكر	20	30.0000	.00000	3.730	.000
	أنثى	80	24.5000	6.56997	7.488	.000
المقياس ككل	ذكر	20	90.0000	.00000	3.958	.000
	أنثى	80	73.0000	19.13642	7.946	.000

من الجدول (11) تبين لنا أن مجموع أفراد عينة البحث الذكور سجلوا متوسطا حسابيا (90.0000) ، أكبر من أفراد عينة البحث الإناث (73.0000) والمسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية وأبعادها لصالح أفراد العينة الذكور.

ويتضح من الجدول (11) أن قيمة اختبار (ت)، وهي قيمة معنوية عند مستوى دلالة (0.05)، حيث بلغت قيمة احتمال الخطأ المثبتة إزاءها (0.000)، هذا يشير إلى وجود فروق دالة إحصائية بين متوسطات درجات أفراد عينة البحث بحسب متغير النوع والمسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية وأبعادها، وبما أن قيمة احتمال الخطأ أقل من مستوى الدلالة فإننا نرفض الفرض الصفري ونقبل الفرض البديل الذي ينص على وجود فروق دالة إحصائية بين متغير النوع والمسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية وأبعادها ولصالح الذكور. وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (زايد بن عجير الحارثي، 2014م) والتي ترى بوجود فروق دالة إحصائية بين متغير النوع والمسؤولية الاجتماعية ولصالح أفراد العينة الذكور. وتختلف مع دراسة (إسلام عصام هلولو، 2013م) والتي ترى بعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) حول دور الجامعة في خدمة المجتمع في ضوء مسؤوليتها الاجتماعية تعزى لمتغير النوع. وتختلف مع دراسة (فايز كمال شلدان وسمية مصطفى صايمة، 2014م) والتي ترى بعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير النوع والمسؤولية الاجتماعية ويرجع ذلك أن هناك تباين لدى أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة في درجة ممارستهم لمسؤوليتهم الاجتماعية تجاه الطلبة والجامعة والمجتمع، فأعضاء هيئة التدريس الذكور أكثر تقيداً بالتعليمات التي تصدر عن الإدارة العليا من أعضاء هيئة التدريس الإناث. جدول (12) يبين معامل الارتباط البسيط بين متغير (العمر) وواقع ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية وأبعادها.

المتغير	المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية نحو الطلبة	المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية نحو الجامعة	المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية نحو المجتمع	المقياس ككل
العمر	**0.672	**0.728	**0.707	**0.711

** معامل الارتباط معنوي عند مستوى معنوية 0.01.

تشير نتائج البحث وجود علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين متغير العمر وممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية وأبعادها. بمعنى أنه كلما زاد العمر زادت المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية وأبعادها. وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (زايد بن عجير الحارثي، 2014م) والتي ترى بوجود فروق دالة إحصائية بين متغير العمر وممارسة المسؤولية الاجتماعية. وتختلف مع دراسة (إسلام عصام هلولو، 2013م) والتي ترى بعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) حول دور الجامعة في خدمة المجتمع في ضوء مسؤوليتها الاجتماعية تعزى لمتغير العمر. وتختلف مع دراسة (فايز كمال شلدان وسمية مصطفى صايمة، 2014م) والتي ترى بعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير العمر والمسؤولية الاجتماعية.

جدول (13) يبين التوصيف الإحصائي لمتغير الدرجة العلمية وواقع ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية وأبعادها

الأبعاد	الدرجة العلمية	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية نحو الطلبة	محاضر مساعد	60	11.0000	1.05409
	محاضر	30	20.0000	1.76166
	أستاذ مساعد	10	29.4167	1.33139
	المجموع	100	24.7500	6.41868
المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية نحو الجامعة	محاضر مساعد	60	12.5000	2.63523
	محاضر	30	22.6667	2.53708
	أستاذ مساعد	10	30.0000	.00000
	المجموع	100	26.0500	5.82987
المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية نحو المجتمع	محاضر مساعد	60	11.5000	1.58114
	محاضر	30	21.5000	2.73861
	أستاذ مساعد	10	30.0000	.00000
	المجموع	100	25.6000	6.27163
المقياس ككل	محاضر مساعد	60	35.0000	5.27046
	محاضر	30	64.1667	6.95842
	أستاذ مساعد	10	89.4167	1.33139
	المجموع	100	76.4000	18.41003

من الجدول (13) يتضح أن أفراد عينة البحث الذين درجاتهم العلمية أستاذ مساعد سجلوا أعلى متوسط حسابي (89.4167) على مقياس واقع المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية وأبعادها ، في حين أن أقل متوسط حسابي سجل لأفراد عينة البحث الذين درجاتهم العلمية محاضر مساعد (35.0000) .

جدول (14) يبين تحليل التباين الأحادي (أنوفا) تبعا للدرجة العلمية وواقعة ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية.

الأبعاد	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة (F)	مستوى الدلالة
المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية نحو الطلبة	بين المجاميع	3874.167	2	1937.083	918.438	.000
	داخل المجاميع	204.583	97	2.109		
	المجموع الكلي	4078.750	99			
المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية نحو الجامعة	بين المجاميع	3115.583	2	1557.792	606.445	.000
	داخل المجاميع	249.167	97	2.569		
	المجموع الكلي	3364.750	99			
المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية نحو المجتمع	بين المجاميع	3654.000	2	1827.000	738.413	.000
	داخل المجاميع	240.000	97	2.474		
	المجموع الكلي	3894.000	99			
المقياس ككل	بين المجاميع	31795.250	2	15897.625	876.799	.000
	داخل المجاميع	1758.750	97	18.131		
	المجموع الكلي	33554.000	99			

يبين الجدول (14) أن قيمة اختبار تحليل التباين الأحادي (ف) بلغت (876.799) وهي قيمة معنوية عند مستوى دلالة (0.05) ، حيث بلغت قيمة احتمال الخطأ المثبتة إزاءها (0.000) ، وهذا يشير إلى وجود فروق معنوية بين مختلف فئات الدرجة العلمية على مقياس واقع ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية وأبعادها ، وبما أن قيمة احتمال الخطأ أقل من مستوى الدلالة ، فإننا نرفض الفرضية الصفرية ونقبل الفرضية البديلة ، التي تنص على وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الدرجة العلمية ومقياس واقع ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية وأبعادها .

جدول (15) يبين أقل فرق معنوي لمتغير الدرجة العلمية على مقياس واقع ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية.

الدرجة العلمية (I)	الدرجة العلمية (J)	الفرق بين المتوسطين (I-J)	الخطأ المعياري	مستوى الدلالة
محاضر مساعد	محاضر	-25.25000*	.95214	.000
	أستاذ مساعد	-54.41667*	1.45442	.000
محاضر	محاضر مساعد	25.25000*	.95214	.000
	أستاذ مساعد	-29.16667*	1.55484	.000
أستاذ مساعد	محاضر مساعد	54.41667*	1.45442	.000
	محاضر	29.16667*	1.55484	.000

يبين الجدول (15) وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين الفئة الأولى (محاضر مساعد) والفئة الثانية (أستاذ مساعد) لصالح الفئة الثانية أستاذ مساعد ، وبما أن الفروق سالبة فهذا يعني أن أفراد عينة البحث الذين درجاتهم العلمية أستاذ مساعد لديهم مسؤولية كبيرة تجاه الطلبة والجامعة والمجتمع أكثر من أفراد العينة الذين درجاتهم العلمية محاضر ومحاضر مساعد . وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (فايز كمال شلدان وسمية مصطفى صايمة ، 2014م) والتي ترى وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الدرجة العلمية والمسؤولية الاجتماعية ولصالح الأستاذ . يعزو الباحث ذلك إلى أنه كلما تقدم عضو هيئة التدريس وارتقى في السلم الأكاديمي تعمقت صلته بالمؤسسة من خلال الأبحاث والتعاون مع دوائر الجامعة المختلفة ، مثل البحث العلمي ووحدة الجودة ، ومرافق الجامعة الأخرى ، فهذا يجعل عضو هيئة التدريس أكثر تقديراً لدور الجامعة ومسؤوليته تجاهها . أما على صعيد المجتمع فقد وصل الأستاذ المساعد إلى مرحلة تجاوز فيها مرحلة التدريس فقط وأصبح يبحث في قضايا المجتمع ومشكلاته والعمل على تحسينها وتنمية المجتمع من خلال أبحاث ودراسات علمية ، وهو يستشعر المسؤولية تجاه المجتمع أكثر من الرتب الأكاديمية الأدنى ، كما أن توقعات المجتمع مع الأستاذ المساعد أكبر من عضو هيئة التدريس الأدنى فالأدنى ، وهذا يدفعه لضرورة المشاركة في شتى المجالات التي ترتقي بمجتمعه ، وتقلل من مشكلاته .

عرض النتائج:

1- تشير نتائج البحث أن أفراد عينة البحث يرون أن ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية نحو الجامعة جاءت في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (26.05) حيث نجد أن أعلى فقرتين في هذا البعد كانت: الفقرة (7-10) والتي نصت على (تعذر عند صدور خطأ أو تقصير من طرفك - تشعر بالانتماء للمؤسسة والاعتزاز لكونك أحد العاملين فيها) احتلت المرتبة الأولى بنفس متوسط حسابي (2.75) وانحراف المعياري (0.539) جاءت بدرجة عالية، وفي المرتبة الثانية جاءت ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية نحو المجتمع بمتوسط حسابي (25.60) حيث نجد أن أعلى فقرة في هذا البعد كانت: الفقرة (8) والتي نصت على (تجتهد في محاربة العادات والتقاليد السلبية في المجتمع) احتلت المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (2.75) وانحراف المعياري (0.539) وجاءت بدرجة عالية، وفي المرتبة الثالثة جاءت ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى

أعضاء الهيئة التدريسية نحو الطلبة بمتوسط حسابي (24.75) حيث نجد أن أعلى فقرة في هذا البعد كانت: الفقرة (8) والتي نصت على (توفر أنشطة صفية تساعد الطلبة على التعبير عن أنفسهم) احتلت المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (2.65) وانحراف المعياري (0.575) وجاءت بدرجة عالية.

2- أكدت نتائج البحث بوجود فروق دالة إحصائية بين متوسطات درجات أفراد عينة البحث بحسب متغير النوع وممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية وأبعادها لصالح أفراد العينة الذكور، وبما أن قيمة احتمال الخطأ أقل من مستوى الدلالة فإننا نرفض الفرض الصفري ونقبل الفرض البديل الذي ينص على وجود فروق دالة إحصائية بين متغير النوع وممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية وأبعادها.

3- أوضحت نتائج البحث وجود علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين متغير العمر وممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية وأبعادها. بمعنى أنه كلما زاد العمر زادت ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية وأبعادها.

4- بينت نتائج البحث وجود فروق معنوية ذات دلالة إحصائية بين مختلف فئات الدرجة العلمية ومقياس واقعية ممارسة المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية وأبعادها. وعند المقارنة بين الفئة الأولى (محاضر مساعد) والفئة الثانية (أستاذ مساعد) كانت لصالح الفئة الثانية أستاذ مساعد، وبما أن الفروق سالبة فهذا يعني أن أفراد عينة البحث الذين درجاتهم العلمية أستاذ مساعد لديهم مسؤولية أكبر تجاه الطلبة والجامعة والمجتمع أكثر من أفراد العينة الذين درجاتهم العلمية محاضر ومحاضر مساعد.

التوصيات:

- 1- ضرورة عمل دورات تدريبية لأعضاء هيئة التدريس لتفعيل المسؤولية الاجتماعية في حياتهم.
- 2- فتح مراكز داخل الجامعة تهتم بالتواصل بين أعضاء هيئة التدريس وأفراد المجتمع.
- 3- أن تقوم الجامعة بإعداد برامج وآليات توجه أعضاء هيئة التدريس نحو مسؤولياتهم.
- 4- تكريم أعضاء هيئة التدريس الذين يتفاعلون مع قضايا المجتمع ومشكلاته.
- 5- تشجيع البحوث والدراسات المشتركة بين أعضاء هيئة التدريس والموجهة نحو المجتمع.
- 6- أن يؤخذ العمل التطوعي بعين الاعتبار في تقييم أعضاء هيئة التدريس.

قائمة المراجع:

- 1- أشرف محمد شريت، برنامج مقترح باستخدام الأنشطة التربوية لتنمية سلوك المسؤولية الاجتماعية لدى أطفال ما قبل المدرسة، مجلة دراسات عربية في علم النفس، العدد الثالث، المجلد الثاني، 2003م.
- 2- إسلام عصام هلولو، دور الجامعات الفلسطينية في خدمة المجتمع في ضوء مسؤوليتها الاجتماعية من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية، فلسطين، 2013م.
- 3- بدوية أحمد، العلاقة بين المسؤولية الاجتماعية ووجهة الضبط لدى طلاب الثانوية العامة، دراسة تربوية، جامعة القاهرة، المجلد الرابع، الجزء (17)، 1989م.
- 4- حميد سالم الجبوري، المسؤولية الاجتماعية لدى أبناء الريف والمدينة، جامعة بغداد، كلية الآداب، رسالة ماجستير غير منشورة، 1997م.

- 5- حامد زهران ، علم النفس الاجتماعي ، ط 5 ، عالم الكتب القاهرة ، 1984م .
- 6- حسن حمود إبراهيم الدليبي ، قياس المسؤولية الاجتماعية لدى طلبة الجامعة في مرحلة ما بعد الحرب ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، رسالة ماجستير غير منشورة ، 1989م .
- 7- رشاد علي عبدا لعزیز موسى ، سيكولوجية الفروق بين الجنسين ، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1987م .
- 8- زايد بن عجیر الحارثي ، واقع المسؤولية الشخصية الاجتماعية لدى الشباب السعودي وسبل تنميتها ، رسالة ماجستير ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، 2014م .
- 9- سفيان كمال ، الشروط الداخلية لنجاح الجامعة في القيام بمسؤولياتها المجتمعية ، مؤتمر المسؤولية المجتمعية للجامعات الفلسطينية ، جامعة القدس المفتوحة ، نابلس ، 2011م .
- 10- سهيلة الفتلاوي ، الجودة في التعليم ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2008م .
- 11- علي بن مصلح المطرفي ، دور المعلم في تنمية المسؤولية الاجتماعية لدى طلاب المرحلة الثانوية ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 2003م .
- 12- عمر الرشيد ، الجودة الشاملة في التعليم ، مجلة تربية ثقافية جامعية ، جامعة الملك سعود ، 1995م .
- 13- فايز كمال شلطان وسمية مصطفى صايمة ، المسؤولية الاجتماعية لدى أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة الإسلامية وسبل تفعيلها ، المجلة العربية لضمان جودة التعليم الجامعي ، المجلد السابع ، العدد (18) ، 2014م .
- 14- ليبة أبو نوار وآخرون ، الحاجة إلى التطوير المهني إلى أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات العربية ، مجلة التربية الجديدة ، عدد (51) ، 1990م .
- 15- محمود زكي جابر ، وناصر علي مهدي ، دور الجامعات في تعزيز مفاهيم المسؤولية الاجتماعية لدى طلبة الأزهر وجامعة حلوان ، مؤتمر المسؤولية الاجتماعية للجامعات الفلسطينية ، جامعة القدس المفتوحة ، 2011م .
- 16- محمد عثمان نجاتي ، الحديث النبوي وعلم النفس ، دار الشروق ، بيروت ، 2002م .
- 17- مليحان معيض الثبيتي ، الجامعات نشأتها ، مفهومها وظائفها ، مجلة التربية ، المجلد (14) ، العدد (54) ، 2000م .
- 18- ندى عبد باقر ، المسؤولية الاجتماعية وعلاقتها بالأداء الوظيفي لدى أعضاء هيئة التدريسيين في كلية التربية الأساسية ، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية الأساسية ، مجلة كلية التربية الأساسية ، العدد الثالث والسبعون ، 2012م .

الفساد الرياضي وتأثيره على الجانب الاقتصادي للدول وسبل محاربه

La corruption dans le sport et son impact sur le côté économique des pays et les moyens de le combattre

د. مسعودي الطاهر/جامعة الجلفة

د. غيدي عبد القادر/جامعة المسيلة

157

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى توضيح قضايا الفساد في الرياضة العالمية، ويظهر الفساد على أشكال مختلفة مثل التلاعب في نتائج المباريات، استخدام المنشطات، وغيرها. ويعود الفساد إلى الاهتمام الذي تجذبه الرياضات من المستوى الأول علما أنه عدد اللاعبين النشطين في العالم يقدر بحوالي 800 مليون إلى 1.2 مليار شخص، (جامعة هارفرد في العام 2014)، ولكن السبب الأبرز للفساد هو ارتباط الرياضات بالمبالغ المالية الضخمة. ويقول التقرير الذي أعده مركز هارفرد، أن للرياضة تأثيراً اقتصادياً ضخماً على الدول، وفي الحالات القصوى يمكنها أن تشكل 2.5 إلى 3.5 من إجمالي الناتج المحلي للدول. قد أخذنا عدة أدوات للكشف عن آراء اللاعبين وبعض الإحصائيين في أثر هذا الفساد على مردوديتهم و على الجانب الاقتصادي للدول عامة، حيث تم وجود دلالة إحصائية بين المتغيرات مما دل على أن للفساد علاقة بتدهور الاقتصاد. الكلمات الدالة: قضايا الفساد في الرياضة العالمية. التلاعب في نتائج المباريات، ارتباط الرياضات بالمبالغ المالية.

Résumé:

Cette étude vise à clarifier les problèmes de la corruption dans le sport mondial et à mettre en évidence des formes de corruption telles que le trucage de matchs, le dopage, etc. La corruption est due à l'attention portée aux sports de première classe, avec environ 800 millions à 1,2 milliard de joueurs actifs dans le monde (Université de Harvard en 2014), mais la principale cause de la corruption est l'association du sport à des coûts considérables.

Le rapport, préparé par le "Harvard Centre", indique que le sport a un impact économique énorme sur les pays. Nous avons plusieurs outils pour révéler les opinions des joueurs et des statisticiens sur l'impact de cette corruption sur leur retour et sur l'économie de la population.

Où il y avait une signification statistique parmi les variables indiquant que la corruption était liée à la détérioration de l'économie

Mots-clés: Problèmes de corruption dans le sport mondial. anipuler les résultats des matchs. Lier le sport avec de l'argent.

مقدمة :

منذ مطلع القرن العشرين وبعد اختراع كرة القدم اللعبة الشعبية الأولى في العالم وتأثر الناس بها وعشقهم لهذه اللعبة، كانت منطلقنا العربية لها نصيب كبير من كرة القدم، وبدأت الأندية تنشأ في أرجاء الوطن العربي، وكانت فكرة إنشاء أندية رياضية في الوطن العربي هي فكرة للمحتلين الأجانب وكان الغرض منها الترويج عن جنودها، ومن ثم دخلت اللعبة الشعبية الأولى إلى الوطن العربي وتأثر بها الشعب العربي كثيرًا وظهرت أندية عديدة في الوطن العربي بداية من أندية مصر والسعودية والجزائر والسودان وتونس والمغرب والعراق وسوريا وغيرها من الدول العربية وأصبحت تنظم دورات خاصة بكل منطقة وتم بناء العديد من الأندية العريقة في الوطن العربي وأصبح عدد الأندية في الوطن العربي عدد كبير جدًا.

هنا بدأ يلعب الفساد الرياضي دورًا كبيرًا، حيث أرادت الحكومات أن تكون هذه الأندية تابعة لها لإلهاء الشعوب ويصبح الدعم الحكومي لهذه الأندية الغرض منه هو فرض وصاية على الشعوب، وأصبحت الحكومات تميل إلى أندية بعينها وترك باقي الأندية دون رعاية ملموسة، وأصبحت الموارد المالية في الاتحادات والأندية تخضع لأشخاص ولا يكون هناك أي رقيب أو حسيب عليها وأصبحت الأموال تهدر بشكل عجيب وغريب وأعمال سمسارة وغيرها للأسف أموال الدول العربية حاليًا تهدر في شراء اللاعبين الأجانب بطريقة لم يسبق لها مثيل، ولو تم تسخير هذه الأموال للنهوض بالمستوى التعليمي والعلمي والثقافي داخل دولنا العربية لظهرت أجيال تحقق أشياء تؤثر في العالم ككل، وأفرخ الوطن العربي الكثير والكثير من العلماء والرياضيين وغيرهم من أصحاب الفكر الراقى، والأمر الملفت والغريب أيضًا تجد التصارع في كل دولنا العربية دائر بين أندية الحكومة وهي الأندية التي تجد تدعم كبير من الجهات الحكومية وتلقى رعاية لم يسبق لها مثيل في أي دولة وتجد دائما الحكومات أيضًا تغض الطرف عن الأموال المهذرة داخل الأندية الكبيرة ولا تجد من يحاسب هذه الإدارات عن الهدر الكبير في الأموال، وكأنّ الدولة ملك للأندية وليست ملك للشعب الموجود بالدولة، والغريب والعجيب أيضًا أصبح الشعب العربي مهمش بطريقة تدعو للقلق الشديد على مستقبل هذه الأمة، فهناك أخطاء تحقيق بالأمة الإسلامية فالدول الأخرى قد حققت المزيد من التقدم في كافة المجالات العلمية والصناعية والتجارية وأصبحت تهتم بالرياضة بشكل كبير نظرًا لأنها وصلت إلى قمة التقدم في كل شيء.

وتجد المسئولين داخل الأندية يتصرفون في إيرادات الأندية والدعم من الشركات الراعية وغيرها وكأنهم يتصرفون في أموالهم الخاصة، بدون رقيب ولا حسيب مما جعلها عرضة للاستغلال والسرقة.

1-أهداف البحث :

-توضيح المعنى الحقيقي للفساد عامة و الفساد الرياضي خاصة.

-إبراز أهم نتائج الفساد وانعكاساته على تدهور الاقتصاد الوطني.

توضيح أثار و نتائج التلاعب بالمباريات الرياضية.

-إبراز علاقة الفساد بالجانب الاجتماعي و الأمن.

-المحور الأول :

تعتبر ظاهرة الفساد والفساد الإداري والمالي بصورة خاصة ظاهرة عالمية شديدة الانتشار ذات جذور عميقة تأخذ إبعاداً واسعة تتداخل فيها عوامل مختلفة يصعب التمييز بينها، وتختلف درجة شموليتها من مجتمع إلى آخر. إذ حظيت ظاهرة الفساد

في الآونة الأخيرة باهتمام الباحثين في مختلف الاختصاصات كالاقتصاد والقانون وعلم السياسة والاجتماع، كذلك تم تعريفه وفقاً لبعض المنظمات العالمية حتى أضحى ظاهرة لا يكاد يخلو مجتمع أو نظام سياسي منها.¹

وهنا نسلط الضوء على مفهوم الفساد، مظهره، أسبابه والآثار والانعكاسات المؤثرة ثم نعرض على تجربة العراق في الفساد الإداري محاولين تسليط الضوء على خصائص وإبعاد هذه التجربة والآثار السلبية الناتجة عنها ثم نأتي إلى وضع أبرز الحلول والمعالجات الموضوعية للحد من تأثير هذه الظاهرة على المجتمعات البشرية.

والفساد من حيث مظهره يشمل أنواع عدة منها:

1-1- الفساد السياسي: ويتعلق بمجمل الانحرافات المالية ومخالفات القواعد والأحكام التي تنظم عمل النسق السياسي (المؤسسات السياسية) في الدولة. ومع أن هناك فارق جوهري بين المجتمعات التي تنتهج أنظمتها السياسية أساليب الديمقراطية وتوسيع المشاركة، وبين الدول التي يكون فيها الحكم شمولياً ودكتاتورياً، لكن العوامل المشتركة لانتشار الفساد في كلا النوعين من الأنظمة تتمثل في نسق الحكم الفاسد (غير الممثل لعموم الأفراد في المجتمع وغير الخاضع للمساءلة الفعالة من قبلهم) وتتمثل مظاهر الفساد السياسي في: الحكم الشمولي الفاسد، وفقدان الديمقراطية، وفقدان المشاركة، وفساد الحكام وسيطرة نظام حكم الدولة على الاقتصاد وتفشي المحسوبية.

1-2- الفساد المالي: ويتمثل بمجمل الانحرافات المالية ومخالفة القواعد والأحكام المالية التي تنظم سير العمل الإداري والمالي في الدولة ومؤسساتها ومخالفات التعليمات الخاصة بأجهزة الرقابة المالية كالجهاز المركزي للرقابة المالية المختص بفحص ومراقبة حسابات وأموال الحكومة والهيئات والمؤسسات العامة والشركات، ويمكن ملاحظة مظاهر الفساد المالي في: الرشاوي والاختلاس والتهرب الضريبي وتخصيص الأراضي والمحابة والمحسوبية في التعيينات الوظيفية.²

1-3- الفساد الإداري: ويتعلق بمظاهر الفساد والانحرافات الإدارية والوظيفية أو التنظيمية وتلك المخالفات التي تصدر عن الموظف العام أثناء تأديته لمهام وظيفته في منظومة التشريعات والقوانين والضوابط ومنظومة القيم الفردية التي لا ترقى للإصلاح وسد الفراغ لتطوير التشريعات والقوانين التي تغتنم الفرصة للاستفادة من الثغرات بدل الضغط على صناعات القرار والمشرعين لمراجعتها وتحديثها باستمرار، وهنا تتمثل مظاهر الفساد الإداري في: عدم احترام أوقات ومواعيد العمل في الحضور والانصراف أو تضييع الوقت في قراءة الصحف واستقبال الزوار، والامتناع عن أداء العمل أو التراخي والتكاسل وعدم تحمل المسؤولية وإفشاء أسرار الوظيفة والخروج عن العمل الجماعي.³

والواقع إن مظاهر الفساد الإداري متعددة ومتداخلة وغالباً ما يكون انتشار احدها سبباً مساعداً على انتشار بعض المظاهر الأخرى.

1-4- الفساد الأخلاقي: والمتمثل بمجمل الانحرافات الأخلاقية والسلوكية المتعلقة بسلوك الموظف الشخصي وتصرفاته. كالقيام بإعمال مخلة بالحياة في أماكن العمل أو أن يجمع بين الوظيفة وأعمال أخرى خارجية دون إذن أدارته، أو أن يستغل

1- محمد محفوظ، 2006، في معنى الاستقرار السياسي، صحيفة الرياض، العدد 19، السعودية، ص 121

2- محمد محفوظ، 2006، في معنى الاستقرار السياسي، صحيفة الرياض، العدد 19، السعودية، ص 126

03- لصفار، فاضل (2008)، الحرية السياسية دراسة مقارنة في المعالم والضمانات، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، ط1، بيروت، ص 73

السلطة لتحقيق مآرب شخصية له على حساب المصلحة العامة أو أن يمارس المحسوبية بشكلها الاجتماعي الذي يسمى (المحاباة الشخصية) دون النظر إلى اعتبارات الكفاءة والجدارة.¹

2-1- أسباب الفساد وانعكاساته:

للفساد أسباب وانعكاسات عديدة يمكن ملاحظتها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، على أن هذا لا يعني أن الفساد مقتصر على وجود هذه العوامل الثلاث ولكن لأغراض البحث العلمي ولأهمية هذه العوامل في بنية وتكوين المجتمع يمكن رصد هذه الأسباب.

ففيما يتعلق بالجوانب والأسباب السياسية الملازمة لظاهرة الفساد، يمكن القول أن عوامل مختلفة تقف وراء شيوع هذه الظاهرة تتناغم في شدتها ودرجتها طردياً مع تنامي ظاهرة الفساد منها عدم وجود نظام سياسي فعال يستند إلى مبدأ فصل السلطات وتوزيعها بشكل انبسط أي غياب دولة المؤسسات السياسية والقانونية والدستورية وعند هذا المستوى تظهر حالة غياب الحافز الذاتي لمحاربة الفساد في ظل غياب دولة المؤسسات وسلطة القانون والتشريعات تحت وطأة التهديد بالقتل والاختطاف والتهميش والإقصاء الوظيفي. وهناك عامل آخر يتعلق بمدى ضعف الممارسة الديمقراطية وحرية المشاركة الذي يمكن أن يسهم في تفشي ظاهرة الفساد الإداري والمالي ذلك أن شيوع حالة الاستبداد السياسي والدكتاتورية في العديد من البلدان يسهم بشكل مباشر في تنامي هذه الظاهرة وعندها يفتقد النظام السياسي أو المؤسسة السياسية شرعيتها في السلطة وتصبح قراراتها متسلطة بعيدة عن الشفافية، فضلاً عن حرية نشاط مؤسسات المجتمع المدني.²

كما يمكن لظاهرة الفساد أن تأخذ مداها وتبلغ مستوياتها في ظل عدم استقلالية القضاء وهو أمر مرتبط أيضاً بمبدأ الفصل بين السلطات إذ يلاحظ في معظم البلدان المتقدمة والديمقراطية استقلالية القضاء عن عمل وأداء النظام السياسي وهو ما يعطي أبعاداً أوسع فعالية للحكومة أو النظام السياسي تتمثل بالحكم الصالح والرشيد، فاستقلالية القضاء مبدأ ضروري وهام يستمد أهميته من وجود سلطة قضائية مستقلة نزيهة تمارس عملها بشكل عادل وتمتلك سلطة رادعة تمارسها على عموم المجتمع دون تمييز. وهنا فإن السلطة الرادعة هذه تعتبر من أهم مقومات عمل السلطة القضائية لتأخذ دورها في إشاعة العدل والمساواة بين أفراد المجتمع.

هناك عامل آخر يمكن أن يسهم في تفشي ظاهرة الفساد تتمثل بقلّة الوعي (الوعي السياسي) وعدم معرفة الآليات والنظم الإدارية التي تتم من خلالها ممارسة السلطة. وهو أمر يتعلق بعامل الخبرة والكفاءة لإدارة شؤون الدولة.

يضاف إلى تلك العوامل والأسباب السياسية المتعلقة بظاهرة الفساد عوامل أخرى اقتصادية منها: غياب الفعالية الاقتصادية في الدولة ذلك أن أغلب العمليات الاقتصادية هي عبارة عن صفقات تجارية مشبوهة أو ناتجة عن عمليات سمسرة يحتل الفساد المالي فيها حيزاً واسعاً، وهو ما سينعكس بصورة أو بأخرى على مستوى وبنية الاقتصاد الوطني، إذ ستؤثر هذه العمليات على مدى سير عملية تنفيذ المشاريع وبالتالي على عملية الإنتاج.

من جهة أخرى، أن مستوى الجهل والتخلف والبطالة يشكل عامل حاسم في تفشي ظاهرة الفساد ذلك أن قلة الوعي الحضاري ظلت ملازمة أو ملتزمة بالرشوة. كما أن ضعف الأجور والرواتب تتناسب طردياً مع ازدياد ظاهرة الفساد.

04- محمد محفوظ، (2016 أفريل)، في معنى الاستقرار السياسي، صحيفة الرياض، العدد 19، السعودية، ص 135

05- الصفار فاضل (2008)، الحرية السياسية دراسة مقارنة في المعالم والضمانات، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، ط1، بيروت، ص 74

ومن خلال هذه العوامل والأسباب الاقتصادية المباشرة وغير المباشرة لظاهرة الفساد، يمكن رصد بعض الآثار الاقتصادية المتعلقة بتلك الظاهرة عموماً منها:

- يساهم الفساد في تدني كفاءة الاستثمار العام وأضعاف مستوى الجودة في البنية التحتية العامة وذلك بسبب الرشاوى التي تحد من الموارد المخصصة للاستثمار وتسيء توجيهها أو تزيد من كلفتها.

- للفساد أثر مباشر في حجم ونوعية موارد الاستثمار الأجنبي، ففي الوقت الذي تسعى فيه البلدان النامية إلى استقطاب موارد الاستثمار الأجنبي لما تنطوي عليه هذه الاستثمارات من إمكانات نقل المهارات والتكنولوجيا، فقد أثبتت الدراسات أن الفساد يضعف هذه التدفقات الاستثمارية وقد يعطلها مما يمكن أن يسهم في تدني إنتاجية الضرائب وبالتالي تراجع مؤشرات التنمية البشرية خاصةً فيما يتعلق بمؤشرات التعليم والصحة.

- يرتبط الفساد بتدني حالة توزيع الدخل والثروة، من خلال استغلال أصحاب النفوذ لمواقعهم المميزة في المجتمع وفي النظام السياسي، مما يتيح لهم الاستئثار بالجانب الأكبر من المنافع الاقتصادية التي يقدمها النظام بالإضافة إلى قدرتهم على مراكمة الأصول بصفة مستمرة مما يؤدي إلى توسيع الفجوة بين هذه النخبة وبقية أفراد المجتمع¹.

كما يمكن لظاهرة الفساد أن تنمو وتتزايد بفعل عوامل اجتماعية ضاربة في بنية وتكوين المجتمعات البشرية ونسق القيم السائدة، إذ تلعب العادات والتقاليد الاجتماعية وسريانها دوراً في نمو هذه الظاهرة أو اقتلاعها من جذورها وهذه العادات والتقاليد مرتبطة أيضاً بالعلاقات القبلية السائدة في المجتمع كما أن التنظيم الإداري والمؤسسي له دور بارز في تقويم ظاهرة الفساد من خلال العمل على تفعيل النظام الإداري ووضع ضوابط مناسبة لعمل هذا النظام وتقوية الإطار المؤسسي المرتبط بخلق تعاون وتفاعل إيجابي بين الفرد والمجتمع والفرد والدولة استناداً إلى علاقة جدلية تربط بينهما على أساس إيجابي بناء يسهم في تنمية وخدمة المجتمع، وهناك عامل آخر لا يقل أهمية عن العوامل السابقة يتمثل في غياب الثقة في تطبيق المثل الإنسانية.

ومن خلال هذه الأسباب والآثار المتعلقة بظاهرة الفساد، يمكن أن نسلط الضوء على تجربة العراق في الفساد الإداري، ومدى سلوك هذه الظاهرة منذ نشأتها وحتى الوقت الحاضر وأهم أسبابها وانعكاساتها، وصولاً إلى وضع الخطط والسبل الكفيلة للحد من هذه الظاهرة الوبائية في المجتمعات عموماً².

2- المحور الثاني: الظاهرة و تحليل النتائج المترتبة عن الفساد الرياضي على الجانب الاقتصادي.

06- الصفار فاضل(2008)، الحرية السياسية دراسة مقارنة في المعالم والضمانات، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، ط1، بيروت، ص ، 74

07- الصفار فاضل(2008)، الحرية السياسية دراسة مقارنة في المعالم والضمانات، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، ط1، بيروت، ص 75

-تصنيفات الجزائر في مؤشر مدركات الفساد الذي تصدره منظمة الشفافية الدولية :

2011		2010		2009		2008		2007		2006		2005	
نقطة	رتبة	نقطة	رتبة	نقطة	رتبة	نقطة	رتبة	نقطة	رت	ن	رتبة	نقطة	رتبة
2.9	112	2.9	105	2.8	111	3.2	92	3	99	3.1	84	2.8	97

2017		2016		2015		2014		2013		2012	
نقطة	رتبة	نقطة	رتبة	نقطة	رتبة	نقطة	رتبة	نقطة	رتبة	نقطة	رتبة
3.4	115	34	108	3.6	88	3.6	100	36	109	3.4	105

حيث كانت الجزائر سنة 2005 تحتل المرتبة 97 عاليا ، وفي سنة 2006 احتلت المرتبة 84 ، أما بعد مرور عدة سنوات أي سنة 2012 أصبحت تحتل المرتبة 105 ، أما سنة 2017 أصبحت تحتل المرتبة 115 مما يدل على أنها تراجعت قليلا .

2-2- قائمة الأندية العشر الأوائل مع أرباحها لسنة 2015-2016

- 1-مانشستر يونايتد - 515.3 مليون باوند
- 2-برشلونة - 463.8 مليون باوند
- 3-ريال مدريد 463.8 مليون باوند
- 4-بايرن ميونخ - 442.7 مليون باوند
- 5-مانشستر سيتي - 392.6 مليون باوند
- 6-باريس سان جيرمان - 389.6 مليون باوند
- 7-آرسنال - 350.4 مليون باوند
- 8-تشيلسي - 334.6 مليون باوند
- 9-ليفربول - 302 مليون باوند
- 10-يوفنتوس - 255.1 مليون¹

حيث وجدنا أن الإمارات هي أفضل الدول العربية في جهود مكافحة الفساد تليها قطر، نتائج خالص إليها تقرير منظمة الشفافية السنوي الذي قال إن الأخطار التي تواجه الديمقراطية في العالم تتنامى كل يوم، كما أصدرت المنظمة مؤشر مدركات الفساد لعام 2018، وحلت الدنمارك في المركز الأول كأقل الدول فسادا برصيد (88 نقطة)، أما الصومال فقد احتلت المركز الأخير

(180) برصيد (10) نقاط، وأشار التقرير إلى إن الولايات المتحدة تراجعت أربع نقاط على مؤشر العالمي للفساد في عام 2018، لتخرج بذلك من قائمة أفضل 20 دولة لأول مرة منذ 2011، وتحتل المركز (22) برصيد (71 نقطة)، وقالت زوي رايتز ممثلة المنظمة في الولايات المتحدة إن ذلك يعد جرس إنذار بشأن الحاجة لمعالجة تعارض المصالح والنفوذ المفرط للقطاع الخاص واتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء.

عربيا، كانت الصومال الأكثر فسادا حيث احتلت المرتبة الأخيرة (180)، وسبقها سوريا واليمن حيث تشاركت الدولتان في المركز (178)، فيما احتلت الإمارات المركز الـ 23، برصد (70 نقطة) لتكون بذلك أقل الدول العربية فسادا¹.

2-3- الإنجازات والتحديات :

بحسب التقرير، فإن أداء مصر والمغرب في مكافحة الفساد قد تحسن في 2018، إذ تقدم كل منهما بثلاث نقاط مقارنة مع مؤشر 2017، وقال التقرير إن الحكومة المغربية قد سمحت بالوصول إلى معلومات قانونية بعد سنوات من نداءات متكررة من قبل جمعيات المجتمع المدني، حيث أن مصر، وبالرغم من تقدمها ثلاث نقاط مقارنة بمؤشر العام الماضي، فإن التحسينات التي تمت على الأرض تظل قليلة، حيث تواجه مصر قضايا فساد خطيرة².

وأضاف التقرير أن منظمات المجتمع المدني مستهدفة من قبل الحكومة المصرية من خلال منع أعضائها من السفر، بالإضافة إلى اعتقال الناشطاء بشكل مستمر، وكانت لجنة الرقابة الإدارية هي الهيئة الرئيسية للتحقيق في قضايا الفساد بمصر، قد أعادت بعض أصول الدولة واعتمدت استراتيجية لمكافحة الفساد في غضون أربع سنوات، وبحسب تقرير منظمة الشفافية، فإن الفساد السياسي يعتبر التحدي الرئيس في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، بالرغم من جهود الحكومات في مكافحة الفساد، ويضيف التقرير أن العديد من الحكومات العربية تتأثر سياساتها وتحدد ميزانياتها ومصروف أموالها بنفوذ شخصيات تعمل على مصالحها الشخصية على حساب المواطنين، وأيضا أنه بدون إرادة سياسية تعمل على مكافحة الفساد في القطاع العام، فإن بلدان الشرق الأوسط وأفريقيا تجهض حقوق شعوبها³.

أما الأردن، والإمارات، وقطر، ولبنان، فصنّفوا ضمن الدول التي يجب مراقبتها في السنوات القادمة، إذ وصفتها منظمة الشفافية ببلدان "مستقرة نسبيا، ولكن نظرا لوضعها الجغرافي أو الاقتصادي، فهي في بؤرة الضوء"، وقال التقرير إن تقدم قطر والإمارات عن باقي البلدان الأخرى في المنطقة، مرتبط بشكل أكبر بفاعلية الإدارة العامة، والقدرة الإحصائية، ومستوى التنمية البشرية، والنتائج المحلي الإجمالي، والصحة، والتعليم، لكن على الرغم من قوة البلدين، فإن الإمارات وقطر تفتقران إلى المؤسسات الديمقراطية واحترام الحقوق السياسية.

وهذا يربط إرادة القضاء على الفساد بالإرادة السياسية للطبقة الحاكمة القائمة في لبنان، أثارت الانتخابات الأخيرة مخاوف بشأن تمويل الأحزاب السياسية وسوء إدارة العملية الانتخابية، وبعد ستة أشهر من الانتخابات، فشل رئيس الوزراء سعد الحريري في تشكيل حكومة جديدة في بلد شديد الاستقطاب.

- الجابري، محمد عابد(2018)، فكر ابن خلدون: العصبية والدولة، ط6، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 61

- الجابري، محمد عابد(2018)، فكر ابن خلدون: العصبية والدولة، ط6، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 67

- الجابري، محمد عابد(2018)، فكر ابن خلدون: العصبية والدولة، ط6، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 6811

أما دول سوريا وليبيا واليمن والعراق، فقد حلت في مراكز متأخرة من المؤشر، نظرا لتحديات عدم الاستقرار والإرهاب والحرب والتزاع الدائر فيها، وسجلت اليمن وسوريا أشد انخفاض في مؤشر الفساد لعام 2018، ويعكس هذا التغيير العلاقة المباشرة بين الحرب والانتهاكات الخطيرة لحقوق الإنسان والفساد، بحسب التقرير.

قائمة بترتيب الدول العربية وفق نتائج مؤشر مدركات الفساد لعام 2018: وهي القائمة الصادر عن منظمة الشفافية الدولية.

حلت إيران في المركز 138، وتركيا في المركز 78، في مؤشر منظمة الشفافية العالمية للفساد.، وقال تقرير المنظمة، إن مستويات الفساد في تركيا ازدادت في ظل تراجع الحقوق السياسية والمدنية ومحاولات إضعاف مؤسسات المحاسبة، وانخفض مؤشر أسعار المستهلك في تركيا منذ 2013 من 50 إلى 41، وفي نفس المدة انخفض مؤشر الحرية في تركيا بمقدار النصف تقريبا، إذ انخفض عدد النقاط من 61 إلى 32، وانتقلت تركيا في مؤشر الحرية لهذا العام، من تصنيفها كدولة "حرة جزئيا" إلى "غير حرة"، أما إيران فقد انخفض تصنيفها لتحل في المركز 138 في مؤشر 2018، بعد أن كانت في المركز 130 في مؤشر عام 2017، وفي حين أن إيران سجلت نحو 30 نقطة في مؤشر عام 2017، فإن عدد النقاط انخفض في عام 2018 ليصل إلى 1.28.

3- المحور الثالث : حلول و اقتراحات

أصبحت ظاهرة الفساد ظاهرة عالمية و سرطانا يستشري في جسم الدول نتيجة فقدان المجتمع لقيمه و مثله و لعدم تكريس القانون و فرض احترامه على الجميع و عدم نشر مفهوم المواطنة و غياب ثقافة حقوق الإنسان ، و نتيجة لهذا يستحيل أن يكون المجتمع الفاسد قويا و عادلا و متحضرا و يسرد التاريخ أن هناك إمبراطوريات كانت تملأ السمع و البصر سقطت و اختفت بفعل الفساد بكافة أشكاله و مستوياته. فالفساد قضية الجميع و مكافحته نشاط يعني الجميع أيضا و هو بهذا المعنى واجب شرعي و وطني و أخلاقي فقد أقرت مؤسسات دولية كالبنك الدولي و هيئة الأمم المتحدة و منظمة شفافية دولية بأن الفساد تحديا عالميا و أن مكافحته لا تكون إلا بتضافر جهود الجميع و وضعت لذلك آليات و عقدت اتفاقيات ، و على هذا الأساس لا بد لكل هيئات الدولة و شرائح المجتمع عن طريق جمعيات المجتمع المدني أن تقف صفا مترابلا لدرء الفساد و المفسدين، و لا تكفي القوانين الردعية لمكافحته، بل يجب وضع استراتيجيه منسجمة و متكاملة تأخذ بمفهوم واضح للفساد و تحديد عوامله و أسبابه و التركيز على نشر القيم و المثل العليا و تفعيل دور الدولة في حفظ حق المواطن في الكرامة و العيش الرغيد بما يحفظه و يجعله مواطنا صالحا في شتى مراتب المسؤولية.²

و من خلال ما تقدمنا بطرحه سابقا يتأكد لنا أن تفشي الفساد من شأنه أن يعطل كل برامج التنمية التي تعمل الحكومات على وضعها، و بالنسبة للجزائر تعد مسألة مكافحة الفساد أولوية في الظرف الراهن المتميز بوضع برنامج كبير لدعم النمو الاقتصادي الذي خصصت له الدولة مبلغ يتجاوز 60 مليار دولار للفترة (2005-2009) تتجه أغلبها لهيئة البنية التحتية و إنجاز مشاريع هامة في قطاع الأشغال العمومية و بناء السكن، الأمر الذي يستدعي مزيدا من الحرص على أن تتم الصفقات العمومية في ظل الشفافية التامة و وجود أجهزة لمراقبة تنفيذ المشاريع و محاربة كل أشكال الفساد، من خلال وضع إستراتيجية طويلة المدى يشارك فيها الجميع من حكومة و إدارات عمومية و مجتمع الأعمال و وسائل الإعلام و مجتمع مدني كل على مستواه، لأن مسألة الفساد مسألة معقدة فمكافحتها تتم وفقا لجهود جماعية و ليست فردية.

12- الجابري، محمد عابد(2018)، فكر ابن خلدون: العصبية والدولة، ط6، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 68.

13- مسعد، نيفين عبد المنعم، 2016، الأقليات والاستقرار السياسي في الوطن العربي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ص 65

2-3-الافتراحات :

- اقتراح تدابير ، لاسيما ذات الطابع التشريعي والتنظيمي للوقاية من الفساد.
- مساعدة القطاعات المعنية العمومية والخاصة في إعداد قواعد أخلاقيات المهنة.
- إعداد برامج تسمع بتوعية وتحسيس المواطنين بالآثار الضارة الناجمة عن الفساد .

قائمة المصادر والمراجع :

- 01- أحسن بوسقيعة، 2008، الوجيز في القانون الجزائري الخاص، جرائم الفساد ، الجزء الثاني ، دارهومه للطباعة والنشر ، الجزائر .
- 02- أخلاقيات المهنة ومواصفات المدرس وزارة التربية الوطنية ، والتعليم العالي وتكوين الأطر، والبحث العلمي كتابة الدولة في التعليم المدرسي الوحدة المركزية لتكوين الأطر، قسم استراتيجيات التكوين- المغرب
- 03- الجابري، محمد عابد(2018)، فكر ابن خلدون: العصبية والدولة، ط6 ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- 04-الصفار، فاضل(2008)، الحرية السياسية دراسة مقارنة في المعالم والضمانات، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، ط1، بيروت
- 05-بن عزوز محمد ، (2016)، الفساد الإداري والمالي ، المجلة الجزائرية للعلوم والسياسات الاقتصادية ، العدد7 ، الجزائر.
- 06- حاج سليمان، رائد نايف (2009)، الاستقرار السياسي ومؤشراته، الحوار المتمدن، 2009/3/21.
- 07- رمزي حوحو و لبي دنش، (2017) الهيئة الوطنية للوقاية من الفساد ومكافحته، مجلة الاجتهاد القضائي ، العدد الخامس
- 08- كتوش عاشور - قورين حاج قويدر مداخله بعنوان : الفساد الإداري والمالي في القطاع المالي والمصرفي الجزائري وأساليب مكافحته ، المؤتمر الدولي حول إصلاح النظام المصرفي الجزائري – جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة.الجزائر.
- 09- محمد المدني بوساق، (2015)، "التعريف بالفساد وصوره من الجهة الشرعية" دار الخلدونية، الجزائر.
- 10- محمد محفوظ، (2016 أفريل)، في معنى الاستقرار السياسي، صحيفة الرياض، العدد 19، السعودية .
- 11- مسعد، نيفين عبد المنعم، 2016، الأقليات والاستقرار السياسي في الوطن العربي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

Mesures de sécurité de l'éducation et harcèlement scolaire

Dr Massika Lanane/Université de Béjaïa, Algérie

Résumé :

Le harcèlement scolaire est une violence verbale, physique ou psychologique répétée qui se retrouve au sein de l'école. Lorsqu'un enfant est insulté, menacé, battu, bousculé ou reçoit des messages injurieux à répétition, on parle donc de harcèlement. Le harcèlement, touche toutes les catégories sociales et toutes sortes d'élèves. Dans le but de détecter la présence de l'harcèlement au sein de nos institutions scolaires et de comprendre ses causes pour en trouver les remèdes, on a effectué une étude comparative réalisée dans deux institutions éducatives à Béjaïa en Algérie : l'école primaire et le CEM des IRIS. Dans les quelles on a fait appel à l'observation simple, à des entretiens et à des focus groups. En réalité, notre approche était pluridisciplinaire mixte, tous les moyens étaient bons pour comprendre et à mettre en place les dispositifs pour éliminer ce phénomène pour assurer une bonne assurance de l'éducation.

Mots clés : harcèlement, violence, stigmatisation.

Introduction :

L'école a pour mission de transmettre les connaissances et développer les facultés intellectuelles, physiques et spirituelles de chaque enfant. Or en développant son intelligence et ses connaissances, l'élève, reçoit l'héritage du savoir transmis par les générations précédentes, qui l'aidera à gagner sa liberté et sa responsabilité.

En devenant libre, l'enfant choisit son métier, et construit son avenir et crée des liens sociaux qui font de lui un être solidaire des autres. Il construit son sentiment d'appartenance à une culture, à une nation, à l'Universel. C'est surtout il s'éloigne de l'ignorance qui porte en germe l'injustice, le totalitarisme, l'obscurantisme et la dépendance sous toutes ses formes.¹ Mais, récemment, l'école est devenue un lieu où s'exercent les agressions (humiliations, insultes, exclusions, dégradations matérielles, rackets, coups, etc.) qui sont systématiquement dirigées sur le même (élève)et se répètent sur une longue durée. Selon une enquête menée en 2015 par la Direction de l'évaluation, la prospective et la performance en France, 1 jeune sur 10 est victime de harcèlement scolaire, soit 700 000 élèves par an. Le harcèlement, touche toutes les catégories sociales et toutes sortes d'élèves. C'est dans l'école primaire qu'il y a plus d'harcèlement (12% des écoliers). Au collège, le harcèlement touche 10% des élèves. En fait le harcèlement se base sur le rejet de la différence et sur la stigmatisation de certaines caractéristiques, telles que :l'apparence physique (poids, taille, couleur ou type de cheveux).Le sexe, l'identité de genre (garçon jugé trop efféminé, fille jugée trop masculine, sexisme), orientation sexuelle ou supposée. Un handicap (physique, psychique ou mental) .Un trouble de la communication qui affecte la parole (bégaiement/bredouillement)².

Ces agressions visent souvent à l'exclure. Les élèves harceleur-euse-s sont fréquemment des pairs de la classe. Par contre la victime - placée en position de faiblesse - ne peut se protéger seule. Elle peut penser être responsable du harcèlement. Un-e élève isolé-e court un risque accru de harcèlement. Dans cet article, j'ai présenté des cas de harcèlement dans des établissements scolaires, en expliquant les causes et les conséquences de ce nouveau fléau dans notre société.

A. Définition de l'harcèlement :

Le concept du harcèlement scolaire a été forgé au début des années 1970 par le psychologue Dan OLWEUS qui a établi trois caractères pour définir le harcèlement :³

1. Les agresseurs agissent dans une volonté délibérée de nuire.

¹ <https://www.ismlausanne.org/orientation/pedagogie/a-quoi-sert-lecole>

² DEBARBIEUX Éric, La violence en milieu scolaire, 1. État des lieux, E.S.F. Éditeur, Paris, 1996, 180 p..... Violence à l'école : un défi mondial ?, Colin, Paris, 2006, 315 p.

³ OLWEUS Dan, Violences entre élèves, harcèlements et brutalités : les faits, les solutions, préface de Jacques Pain, E.S.F., Paris, 1999, p108.

2. Les agressions sont répétées et s'inscrivent dans la durée ;
3. La relation entre l'agresseur ou les agresseurs et la victime est asymétrique.

Le premier et le dernier critères ont été contesté, vu que les enfants n'ont pas la même perception de l'intentionnalité que les adultes. Et pour qu'il y ait harcèlement, il faut que la victime ne soit pas en situation de défense. La pratique du harcèlement scolaire est inséparable de la mise en place d'une situation de domination.

Le harcèlement se définit donc comme une violence répétée qui peut être verbale, physique ou psychologique. Cette violence se retrouve aussi au sein de l'école. Elle est le fait d'un ou de plusieurs élèves à l'encontre d'une victime qui ne peut se défendre.

Lorsqu'un enfant est insulté, menacé, battu, bousculé ou reçoit des messages injurieux à répétition, on parle donc de harcèlement.

Le harcèlement se fonde sur le rejet de la différence et la stigmatisation de certaines caractéristiques. Il revêt des aspects divers en fonction de l'âge et du sexe. Les risques de harcèlement sont plus grands à la fin de l'école primaire et au collège.¹

B. Caractéristiques

Les 3 caractéristiques du harcèlement en milieu scolaire sont :

1. La violence :

L'OMS définit la violence comme un : « usage délibéré ou menace d'usage délibéré de la force physique ou de la puissance, de la menace directe ou indirecte contre soi-même, contre une autre personne ou contre un groupe ou une communauté, qui entraîne ou risque fort d'entraîner un traumatisme, un décès, un dommage moral, une discrimination, un mal développement ou une carence. »²

C'est un rapport de force et de domination entre un ou plusieurs élèves et une ou plusieurs victimes. La violence pour Yves MICHAUD, est « une interaction comportant deux ou plusieurs acteurs dont l'un porte atteinte à l'autre, à son intégrité physique, morale ou aux participations symboliques ou culturelles ». Ces acteurs peuvent être aussi des systèmes³

¹ DAGENAIS Lucie France et BOILY France : Étude sur la dimension psychologique dans les plaintes en harcèlement au travail rapport de recherche sur les plaintes résolues par la commission des droits de la personne et des droits de la jeunesse sous la direction de la recherche et de la planification, décembre 2000.

P44.

² DEBARBIEUX Éric, « La violence à l'école : une mondialisation? », Enjeux, Hors-série n° 8, février 2004.

³ RANCUREL Marc, « L'Éducation nationale face à la violence scolaire », Les cahiers de la Sécurité intérieure, n° 15, p. 63-71, 1er trimestre 1994, 243 p.

Qu'est-ce que la violence entre élèves ?

La violence c'est quand des enfants plus vieux agressent d'autres plus jeunes et plus faibles, et s'acharnent sur eux. Elle peut être verbale ou physique, due aux caractéristiques individuelles, la famille, les pairs, l'école, le voisinage, la collectivité et la situation immédiate. De nombreux auteurs ont étudié la violence chez les enfants. Il y'a ceux qui se basent sur l'instinct pour expliquer la violence comme : Freud et Lorenz; d'autres pensent qu'elle est le produit de la socialisation; ou de la frustration ; il y'a ceux qui introduisent la notion d'agression instrumentale, c'est-à-dire utiliser la violence comme un moyen pour obtenir un pouvoir matériel ou psychologique.

Un rapport de l'UNESCO établi en 2016 montre que la violence à l'école naît de rapports de force inégaux souvent renforcés par des stéréotypes et des normes liées au genre, l'orientation sexuelle ainsi que d'autres facteurs qui contribuent à la marginalisation tels que la pauvreté, l'identité ethnique, ou encore la langue.

2.La répétitivité : il s'agit d'agressions qui se répètent régulièrement durant une longue période.¹

Dans certains écoles ou collèges, les élèves se sont habitués malheureusement à gérer une violence au quotidien. La violence scolaire actuelle est constituée par la violence verbale, la violence physique.

Violence verbale (menaces, jurons) est devenue un fait pratiquement banalisé par des élèves qui ne réalisent pas que leur langage est déplacé dans le contexte scolaire. En effet, cette violence verbale est considérée par ces élèves comme un mode normal de communication (le parler-rue).

Violence physique grave est, heureusement, rare. Ce type de violence est fortement médiatisé. Mais celle-ci ne doit pas faire oublier la violence moins grave mais quasi quotidienne dans les écoles ou collèges (bagarres, bousculades). ce type de violence est un phénomène fréquent entre élèves dans les collèges de certains sites particulièrement difficiles (certaines zones d'éducation prioritaires). Le caractère brutal de cette violence physique a un aspect répétitif². Ce qui peut aggraver les effets. Ainsi un élève plongé quotidiennement pendant plusieurs semaines ou plusieurs mois dans un contexte de violence physique et verbale passe à un acte suicidaire ou à reproduire lui-même une violence verbale ou physique plus violente envers d'autres élèves plus faibles que lui.

3.L'isolement de la victime : la victime est souvent isolée, plus petite, faible physiquement, et dans l'incapacité de se défendre. cette partie est mieux illustrée à travers les approches théoriques.

¹ DUBET François, « La violence à l'école », *Les cahiers de la Sécurité intérieure*, n° 15, p. 11-26, 1er trimestre 1994, 243 p.

² CARRA Cécile et FAGGIANELLI Daniel, « École et violences », *Problèmes politiques et sociaux*, n° 923, La Documentation française, 2006, 119 p.

Les approches théoriques explicatives du harcèlement:

La souffrance à l'école devient intolérable, pour en finir avec ces situations moralement et physiquement intenable, des enfants dans une situation de détresse totale, parfois devant leurs bourreaux et devant leurs collègues, décident de poser un acte définitif. Cet acte néfaste est émis par des enfants qui ont tenté de porter longtemps un fardeau trop pesant et qui harassés, sans force et attribués par la violence de leurs pairs finissent par le retourner contre eux mêmes .

a) Le bouc émissaire

Selon l'anthropologue René Girard (1972), il postule que dans toutes les sociétés, des victimes sont désignées afin d'assembler le désir mimétique de la violence, de vider ses tensions au sein du groupe. L'hypothèse de Girard est que « la société actuelle cherche à détourner vers une victime relativement indifférente, une victime « saccharifiable » une violence qui risque de frapper ses propres membres, ceux qu'elle entend à tout prix protéger ». Analogiquement les harceleurs se renferment sur une logique de faire une pression sur une victime que celle-ci ne peut pas démontrer son innocence:

Selon lui ce phénomène s'émerge lorsqu' une crise interne ou externe surgit, et dans ce cas les groupes qu'ils soient professionnels ou sociétaux vont chercher un bouc émissaire.

Le phénomène du bouc émissaire est un mécanisme clé en anthropologie s'appliquant à toutes les cultures. Au moment de la crise, menace ou désintégration, le groupe se trouve une victime. La victime focalise entièrement la responsabilité pour tous les malheurs au sein du groupe et devient l'objet de l'agression collective. D'un point de vue psychanalytique, le bouc émissaire est l'écran d'une projection de la culpabilité, des fautes qu'une personne (ou le groupe) ne veut pas admettre.¹

Selon Girard la société la communauté ou le groupe a besoin d'une victime pour survivre, la violence construit la culture. Il a constaté que toutes les communautés qui ont survécu ont trouvé un coupable au moment de la crise

La théorie du bouc émissaire est une théorie selon laquelle des individus constituant un groupe excluant un des leurs : une personne, la plus « différente » qui sera prise comme bouc émissaire dans notre cas : l'étranger, le noir, l'arabe, le handicapé, le roux le féminise .²

¹ BRUNNER Roland, psychanalyse des passions dans l'entreprise, édition EYROLLES, paris, 2009, page 136

² DAGENAIS Lucie France et BOILY France Op.cit., p45.

Cette théorie s'appuie sur l'hypothèse que l'anxiété et les conflits au sein d'un groupe qui se réoriente vers un individu qui devient le bouc émissaire. Le harcèlement se déclenche suite à des conflits et des dysfonctionnements au sein de l'organisation.¹

b) Le modèle biologique naturel :

Selon le modèle biologique naturel étudié par Tangri, Burt et Johnson, le harcèlement sexuel s'explique par une attirance sexuelle entre les personnes. Cependant ce modèle est envisagé dans le contexte scolaire et se base sur le fait que le harcèlement sexuel peut être motivé par l'intention de nuire à l'évolution de l'individu et cela à mon avis doit être exclu parce que l'enfant n'a pas les mêmes intentions que l'adulte .

Le phénomène de harcèlement sexuel résulte d'un climat ou apparaît un certain nombre de facteurs de risques comme la différenciation de pouvoir, les contacts dans les lieux mixtes, le pourcentage de sexe masculin et féminin dans une institution donnée soit scolaire.²

c) L'approche théorique du pouvoir et de la dominance :

Cette théorie développée sur le plan individuel tend à démontrer que certains élèves ayant un besoin de dominer, utilisent la technique du harcèlement afin d'assurer leur dominance à l'égard des filles ou d'autres élèves plus faibles.³

C. Formes de le harcèlement scolaire

La violence physique est la forme de harcèlement la plus manifeste mais elle n'est pas la seule, nombreuses pratiques plus ou moins visibles peuvent être considérées comme des formes de harcèlement scolaire, au même titre que les menaces physiques : les jets d'objets « , les pincements⁴ « il portait des pulls avec des manches longues en plein chaleur quand j'ai vérifié, il avait tout le corps marqué de traces de pincement » les tirages de cheveux « Nissat a coupé ses cheveux toute seule parce qu'on l' en attire tout le temps », les moqueries, les surnoms méchants, les insultes, les violences physiques, le racket, les jeux dangereux, la mise à l'écart, la propagation du rumeurs, des bagarres organisées par un ou plusieurs harceleurs, des dégradations de matériel scolaire ou de vêtements, des violences à connotation sexuelle : voyeurisme dans les toilettes, déshabillage et baisers forcés, gestes déplacés...⁵

¹ BRUNNER Roland, Op .Cit. , page 136

² MARC Alexandre, harcèlement moral au sexuel au travail, université de liège, NEVEN Vinciane, 2004-2005, page 06.

³ ROUILLON Laurence, « Théories officielles et pratiques disciplinaires dans les écoles élémentaire », in *Éducation LE* 192 harcèlement au collège *nationale : les faits et les mythes*, coll. « Les Temps Modernes », n° 637-638-639, mars-juin 2006, 768 p.

⁴ HIRIGOYEN Marie-France, *Le harcèlement moral, la violence perverse au quotidien*, Éditions Syros, Paris, 1998, 212 p.

⁵ PESTANA Dominique-Manuela Le harcèlement au collège :Les différentes faces de la violence scolaire Éditions KARTHALA22-24, bd Arago 75013 Paris

Ces formes traditionnelles de harcèlement ont cédé la place à des pratiques comme le happy slapping ou le « cyberbullying », « qui est une variante récente du harcèlement, reposant sur l'usage d'internet et des nouvelles technologies de communication (blogs, e-mails, réseaux sociaux, téléphones portables). Ce type de harcèlement est favorisé par l'anonymat et l'absence de contrôle d'identité qui permettent aux harceleurs d'agir en toute discrétion »¹

Il se concrétise par la réception répétée de messages provenant de différentes sources, dont le contenu est teinté de menaces, d'intimidations, d'insultes, de chantage ou par la diffusion d'images humiliantes. Ces messages sont parfois accompagnés d'un rejet et d'un isolement de la victime à l'école ou dans d'autres lieux de socialisation.

D'après notre enquête les violences verbales représentent 7% des actes signalés chez les jeunes âgés de 11 ans et moins, 58% chez les 12-14 ans et 45% chez les 15 ans et plus.

Un enfant victime de violence physique ou morale de la part de ses camarades de classe manifeste petit à petit des difficultés scolaires et finit par désertier totalement l'école. Au début, il peut se réfugier dans la solitude ou l'indifférence, mais au fur et à mesure que les agresseurs multiplient leur persécution, il va s'absenter et avoir de moins en moins de bonnes notes. Les enseignants s'aperçoivent du problème tardivement et souvent ils n'associent pas les difficultés à un problème d'intégration, mais plutôt à un manque de volonté. Au lieu de discuter avec l'enfant de la situation, ils vont exiger plus d'effort de la part de ce dernier.²

D. Caractéristiques des victimes et des agresseurs

D'après les résultats de notre étude il existe un nombre important de victimes/agresseurs : entre 10 % et 34 % des victimes de harcèlement reproduiraient ces mêmes types d'agressions qu'ils ont subi.

Profil du harceleur

Christophe Dejours explique que « si le harcèlement conduit aujourd'hui plus souvent que naguère à des troubles psychopathologiques graves chez les victimes, cela serait dû à la passivité et à l'absence de solidarité de la part des collègues de la victime et à la profonde transformation du sens de la justice dans le monde du travail »³ La défense est toujours la même : déni de la souffrance des autres (« chacun pour soi », « on n'y peut rien ») et le silence sur la sienne propre.

1 La victime

¹ CARON Jean-Claude, *À l'école de la violence. Châtiments et sévices dans l'institution scolaire au XIX e siècle*, chap. 1 et 2, Éditions Aubier, Paris, 1999, 333 p.

² CARRA Cécile et FAGGIANELLI Daniel, Op. Cit., p120.

³ Christophe Dejours, « Travail : usure mentale », Bayard, 2001.

Selon toutes les études menées jusqu'à ce jour et qui se penchent sur la question de l'existence d'une personnalité pré-morbide, les résultats sont variables mais on constate qu'en moyenne il n'existe pas d'antécédents psychiatriques et que le niveau socio-familial semble stable chez les victimes. N'importe qui peut être victime du harcèlement moral et il n'y a pas de profil psychologique spécifique pour les personnes qu'on harcèle mais il y a des contextes où le harcèlement moral se développe plus facilement. Par contre d'autres disent que la victime est souvent choisie en fonction d'un handicap, d'une différence physique (origine, couleur de peau ou des cheveux, surpoids) ou autre (homosexualité réelle ou attribuée), tout critère de différence sociale (plus riche, plus pauvre, profession des parents). Les harcelés peuvent également cumuler ces caractéristiques. Isolés socialement, ayant moins d'amis pour les défendre ces enfants sont des victimes plus faciles.¹

2. L'agresseur

Tout sujet en crise peut être amené à utiliser des mécanismes pervers pour se défendre (manipulation d'autrui dans le but d'obtenir un avantage). Cependant, ces comportements ne sont que passagers et sont suivis de regrets ou de remords. La notion de perversité implique une stratégie d'utilisation puis de destruction d'autrui sans aucune culpabilité.

Les traits narcissiques tels que l'égoïsme, le besoin d'admiration et l'intolérance à la critique sont assez courants et ne sont pas considérés comme pathologiques.² La personnalité narcissique présente une absence d'empathie pour les autres, bien qu'il y ait un besoin constant d'approbation et d'admiration. Il existe un manque de profondeur affective. Ces personnes sont incapables de comprendre les émotions des autres.

Souvent, les harceleurs sont des personnes avec une personnalité narcissique qui ont un fonctionnement pervers. Les pervers narcissiques trouvent leur équilibre en déchargeant sur les autres la douleur qu'ils ne sont pas capables d'exprimer. Ils font mal car ils ne savent faire autrement pour exister. Ils ont été blessés dans leur enfance et essaient de se maintenir ainsi en vie. Ce transfert de douleur leur permet de se valoriser aux dépens d'autrui.³

Le harcèlement scolaire est parfois le fait d'un groupe d'élèves dont le profil se focalise sur le besoin de domination, il cherche à apparaître comme un « dur » aux yeux des autres enfants. Il est en général impulsif, voire hyperactif. Il est souvent plus fort et plus grand que la moyenne, mais obtient des résultats scolaires relativement faibles. Sans avoir de problème d'estime de soi, il présente des troubles d'anxiété marqués. vient

¹ Marie France Hirigoyen, « le harcèlement moral : la violence perverse au quotidien », Syros, 1998.

² Heinz Leymann, Mobbing, Seuil, 1996, p82.

³ Heinz Leymann, Op .Cit., 83.

d'être décrit, comporte des « agresseurs passifs » qui sont avant tout entraînés par l'effet de groupe et peuvent présenter un profil de personnalité dépendante et manquer d'assurance.

-Notre enquête a montré que dans la plupart des cas de violences physiques, le harceleur est le plus souvent un garçon.

Les filles ont plus souvent une participation indirecte (agresseur passif décrit ci-avant) et qui repose sur la propagation de rumeurs, les insultes ou l'ostracisme.

-10% de petites filles et 12% des garçons ont rapporté avoir été sujets à de la violence physique venant des autres élèves.

-3% des petites filles et 5% des garçons ont eu l'expérience de comportements sexuels non désirés dans l'année précédente.

-55% des élèves ont subi des actes d'intimidation et des brimades

-Le harceleur manipule les membres de son groupe ou ses camarades de classe et en fait des témoins et des complices de ses actes, et par là ils installent une relation de domination collective sur la victime.

-20% des réponses, de victimes, se sont enfermées très souvent dans l'isolement après avoir trouvé ni défense ni empathie chez leurs pairs.

Les témoins, en soutenant, encourageant ou faisant semblant d'ignorer le harcèlement, renforcent la violence du harceleur.¹

Sanctions:

Un ensemble de sanctions sont mis en application au sein de ces deux institutions lieux de l'enquête, lorsqu'un élève commet un acte grave à l'égard d'un autre élève. Ces sanctions sont comme suit :

-l'avertissement : écrit ou oral ,

-le blâme: écrit ou oral ,

-la mesure de responsabilisation : elle a pour objectif de responsabiliser les élèves sur les conséquences de leurs actes, en les faisant participer à des activités de solidarité, culturelles ou de formation.(7) Cette étape empêche l'élève d'assister aux cours là où il peut exercer son harcèlement

-l'exclusion temporaire de la classe, de 10 à 30 minutes.

-l'exclusion temporaire de l'établissement, d'une durée d'une journée à trois jours.

¹ Marie France Hirigoyen, Op.Cit.,p12.

- l'exclusion définitive de l'établissement 10 du collège en 2017.
- Mutation à d'autres établissements 3 collégiens pendant l'année 2017.

Conséquences

Pour la victime ¹

A court terme :

- Absentéisme (la moyenne de 3 élèves sur 10)et décrochage scolaire,
- Troubles du comportement,
- Isolement,

A moyen terme :

- Troubles dépressifs,
- Comportement suicidaire,
- Comportement violent,

A Long Terme :

- Troubles de la socialisation,
- Troubles psychiques

Pour le/les harceleur(s) :

A court terme :

- Manque d'empathie,
- Rapport à la violence,

A moyen terme :

- Marginalisation,
- Echech scolaire,

A long terme :

- Délinquance,

¹ Drida Michèle, Engel E., Litzenberger M. : " Du harcèlement ou la violence discrète des relations de travail ». Actes du 11ème Colloque International de Psychopathologie et de Psychodynamique du travail. Paris, 1999

-Troubles sociaux,

-Dépression,

Pour le/les témoin(s) :

-Attitudes violentes

-Sentiments d'insécurité

177

Conclusion :

Le plus souvent les élèves face à l' harcèlement ne réagissent pas , c'est la passivité qui règne , la banalisation des faits, passivité enferment dans le mutisme et la souffrance. Malgré que les élèves harcelés ont 4 fois plus de risque de suicide à l'âge adulte.

Les élèves harcelés sexuellement ; la plupart des filles, c'est l'isolement ; ils se replient sur eux mêmes, parce qu'ils se sentent responsables de leur harcèlement, il se disent que c'est de leur faute !

On veut aujourd'hui pour agir contre le harcèlement. On doit prévenir son existence , le connaître et le reconnaître ,savoir écouter et favoriser la parole. Former les professionnels du milieu scolaire, mais également sensibiliser les parents.¹

« L'école ne contient plus les individus, elle ne participe plus à leur émancipation et elle incorporerait des formes de violence à l'interne. Pour les enrayer, l'autorité et la discipline sont de retour, après avoir été décriées au moment des changements dans le système éducatif, il y a 30 ans, face aux pratiques punitives qui passaient le plus souvent par l'humiliation, les

privations ou les châtiments corporels pour lutter contre l'indiscipline et la violence »². Mais ne favoriseraient-elles pas d'autres formes de violence, plus masquée, comme le harcèlement ? Le harcèlement est un phénomène très dangereux , il surgit lorsque le climat scolaire de l'établissement est dégradé et quand les situations de harcèlement sont mal identifiées ce qui crée des répercussions graves, pouvant aller jusqu'au drame.

Le métier d'enseignant ne se limite pas à inculquer le savoir ,mais accepter de contribuer à pallier les carences éducatives causées par des parents qui ont montré leurs incapacité à assumer leur part du devoir éducatif.

Quelle action est possible pour un enseignant ? L'enseignant face à un élève violent, peut travailler sur des facteurs internes à l'individu (psychologiques ou biologiques), externes à l'individu (environnement social et

¹ Bureau International du travail de Genève :Conférence internationale du Travail Mettre fin à la violence et au harcèlement contre les femmes et les hommes dans le monde du travail, 5 ème rapport ,107e session, 2018,p99.

² JM BENKEMOUN / Le harcèlement <http://www.psychologies.com/Dico-Psycho/Harcelement>

physique) ou sur les interactions qu'entretient l'individu avec son milieu (familial, isolement social ou lien social, les valeurs)¹. Donc la mission de l'enseignant c'est de travailler sur les relations de l'élève avec son environnement socioculturel car l'acte violent est le produit de l'interaction de l'individu avec le milieu environnement, de la manière dont il vit ces interactions en rapport avec l'histoire, les expériences, la culture et qui légitiment ses propres actions. En d'autres termes saisir ce qui nous contraint de l'intérieur (les habitudes qui nous domine de dans) et ce qui agit sur nous de l'extérieur (croyances et pratiques sociales).

Bibliographie

ALEXANDRE Marc, harcèlement moral au sexuel au travail, université de liège,

NEVEN Vinciane, 2004-2005, page 06.

BLAYA Catherine, Violences et maltraitements en milieu scolaire,

Éducation 120, Colin, Paris, 2006, p128 .

BRUNNER Roland, psychanalyse des passions dans l'entreprise, édition EYROLLES, paris, 2009, p136.

CARON Jean-Claude, À l'école de la violence. Châtiments et sévices dans l'institution scolaire au XIX e siècle, chap. 1 et 2, Éditions Aubier, Paris, 1999, 333 p.

CARRA Cécile et FAGGIANELLI Daniel, « École et violences », Problèmes politiques et sociaux, n° 923, La Documentation française, 2006, 119 p.

CHESNAIS Jean-Claude, Histoire de la violence en Occident de 1800 à nos jours, Laffont, Paris, 1982, 436 p.

CHARLOT Bernard et EMIN Jean-Claude, Violences à l'école . État des savoirs, chapitre Introduction, Armand Colin, Paris, 1997, 386 p.

DEBARBIEUX Éric, La violence en milieu scolaire, 1 . État des

lieux, E.S.F. Éditeur, Paris, 1996, 180 p..... Violence à l'école : un défi mondial ?, Colin, Paris, 2006, 315 p.

DEBARBIEUX Éric et BLAYA Catherine, Violence à l'école et politiques publiques, préface de Jack Lang, E.S.F. Éditeur, Paris, 2001, 191 p.

HIRIGOYEN Marie-France, Le harcèlement moral, la violence perverse au quotidien, Éditions Syros, Paris, 1998, 212 p.

DEBARBIEUX Éric, « La violence à l'école : une mondialisation? », Enjeux, Hors-série n° 8, février 2004.

¹ BLAYA Catherine, *Violences et maltraitements en milieu scolaire*, Éducation 120, Colin, Paris, 2006, p128 .

DEJOURS Christophe , « Travail : usure mentale », Bayard, 2001.

DESRUMAUX Pascale, Le harcèlement moral au travail, édition PUR collection, paris, 2011, pp : 94-95.

DRIDA Michèle, Engel E., Litzenberger M. : " Du harcèlement ou la violence discrète des relations de travail ». Actes du 11ème Colloque International de Psychopathologie et de Psychodynamique du travail. Paris, 1999.

DUBET François, « La violence à l'école », Les cahiers de la Sécurité intérieure, n° 15, p. 11-26, 1er trimestre 1994, 243 p.

HIRIGOYEN Marie France, « le harcèlement moral : la violence perverse au quotidien », Syros, 1998.

LEYMANN Heinz , Mobbing, Seuil, 1996.

OLWEUS Dan, Violences entre élèves, harcèlements et brutalités : les faits, les solutions, préface de Jacques Pain, E.S.F., Paris, 1999, 108 p.

PESTANA Dominique-Manuela Le harcèlement au collège :Les différentes faces de la violence scolaire Éditions KARTHALA22-24, bd Arago 75013 Paris

RANCUREL Marc, « L'Éducation nationale face à la violence scolaire », Les cahiers de la Sécurité intérieure, n° 15,p. 63-71, 1er trimestre 1994, 243 p.

ROUILLON Laurence, « Théories officielles et pratiques disciplinaires

dans les écoles élémentaire », in Éducation LE 192 harcèlement au collège nationale : les faits et les mythes, coll. « Les Temps Modernes », n° 637-638-639, mars-juin 2006, 768 p.

En savoir plus sur http://www.lemonde.fr/education/article/2017/11/09/harcelement-scolaire-un-eleve-sur-dix-est-concerne_5212707_1473685.html#zkxP5Q7yysByjY7G.99

<https://www.ismlausanne.org/orientation/pedagogie/a-quoi-sert-lecole>

JM BENKEMOUN / Le harcèlement <http://www.psychologies.com/Dico-Psycho/Harcelement>.



جميع الحقوق محفوظة

لمركز جيل البحث العلمي © 2019